الآيَات الْكَوْنية

والإعْجَاز الْعلْمي في الْقُرْآن الْكَرِيم

تأليف
الأستاذ: عمارة عبدالمالك

الطبعة الأولى
٢٠٢٥/٢٠٢٤

قال تعالى:

﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

[العنكبوت:١٩-٢٠].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الملك الغفَّار، له مقاليد السَّماوات والأرض وهو يجير ولا عليه يجار، وبه نستعين وعليه نتوكل وهو ولي الصَّالحين والأبرار.

الحمد لله فالق الحب والنَّوى، يشقُّه في الثَّرى فتنبت الزُّروع على اختلاف أصنافها، يُخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي ويُحي الأرض بعد موتها فتزهر بالحبوب والثّمار على اختلاف أشكالها وألوانها وطعُومها، ويرفع السَّماء بغير عمد ويلقي الرَّواسي لتكون للأرض أوتادها، وخلق السَّماوات والأرض وما بينهما في ستَّة أيَّام وكان عرشه على الماء، لو شاء لأذن للسَّماء فتسقط على الأرض وهلك أهلها.

نحمده على خيره، ونستعينه، ونَستغفره، ونعوذ بالله من شرور أَنفسنا، ومن سيئات أَعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. وأَشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأَشهد أَن محمدا عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣].

إنَّ القرآن الكريم أحلَّ محل العقل المكبَّل، عقلا تحرَّر من سخافة (الميثُولوجيا)[1] وأساطيرها إلى صدق عقيدة التَّوحيد وواقعيتها. وبهذا

[1]- الميثولوجيا: أحد الفروع العلمية الذي يهتم بتفسير ودراسة الأساطير القديمة أي: علم الأساطير أو علم دراسة الأساطير، وهي جمع أسطورة، والأسطورة هي العمود الفقري للميثولوجيا، إلى جانب الخرافة، والميثة، والحكايات، والقصص، والروايات المماثلة القائمة على الخيال.

التَّوجيه القرآني أصبح العقل البشري بعد تصفيته من الخُرافة جاهزا لتقبُّل الحقائق بجميع أصنافها. إنَّ القرآن الكريم هو الصُّورة الوحيدة من كلام رب العالمين المحفوظة بين أيدي الناس بنفس لغة وحيها، قال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فهو معجزا في كل أمر من أموره، لأنَّه مغاير لكلام البشر، فهو نمط فريد، وصياغة مميزة، لم يدركها لا الفصحاء ولا البلغاء، وعجزوا على الإتيان بشيء من مثله رغم تحديه لهم.

وكان أول ما نزل من القرآن الكريم على هذه الأمة وللعالمين الأمر بالقراءة (ٱقۡرَأۡ) أن تكون هذه الآية أمرا دائما موصولا بقراءة الكتاب المنزَّل على خاتم الأنبياء والرسلﷺ، وقراءة كل ما في هذا الكون من آيات دالة على قدرة الله وعلى خالقيته سبحانه لهذا الكون ومن فيه وما فيه. وتتَّضح لنا طلاقة القدرة الإلهية في كل آيات الكون.

إنَّ فهم الآيات لن يكن متاحا لمن يقرأ القرآن الكريم ويحاول تفسيره بحسب علمه، إنَّما يحتاج إلى تفسير للأثر وتفسير لغوي وتفسير علمي لغرض إعطاء الصُّورة الواضحة عن آيات القرآن الكريم، فقد تطوَّر تفسير القرآن مع التَّطور العلمي والتّقني، وتم التَّأكيد ما ورد به وربطها بالجوانب العلمية.

إنَّ العلي القدير خلق هذا الكون العظيم من مادة وطاقة، فهذا الكون الواسع الشَّاسع الذي نعيش فيه نحن وسائر مخلوقاته فهو من مواد متباينة في أشكالها وتركيباتها وخواصها، فمنها من ينبض بالحياة، ومنها ما هو جامدا، المادة تشع الطَّاقة كما في ضوء الشَّمس والنجوم، ونفسها قد تعكس الطَّاقة كما في الكواكب والأقمار، وكما تحترق لتعطي الطَّاقة، وكذلك قد تنحل إشعاعيا أو تفنى لتعطي الطَّاقة، فإنَّ الكون يعج بالطَّاقة مصادرها مختلفة في السَّماوات والأرض.

والأرض التي نعيش عليها نحن البشر وغيرنا من المخلوقات لا نمثل إلاَّ

جزءا ضئيلا جدا في ملكوت الله، ونجم الشَّمس وكواكبه التّسعة (عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، يورانوس، نيبتون و بلوتو) والأقمار التي تدور حول الكواكب والكويكبات والمذنبات والنَّيازك والشُّهب يمثلون المجموعة الشَّمسية التي تمثل فقط حبَّة رمل في صحراء الكون الواسعة.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان٢٧]. ويقول: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

فمهما كان التَّقدم التّكنولوجي وعصر الذَّكاء الاصطناعي، فلا بد أن نعترف بأنَّ ما نعلمه عن الكون ما زال ضئيلا جدا بالنّسبة إلى ما لا نعلمه ما دامت كلماته سبحانه وتعالى لا نهائية. "حقا إنَّنا ما زلنا نقف على حافَّة المجهول في هذا الكون الفسيح لأنَّ محيط الكون مملوء بالعلم والحكمة والمعرفة، ونحن مازلنا نقلب في الأصداء الموجودة على شواطئ الكون."[٢]

وعند رجوعنا إلى بعض التَّفاسير العلمية وبعض كتُب الإعجاز العلمي والمكتوبة من علماء أجلاء لهم دراية كافية بهذا النَّوع من العلوم، وأصبح من الضَّروري أن نعرف معنى التَّفسير العلمي والإعجاز العلمي ونحن في زمن الذَّكاء الاصطناعي والالكترونيات.

فالإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشَّريفة هو عصمة لأمَّتنا ووسيلة لإطلاق في زماننا هذا، ويعتبر من وسائل النهوض بالأمَّة وتحقيق رسالتها السَّامية.

الفرق بين التَّفسير العلمي، والإعجاز العلمي للقرآن الكريم

في القرآن الكريم توجد أكثر من ألف آية صريحة تتطرَّق إلى الكون، بمكوناته وظواهره، بالإضافة إلى أنَّ في القرآن آيات كثيرة تقترب دلالتها من

---

[٢]- منصور محمد حسب النبي: الكون والإعجاز العلمي للقرآن، ط٢(١٩٩١)، دار الفكر العربي- القاهرة- ص٦٠.

الصَّراحة، لأنَّ الكشف العلمي قد ترك للإنسان الاجتهاد وتحصيله عبر فترات زمنية طويلة، وهذه الآيات تحتاج إلى تفسير كما يحتاج غيرها من آيات الذّكر الحكيم.

ففي التَّفسير العلمي للآيات الكونية يجب أن تُوظَّف كل المعارف والحقائق والثَّوابت العلمية، وبما أنَّ العلم لم يصل بعد إلى الحقيقة في الكثير من الأمور فلا حرج في فسح الطَّريق أمام مجال التَّفسير العلمي للقرآن الكريم لتوظيف النَّظريات، والفروض والمشاهدات لأنَّ التَّفسير يبقى جهدا بشريا واجتهادا للوصول إلى حسن فهم الآيات القرآنية ومن أهم شروط قَبولِ التَّفسير العلمي أن يعتمد الحقائق العلمية التي صارت قطعية لا شك في ثبوتها.

إذًا فليس لنا أن نُقلِّل من شأن التَّفسير العلمي المضبوط، فإنَّه يُبرز حقيقة القرآن الكريم وأنَّه كلام معجز، كما أنَّ هذا التَّفسير يُمكن اعتماده في هداية الأجانب الذين يؤمنون بالحقائق العلمية، وكم أسلم من الغرب بعد إخبارهم أنَّ القرآن الكريم قد نطق بما توصَّل إليه العلم الحديث من أكثر من أربعة عشر قرنًا خلت.

أما الإعجاز العلمي للقرآن يجب أن لا يُوظف فيه إلاَّ القطعي من الثَّوابت العلمية، لأنَّ المقصود بالإعجاز هو، إثبات أنَّ القرآن الكريم وحي منه سبحانه وتعالى إلى النبي محمدﷺ فهو من أكبر البراهين على أنَّ القرآن الكريم منزَّلٌ من عليم خبير ولا يمكن أن يكون من تأليف بشر، فكون القرآن الكريم يُخبر عن حقائق علمية عظيمة، سواء تعلَّقت بالآفاق أو الأنفس، ثم يأتي العلم الحديث ليكتشف ما أخبر به القرآن قبل قرون من الزَّمان فيذعن له بالتَّسليم المطلق دون أن يجد ما يعارضه فيه ولو قيد أنملة، كلُّ هذا يجعل طالب الحق يعتقد أنَّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من تأليف البشر، بل هو منزَّل ممن علم ما كان وعلم ما يكون.

فالإعجاز أصل قائم بنفسه، فالقرآن معجز من عدة وجوه: معجز

بفصاحته وبلاغته، معجز بنظمه العجيب، معجز بإيجازه حيث يوجز الكلام في كلمات بشكل لا يقدر عليه بشر، معجز بإخباره بالغيب الماضي وكذا بالغيب المستقبل، معجز بأنَّ سامعه لا يملُّه على كثرة الترداد، وكذا قارئه لا يمل ولو قرأه مئات بل آلاف المرَّات، وكذلك هو معجز بإخباره بأمور علمية في وقت يستحيل اكتشافها أو الوقوف عليها. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ [النساء٨٢-٨٣].

فعندما ندقق النَّظر والتَّمعن في أجزاء هذَا الكون، وأنظمته العديدة والمتداخلة مع بعضها والموجودة في كل كائن من المخلوقات سنجد مدى روعة الدقَّة والتَّنظيم، فسبحانه خالق كل شيء بقدر. والقرآن الكريم عندما يشير إلى الظَّواهر الكونية إنَّما يشير إليها على سبيل إيقاظ العقل من سباته ليتفهم هذه الظَّواهر ويفسرها تفسيرا صحيحا. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]. وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]. وقال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ﴾ [النمل: ٩٣].

وما أحوج علماء المسلمين إلى إدراك قيمة الآيات الكونية في كتاب الله فيقبلوا عليها بالتَّحقيق العلمي المنهجي الدَّقيق بعد فهم عميق لدلالة اللغة وضوابطها وقواعدها.

وبهذَا ارتأينا إلاَّ أن نخوض في هذَا المجال ونشارك أعزَّائنا القرَّاء بكتابنا هذَا والمعنون ب: **(الآيَات الْكَوْنية والإعْجَاز الْعلْمي في الْقُرْآن الْكَريم).**

ونقصد ب **(الآيَات الْكَوْنية)**. آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الكون.

ويهدف هذَا الكتاب إلى:

أولا:

التَّوجيه إلى الاهتمام بالثَّقافة العلمية في مجال العلوم الكونية، وخاصَّة في عصرنا هذَا عصر العقل الالكتروني وعصر الذرة والفضاء لكي نتابع هذَا التَّقدم الهائل ونوجه عقول هذَا الجيل الصَّاعد إلى التَّفكير والدِّراسة والبحث في مجال العلوم الكونية، حتى نلحق بركب العالم الحديث ونكون خلائف في الأرض، فوهب لنا سبحانه وتعالى من الطَّاقات المكنونة ما يمكن لنا بها القيام بالأعباء والواجبات المفروضة علينا، وسخَّر لنا من القوانين الكونية ما يعيننا على تحقيقها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

ثانيا:

يعتبر هذا الكتاب رحلة في الكون بين العلم والإيمان، نقدِّمه لشبابنا لنغرس في نفوسهم الجمع بين حضارة العلم والدِّين الإسلامي الحنيف، ويتكون جيل يحمل رسالة العلم كمحاولة لكشف الحقيقة المتمثلة في خلق الله وأثره في الوجود، وكنُور للطَّريق المؤدي لرؤية آثار الخالق. قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص:٨٧-٨٨].

أمَّا الطَّريقة المتبعة في هذا الكتاب.

تقسيم البحث إلى (٠٥) فصول ثم تقسيم كل فصل إلى مباحث:

١- اختيار الآية المراد دراستها. من المصحف الشَّريف برواية حفص عن عاصم.

٢- معاني الكلمات: شرح الكلمات الصَّعبة في الآية. باعتماد المعاجم التالية:

ابن منظور: (لسان العرب)، الزبيدي: (تاج العروس)، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم.

٣- التَّعريف بالسورة مع أسباب النزول. (إن وُجد). استادا إلى الواحدي النيسابوري: (أسباب النزول). مع أننا لم نذكر كل أسباب النزول واكتفينا بذكر سبب واحد وفي حالات أكثر من سبب.

٤- تفسير الآية بالميول إلى التَّفسير العلمي، لأنَّ للتَّفاسير العلمية مبررات منها: نزل القرآن الكريم لنفهمه والآيات الكونية خاصَّة لا يمكن فهمها في إطار اللغة فقط. فالدَّعوة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، هي الوسيلة لأهل عصرنا، حيث تكالب أعداء الدين وهوجم الإسلام من كل صوب وحدب، وأهم الوسائل وأنجعها للرَّد على هذا الهجوم هو إثبات الإعجاز العلمي للقرآن وللسنة المطهرة. فالعالم يتَّجه اليوم إلى تطور علمي وتقني زيادة عن غياب الوازع الديني، ومخرجنا من هذا ومواجهة هؤلاء لا يمكن إلاَّ بإعجاز علمي واضح. وفي إثارة قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة المطهرة استنهاضا لعقول المسلمين واستثارة للتَّفكير والإبداع فيها، وتشجيعا على استعادة الاهتمام بقضية العلوم والتقنية التي تخلَّف المسلمون فيها تخلُّفا كبيرا. والتَّفسير العلمي: "هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجَّحت صحته من نظريات العلوم الكونية."[٣]

أمَّا الإعجاز العلمي: "فهو سبق القرآن أو السنة النبوية بذكر حقيقة أثبتها العلم التَّجريبي أخيرا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام."[٤]

استنادا إلى ما جاء في كتب التَّفاسير التالية:

---

[٣]- عبدالله بن عبدالعزيز المصلح: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منهج التدريس الجامعي، رابطة العالم الإسلامي، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ط٢(١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م)- ص٣٢.

[٤]- المرجع نفسه، ص٣٢.

✓ **التَّفاسير المعتمدة مثل:**

ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم، وبداية خلق الكون)، الطبري: (تفسير الطبري)، البغوي: (معالم التنزيل)، الزمخشري: (الكشَّاف- ج٢و ج٤)، أبو زيد الثعالبي المالكي: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، عبدالرحمن بن ناصر السعدي: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، الشيرازي: (جامع البيان في تفسير القرآن). محمد علي الصابوني: (صفوة التفاسر).

✓ **الصَّحيحين**

أبو الحسن مسلم: (صحيح مسلم)، أبو عبدالله بن إسماعيل البخاري: (صحيح البخاري).

✓ **التَّفاسير العلمية:**

حميد مجول النعيمي: (بدائع الكون في القرآن الكريم)، حنفي احمد: (التَّفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن)، زغلول راغب محمد النجار: (المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، من آيات الإعجاز العلمي- السماء-، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وتفسير الآيات الكونية في القرآن)، السيد الجميلي: (الإعجاز الطبي في القرآن، الإعجاز العلمي في القرآن)، شبر الفقيه: (نهاية الكون في الفكر القرآني الفلسفي)، عبدالله بن عبدالعزيز المصلح: (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة)، عبدالله فؤاد: (ما يفوق الأذهان)، عزالدين قداري: (عجائب وغرائب علم الفلك)، محمد حسين سلامة: (الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم)، محمد علي حسن الحلي: (الكون والقرآن)، منصور محمد حسب النبي: (الكون والإعجاز العلمي للقرآن)، هند شلبي: (التَّفسير العلمي للقرآن الكريم بين النَّظريات والتَّطبيق)، وحيد الدين خان: (الإسلام يتحدى).

✓ **كتب أجنبية:**

سير جيمس جينز: (النجوم في مسالكها).

✓ **أطروحة علمية:**

أبو إسحاق احمد بن إسحاق الثعلبي: (الكشف والبيان عن تفسير القرآن).

٥- **من أقوال عن المفسرين:** بحسب ما جاء في كتب التَّفاسير المذكورة أعلاه.

وأتمنَّى أن يكون هذا الكتاب فاتحة خير لبحوث جديدة، ومنهجا لائقا لمحاولات صادقة ينهض بها علماء الأمَّة الإسلامية كل في ناحية اختصاصه، يستجلون بها ويعرضون على الناس ما اشتمل عليه كتاب العزيز القدير من نور العلم ومعالم الهداية حتى تتَّضح للأمَّة رسالة القرآن وما تحمله من خير عظيم للبشرية جمعاء، وأن يسلكوا الطَّريق المؤدي إلى الهداية والرُّشد.

وإذا كان المسلم مأمور بأن يؤمن بآيات الله الكريمة، فإنَّه ملزم أيضا بتدبر آياته الكونية لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَاب﴾ ولا أحد ينكر أنَّ الإيمان عن علم وبصيرة هو أرقي درجات الإيمان وأسلم طريق إلى استقرار الخواطر واطمئنان القلوب.

وفي الأخير اعتذر لأعزائنا القراء إن كانت هناك هفوة أو كان هناك خطأ فهو مني، وإن وُفقت فهو من توفيقه سبحانه علاَّم الغيوب.

عمارة عبدالمالك

١- الفصل الأول: السَّماوات والأرض في القرآن الكريم
١-١ المبحث الأول: خَلْق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض
١-٢ المبحث الثاني: الأرض
١-٣ المبحث الثالث: الأرض المفطورة
١-٤ المبحث الرابع: مد الأرض
١-٥ المبحث الخامس: إنقاص الأرض من أطرافها
١-٦ المبحث السادس: كروية الأرض ودورانها
١-٧ المبحث السابع: دحو الأرض
١-٨ المبحث الثامن: خسف الأرض

١-الفصل الأول: السَّماوات والأرض في القرآن الكريم

١-١المبحث الأول: خَلْق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض

من المعروف علميا أنَّ الكون أخذ شكله الحالي منذ أزمان وآماد طويلة، ولم يستطع العلم تحديد مدتها، والقرآن الكريم أشار في آيات عدَّة إلى الفترة التي استغرقها خلق السَّماوات والأرض، وهذه الآيات تؤكد عظمة الخالق وقدرته في الإيجاد.

و وردت لفظة (السَّماء) في القرآن الكريم بصيغة الجمع والإفراد في (٣١٠) مواضع، منها (١٢٠) بصيغة الإفراد (السَّماء) و (١٩٠) بصيغة الجمع (السَّماوات) منها مُعرَّفة ومنها غير مُعرَّفة. وكل لفظة (سماء) تأتي في القرآن الكريم على الإفراد يريد بها الفضاء، والفضاء ليس فارغا من شيء بل فيه طبقات غازية وأثيرية وأجرام مادية، وكل لفظ (سماوات) تأتي في القرآن بصيغة الجمع يريد بها إحدى هذه الثَّلاث. ونحن على سطح الأرض نشاهد السَّماء بألوانها المختلفة تتلون حسب الوقت والظروف الجوية، خلال النهار تظهر لنا زرقاء اللَّون، وعند شروق الشَّمس وغروبها نشاهدها بألوان مختلفة، وفي الليل ظلماء ما يظهر الاَّ النجوم، وما هذه الألوان إلاَّ

ظواهر فيزيائية معروفة ناتجة عن انكسار ضوء الشَّمس في الغلاف الجوي للأرض.

وذكر سبحانه وتعالى لفظة الأرض في (٤٦١) موضعا من الآيات في القرآن الكريم، كما اقترن رقم (٧) بالسَّماوات والأرض. والآيات كثيرة تشير إلى أنَّ السَّماوات متعددة وهي (٧) سماوات قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [المؤمنون٨٦]. وذكرها ب طباقا. قال: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا﴾ وذكر في آية أخرى سماوات شداد. فقال: ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا﴾ [النبأ: ١٢] وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ﴾ [الطلاق:١٢]. وسنطرَّق إلى كل هذا بالتفصيل إن شاء الله.

***قال تعالى: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ..﴾ [الأنبياء:٣٠].**

معاني الكلمات: "رَتْقًا- الرَّتْقُ: ضد الفَتْق. ابنُ سيدَهْ: الرَّتْقُ إِلْحَام الفَتْق وإِصْلاحُهُ. رتَقَهُ يَرْتِقه ويَرتُقُهُ رَتْقا فارتَتَقَ أي الْتَأم. يُقالُ: رتَقْنا فَتْقَهُم حتى ارْتَتَقَ."[٥] "فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ: شققناهما."[٦]

الآية (٣٠) من سورة الأنبياء، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (١١٢) آية بعد البسملة، وهي تعالج موضوع العقيدة الإسلامية في ميادينها الكبيرة (الرسالة، الوحدانية، البعث والجزاء).

سميت بهذا الاسم؛ لأنها اشتملت على ذكر معظم أسماء الأنبياء الكرام والمرسلين.

أما أسباب النزول: قيل: جاء عبدالله بن الزبعرى إلى النبيﷺ فقال: يا محمد، تزعم إنَّ الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ

---

[٥]- ابن منظور: لسان العرب، ج١، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، ص١٦٠٣.

[٦]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، طبعة منقحة، ج١، (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، جمهورية مصر العربية، ص ٨٣٧.

ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨]. فقد عُبدت الشَّمس والقمر والملائكة وعُزير وعيسى صلوات الله عليهم، أو كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ "فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١]."[٧]

ومحورالسورة يدور حول العقيدة ككل السور المكية، أشارت في بدايتها إلى قرب الحساب للغافلين المعرضين، ثم الإشارة الثانية قصم القرى الظَّالمة، وتحدثت عن الألوهيّة ووحدانية الخالق سبحانه وتعالى عما يشركون، ثم تطرقت إلى الآيات الكونية العجيبة وما فيها من إعجاز وبلاغة، وتم في هذه السورة سرد قصَّة نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم ذكرت أسماء بعض الأنبياء ك (لوط، ونوح، وداود، وسليمان، ومريم العذراء التي أحصنت فرجها وكانت من الصَّالحين).

وختمت السورة بمطلع خبري مشابه لافتتاحها وبذكر اقتراب الوعد الحق، ووعد ووعيد يناسب المقدمة، وإكمال للرد على ما في أولها ببيان للرَّسول ما أُرسل إلاَّ رحمة للعالمين. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرۡسَلۡنَاكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

استهلت الآية الكريمة بتنبيه الذين كفروا بربهم، لتعرِّفهم بأنَّ هذا الكون الشَّاسع الكبير العريض مخلوق له بداية، خلقه الله من جرم ابتدائي واحد (الرَّتق)، ثم أمر سبحانه علاَّم الغيوب وهو القادر المقتدر بفتق هذا الجرم، وتحول بعد هذا إلى غلالة من الدخان، وخلق منها (الأرض[٨]) والسَّماء وجميع أجرام السَّماء وما بينها من مختلف صور المادة

---

[٧] - أبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨): أسباب النزول، تخريج وتدقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، ط٢، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) دار الاصلاح، الدمام، المملكة العربية السعودية. ص٣٠٥.

[٨] - اعلم أن الأرض كانت شمسا في بدء تكوينها وهي جرم ملتهب تنبعث منها غازات تملأ فضائها، ولما انتهت حياتها برد وجهها فاستحالت أرضا، ثم انفجرت فصارت تسع قطع

والطَّاقة. وبعد هذا الانفجار الكوني العظيم، أصبحت كمية الطَّاقة المتوفرة في الكون تسمح بتكون جسيمات مثل (الإلكترون) الذي يحمل شحنة سالبة، و(البوزيترون) الذي يحمل شحنة موجبة. وقد أفنت بعضها البعض، تاركة محيطا من الإشعاع الحار تسمَّى فتونات الطَّاقة والتي انتشرت في كل الكون. وأشار بعض علماء الفلك أنَّ أثناء الانفجار كانت هناك أجزاء صغيرة نتجت عن الانفجار حيث بدأت هذه الأجزاء في تجمع وشكلت ذرة الهيليوم والهيدروجين، "استغرق تكوين الهيليوم والهيدروجين تحديدا ثلاث دقائق من وقت الانفجار."[٩] وهما العنصران الأساسيان لتتشكَّل منهما المجرات والنجوم.

ففي سنة ١٩٤٨ أعلن كل من (جورج جاموف[١٠]) و (رالف الفر[١١]) أنَّ الجرم الأولي الذي بدأ به الكون كان ضغط ودرجة حرارة عالية، وعن الانفجار انتقلت تلك الحرارة إلى سحابة من الدخان، نتجت عنه الانفجار وسمحت بعدد من التَّفاعلات النَّووية أدَّت إلى تكون الإيدروجين والهيليوم.

في سنة ١٩٦٤م تمكَّن اثنان من علماء مختبرات (بل) للأبحاث من اكتشاف تلك البقايا الأثرية للإشعاع الحراري الكوني على هيئة ضوضاء لاسلكية إلى الهوائي الذي كانا قد نصباه.

وأخذت تدور حول شمس جديدة. (انظر محمد علي حسن الحلي: الكون والقرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان- ص١٣.).

[٩] - عبدالله فؤاد: ما يفوق الأذهان، الانفجار العظيم، ص١٥.

[١٠] - جورج جاموف: ولد في (٤ مارس ١٩٠٤)، وتوفي في (١٩ أغسطس عام ١٩٦٨)، عالم فيزياء روسي، كان يقوم بالبحث العلمي في الفيزياء النظرية وفي علم الكون الفيزيائي. قام بأبحاث عديدة في مجال النشاط الإشعاعي لأنوية الذرات، وتطور النجوم، وتخليق العناصر في النجوم، وتخليق النوكليدات وله بحوث في الانفجار العظيم وفي إشعاع الخلفية الميكروني الكوني.

[١١] - رالف ألفر: ولد في (٣ فبراير عام ١٩٢١)، وتوفي في (١٢ أغسطس ٢٠٠٧) عالم فيزياء أمريكي، وكان أحد العلماء الأمريكيين الذين نبغوا في علم الكون الفيزيائي.

ونظرا للأبحاث الجارية على مستوى أهل الاختصاص في هذا المجال، ففي سنة ١٩٨٩م أرسلت مؤسسة (ناسا) الأمريكية قمرا صناعيا لجمع المعلومات حول الإشعاع الحراري الكوني ويسمَّى (كوب) أثبتت وجود تلك الأشعة الأثرية المتبقية عن عملية الانفجار العظيم، ومن بين الأدلة على ذلك الأزيز اللاسلكي الذي يعج به الكون والذي يأتي إلينا من مختلف أطراف الكون المدرك. ألم يقل علاَّم الغيوب ﴿أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾؟.

من أقوال المفسرين

"أي: أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بربهم، وجحدوا الإخلاص له في العبودية، ما يدلهم دلالة مشاهدة، على أنَّه الرب المحمود الكريم المعبود، فيشاهدون السَّماء والأرض فيجدونهما رتقا، هذه ليس فيها سحاب ولا مطر، وهذه هامدة ميتة، لا نبات فيها، ففتقناهما: السَّماء بالمطر، والأرض بالنَّبات."[١٢]

"﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ أي كانتا شيئا واحدا ملتحم الأجزاء فشققناهما وفصلنا بينهما."[١٣]

"وقد سمَّى سبحانه وتعالى مادة السَّماء قبل تكوينها بالدخان، لأنَّ الدخان يتكون عموما من قوام غازي حيث تعلق به جزئيات دقيقة تنتمي إلى مواد صلبة أو تتحول إلى مواد سائلة مع درجة في الحرارة قد تقل أو تكثر، ولأنَّ مادة السَّماء الأولية قبل خلقها كان لها من الصّفات ما يشبه صفات الدخان العادي الذي يتصاعد من النّيران أي أنها كانت مادة

---

[١٢]- عبدالرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار السلام للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. ط٢، (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م)، مج٣، ص٦٠٨.

[١٣]- حنفي احمد: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، دار المعارف، مصر، ص٢٠٢.

مظلمة بذاتها مفكَّكة الأجزاء خفيفة ومنتشرة في الفضاء كما ينتشر السَّحاب، ساخنة إلى حد ما إذ أنَّ الدخَّان لا يصدر إلاَّ من أصل ناري (مظلمة داكنة) وأنها مثل الدخَّان العادي كانت حاوية لدَّقائق أنواع المادة الثَّلاثة من صلبة وسائلة وغازية."[١٤]

"﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي كانتا شيئا واحدا متَّصلا ببعضه، ومن ذلك القول: هو يرتق الفتق أي يسده."[١٥]

"﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ أي: كان الجميع متَّصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم، بعضه فوق بعض ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه. فجعل السَّماوات سبعا، والأرض سبعا، وفصل بين سماء الدنيا والأرض بالهواء."[١٦]

***قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذِاريات:٤٨].**

معاني الكلمات: "بَنَيْنَٰهَا: أي شيدناها وأحكمنا خلقها."[١٧] "بِأَيْيْدٍ- أيد: قوة وقدرة وإتقان. لَمُوسِعُونَ: لمزيدونها اتساعا."[١٨]

الآية (٤٧) من سورة (الذاريات) هي سورة مكية، وعدد آياتها (٦٠) آية بعد البسملة. تقوم على تشييد دعائم الإيمان، وتوجيه الأبصار إلى

---

[١٤] - شبر الفقيه: نهاية الكون في الفكر القرآني الفلسفي، رؤية ابستيمولوجية- معرفية، مقارنة في نشأة الكون ونهايته، دار البحار بيروت، ص٩١.

[١٥] - السيد الجميلي: الإعجاز العلمي في القرآن، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دار الوسام للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط٢، (١٩٩٢)، ص١٦.

[١٦] - أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي: (٧٠١-٧٧٤)، تفسير القرآن العظيم، ط ج، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان، ط١ (١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م)، ص١٢٣٥.

[١٧] - محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج١، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٤، (١٤٠٢هـ -١٩٨١م)، ص٢٥٧.

[١٨] - انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٧، ١١٧٨.

قدرة الله الواحد القهَّار، وبناء العقيدة الرَّاسخة على أُسس التَّقوى والإيمان.

أما أسباب النزول: ذُكر سبب واحد. قال مجاهد: خرج علي متعجرا ببرد، مشتملا بخميصه، فقال: لما نزلت ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ [الذاريات:٥٤]. أحزننا ذلك وقلنا: أمر رسول اللهﷺ أن يتولى عنا، حتى نزل ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

وتبدأ السورة بالقسم بأنَّ الرزق بيد الله، فهو الذي يسوق السَّحاب، وهو الذي يسخّر الرّيح للسفن، وهو الذي جعل الملائكة أصنافا تقسم الأمور، فليدْعوه ويتجهوا إليه وحده.

ثم تطرقت السورة إلى صنفين من الناس، ورسمت صورة الكافرين يذوقون عذاب جهنَّم ويقال لهم: ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون، أي: تعرضوا لعذاب النَّار وقد كنتم تستعجلون مجيئه، أما الصورة الأخرى، فهي لفريق مستيقن بالآخرة، مستيقظ للعمل الصَّالح، فريق المتَّقين.

وتناولت بعد ذلك جانبا من قصَّةِ نبي الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وقصَّة نبي الله (موسى[١٩]) -عليه الصلاة والسلام- معَ فرعون وبني إسرائيل، وتذكرُ حادثة غرق فرعون وجنوده في البحر، ثم تحدثت عن قوم عاد وثمود، وعن أحد جوانب قصَّة نبيّ الله نوح -عليه السلام.

واختتمت السورة بأهمية عبادة الله، والتَّذكير أنَّه الرزاق ذو القوة المتين، مع تحذير الظَّالمين من العذاب في الدَّارين.

وتستهل الآية الكريمة ببناء السَّماء. قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ والمقصود بالأيد: القوة والحكمة والاقتدار. وهو القوي العزيز القادر

---

[١٩] - موسى: اسم عبراني معرب عن (موشى)، (مو) بالعبرانية: الماء، و (شى) الشجر، سمي به لأنه أخذ من بين الماء والشجر. وهو اسم نبي بني إسرائيل عليه الصلاة والسلام، وهو علم اعجمي لا يقضى عليه بالاشتقاق، وهو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب.

المقتدر: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. والقوة أوضح ما يُنبئ عنه بناء السَّماء الذي يعني ما يعنيه، يعني ما يحويه من مدارات النجوم والكواكب، أم مجموعة من المجموعات النَّجمية التي يطلق عليها اسم المجرة وتحوي مئات الملايين من النجوم، أم طبقة من طبقات هذا الفضاء الذي تتناثر فيه النجوم والكواكب، أم غير هذا من مدلولات كلمة السَّماء.

قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ والسّعة من الظَّواهر الكونية فهذه النجوم ذات الأحجام الهائلة والتي تعد بالملايين، لا تعدو أن تكون ذرات متناثرة في هذا الفضاء الواسع، ويشير إلى حقيقة توسّع هذا الكون باستمرار إلى أن يشاء الخالق، حيث ثبت أنَّ المجرات تتباعد عن بعضها وعنا وتتزايد في بُعدها عن مجرتنا. وكما تُشير ظاهرة توسّع الكون إلى تخلق كل من المادة والطَّاقة، لتملأ المساحات النَّاتجة عن هذا التَّوسع. وإذا عدنا بهذا التَّوسع إلى الوراء مع الزَّمن، حتما ستلتقي كل من صور المادة والطَّاقة وكذلك المكان والزَّمان في نقطة واحدة، وهي النقطة التي بدأ منها الانفجار العظيم، وأشارت النَّظرية النّسبية ل (أنشتاين) "أنَّ الكون الذي نحيا فيه غير ثابت، فهو إمَّا أن يتمدَّد أو ينكمش."[٢٠] صدق العلي القدير القائل: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾. ولتبقى هذه الومضة القرآنية الباهرة مع الآيات القرآنية، شهادة صدق بأنَّ القرآن الكريم هو كلام الخالق، وأنَّ سيدنا محمدﷺ هو خاتم أنبيائه ورسله.

"ففي سنة ١٩١٤م ادرك الفلكي الأمريكي (سلايفر) (Slipher) أنَّه بتطبيق ظاهرة دوبلر على الضوء القادم إلينا من النجوم، في عدد

[٢٠]- زغلول راغب محمد النجار: من آيات الاعجاز العلمي، (السَّماء)، في القرآن الكريم، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط٤ (١٤٢٨-٢٠٠٧)، ص٨٥.

المجرات البعيدة عنا، ثبت له أنَّ معظم المجرات التي قام برصدها تتباعد عنا وعن بعضها البعض بسرعات كبيرة."[٢١]

من أقوال المفسرين

"قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾- أي: خلقناها وأتقناها، وجعلناها سقفًا للأرض وما عليها."[٢٢]

"قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ هذه السَّموات تتَّسع باستمرار فليست جامدة ولا ثابتة حيث انجلى ذلك واضحا للعلم الحديث الذي تحقَّق منها بأساليبه المتطورة."[٢٣]

"قوله: ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ أي: بقوة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والثوري، وغير واحد: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، أي: قد وسَّعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد، حتى استقلت كما هي." [٢٤]

***قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧].**

معاني الكلمات: "ٱلْحُبُكِ: الطرائق أو المحكمات."[٢٥] "ٱلْحُبُكِ: الطرائق جمع حبيكة كطريقة وزنا ومعنى قال الزجاج: الحبك الطرائق الحسنة، والمحبوك في اللغة ما أُجيد عمله."[٢٦]

تستهل الآية الكرمة بقسَمه سبحانه وتعالى بالسَّماء ذَات الطُّرق المحكمة، وبحسب ما توصل اليه علماء الفلك من دراسات أنَّه وبوجود مجرات مختلفة في حجومها وما تحويه من نجوم وكواكب، وفي هذه المجرات مجرات عملاقة ومجرات قزمة، فالمجرات القزمة تحتوي على عدد هائل من النجوم تتراوح حوالي ١٠ ملاين نجم، أما المجرات العملاقة

---

[٢١]- زغلول النجار: من آيات الاعجاز العلمي، (السَّماء)، المرجع السابق، ص٨٤.

[٢٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٩٥٧.

[٢٣]- السيد الجميلي، المرجع السابق، ص٥٩.

[٢٤]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٧٦٦.

[٢٥]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٦٧.

[٢٦]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٢٥١.

تحتوي على ما يقارب ١٠٠٠ مليارات نجم، ومجرة درب التبانة تحوي على ١٠٠- ٢٠٠ مليار نجم، أما عدد نجوم الكون يقدر تقربا ٣٠٠٠٠ مليون × مليون × مليون نجم تقربا زيادة عن مليارات الكواكب والأقمار والأجرام السَّماوية الأخرى. فسبحانه القائل: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾. وقال: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الانبياء: ٣٣].

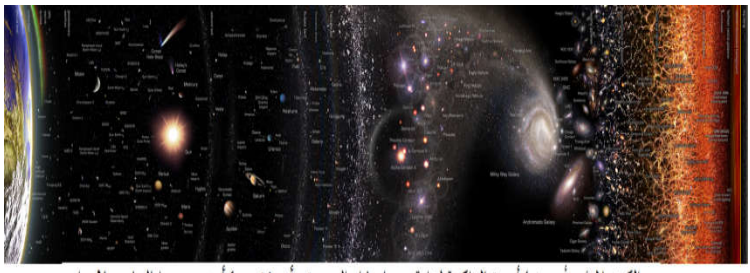

الكون المرئي بأحدث الأجهزة الفلكية لغاية يومنا هذا والصورة مأخوذة من الأرض صعودا إلى ابعد المجرات

من أقوال المفسرين

"قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ أي وأقسم بالسَّماء ذَات الطرائق المحكمة والبنيان المتقن."[٢٧]

"أي: والسماء ذات الطرائق الحسنة، التي تشبه حبك الرمال، ومياه الغدران، حين يحركها النسيم."[٢٨]

***قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [العنكبوت:٤٤].**

معاني الكلمات: "بِٱلۡحَقِّ: بمعنى الحكمة والمصلحة. لَأٓيَةٗ: علامة ومعجزة ودلائل."[٢٩]

الآية (٤٤) من سورة العنكبوت وهي سورة مكية، نزلت بعد سورة الروم، وآياتها (٦٩) آية بعد البسملة، وموضوعها (الوحدانية والرّسالة والبعث والجزاء.

---

[٢٧] - محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٢٥١.

[٢٨] - السعدي، المرجع السابق، ص٩٥٤.

[٢٩] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص٣٠٩،١٠٩.

سميت سورة العنكبوت لأن الله ضرب العنكبوت فيها مثلا للأصنام المنحوتة والآلهة المزعومة ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾.

أما أسباب النزول: ذُكر لها (٠٥) أسباب منها قوله تعالى: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ يقال: نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام، فكتبوا إليهم من المدينة أن يهاجروا، فهاجروا فأتبعهم المشركون وآذوهم، "فنزلت فيهم الآية."[٣٠]

أما محور السورة يدور حول الإيمان وشدة الابتلاء في هذه الحياة، وقد نزلت سورة العنكبوت في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة قبل الهجرة، وكانت هذه الفترة من أقسى الفترات ولذلك تعرَّضت السورة لتثبيت المؤمنين على الإيمان، وبيان أنَّ هناك ضريبة يدفعها المؤمن، هي الفتنة والامتحان بالإيذاء أو بالإغراء أو بالوعد. وتناولت قصص الأنبياء السَّابقين وجهادهم وبلاءهم، ثم إهلاك الكافرين وانتصار المؤمنين، وسميت سورة العنكبوت بهذا الاسم لتكرّر ذكر العنكبوت فيها في قول تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

تستهل الآية الكريمة بخلقه سبحانه وتعالى للسَّماء والأرض، وهو الحق الكامن الذي قامت به السَّماوات والأرض، في ذلك النّظام الدَّقيق الذي لا يتخلف ولا يبطئ ولا يختلف ولا يصدم بعضه بعضا، لأنَّه حق متناسق لا عوج فيه. والمؤمنون هم الذين يدركونها، لأنهم مفتوحو البصائر والمشاعر للتَّلقي والإدراك.

من أقوال المفسرين

"أي: هو تعالى المنفرد بخلق السَّماوات، على علوها وارتفاعها وسعتها

---

[٣٠]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٣٤٠.

وحسنها وما فيها من الشَّمس والقمر والكواكب والملائكة، والأرض وما فيها من الجبال والبحار والبراري والقفار والأشجار ونحوها." [٣١]

"قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالغرض الصَّحيح الذي هو حق لا باطل، وهو أن تكونا مساكن عبادة وعبرة للمعتبرين." [٣٢]

"﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي: لدلالة واضحة على أنَّه تعالى المتفرد بالخلق والتَّدبير والإلهية." [٣٣]

***قال تعالى: ﴿إِنّ رَبَّكُمُ اللّهُ الّذِي خَلَقَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتّةِ أَيّامٍ ثُمّ اسْتَوَىَ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الّلَيْلَ النّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً..﴾ [من الآية ٥٤: الأعراف].**

معاني الكلمات: "الأعراف: جمع عرف وهو: مارتفع من الجبل، ويراد به الحاجز بين الجنة والنار. استوى على العرش: استقرَّ عليه كيف شاء. يُغْشِي الّلَيْلَ النّهَارَ: يجعل النهار مظلما. يَطْلُبُهُ. حَثِيثاً: يعقبه مسرعا كالطَّالب له الحريص عليه." [٣٤]

الآية (٥٤) من سورة الأعراف وهي سورة مكية آياتها ست ومائتان (٢٠٦) آية بعد البسملة، تناولت قصص الأنبياء وهي تعنى بأصول الدعوة الإسلامية من توحيد الخالق وتقرير البعث والجزاء وتقرير الوحي والرّسالة.

وتطرقت السورة في بدء آياتها إلى معجزة محمد الخالدة، ولفتت الأنظار إلى خلق الإنسان وإلى الوسوسة الشَّيطانية وحذَّرت كل المخلوقات البشرية من الوقوع في نفس الوسوسة والتَّحذير من عدوه هذا والذي قال

---

[٣١] - السعدي، المرجع السابق، ص٧٤١.

[٣٢] - جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: (٤٦٧- ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل، ج٤، مكتبة العبيكات، الرياض، ط١، (١٤١٨- ١٩٩٨م)، ص٥٥٠.

[٣٣] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٤٣٦.

[٣٤] - انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٦١٢، ٦١٢، ٨١٥، ٢٦٩.

لربه: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ثم تناولت قصص الأنبياء وقد ابتدأت بشيخ الأنبياء نوح عليه السلام.

وسميت بسورة الأعراف لورود اسم الأعراف فيها وهو سور مضروب بين الجنة والنار.

واختتمت السورة بتوجيهات للنبيﷺ وللأمة، وفي آخر الآية الإخبار عن سجود الملائكة لله، وتسبيحهم، وعدم استكبارهم.

وتستهل الآية الكريمة بخلق الله سبحانه وتعالى لهذا الكون المشهود في ضخامته وفخامته. والذي استعلى على هذا الكون يدبّره بأمره ويصرفه بقدره. ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾. وهي دورة دائبة: دورة الليل يطلب النهار في هذا الفلك الدَّوار.

ووردت كلمة الأرض في هذه الآية بصيغة المفرد لحكمة منه سبحانه في التَّنزيل مع أنَّه خلق أرضين متعددة، وذلك أنَّ الناس لا يرون سوى الأرض التي يعيشون عليها. فلو وردت بصيغة الجمع حين يكون المقصود منها مجموع الأرضين لاندهش الناس ولوجدوا تعارضا بين ما يرونه من أرض واحدة وما يذكره سبحانه وتعالى من أرضين. لذلك أنزلت بصيغة المفرد. ليكون لظاهرها معنى مناسب لعقول عامة الناس. أما ذكره سبحانه للأيام الستة فهي في علم غيبه، الذي لا مصدر لإدراكه إلاَّ هذا المصدر. فعلينا أن نقف عنده ولا نتعدَّاه. والمقصود بذكرها هو الإشارة إلى حكمة التَّقدير والتَّدبير والنظام، الذي يسير به الكون من بدئه إلى منتهاه. وقال في آية أخرى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ دون أن يذكر ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في الآية السَّابقة. فيكون مفاد هذا أنَّه خلق أثناء خلق السَّموات والأرض في مدة زمنية قدَّرها ب ستة أيام خلق ثالثا بينهما (ولم يعينه) وأنَّ هذا الخلق الذي أوجده الله بين السَّماوات والأرض يختلف نوعه عن نوع السَّماوات والأرض. وقيل: ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أنها ست نوبات أو وقائع في ستة أزمنة لا يعلمها إلاَّ الله.

وقوله: ﴿ثم﴾- للبعد المعنوي. ﴿اسْتَوَى﴾ تبارك وتعالى ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾- والاستواء على (العرش."[٣٥]) كناية ودلالة عن مقام سيطرته سبحانه العلي القدير العلوية الثابتة الرَّاسخة، بيَّن لنا هذا باللغة التي نفهمها نحن البشر ونمتثَّل بها، على طريقة القرآن الكريم في التَّصوير. وقوله: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ أي: يذهب ظلام الليل بضياء النهار، وضياء النهار بظلام الليل، وكل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا، أي: سريعا. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا..﴾ [من الآية ٥٤: الأعراف].

من أقوال المفسرين

"أنَّ خلق السَّموات والأرض تم في ستة مراحل زمنية طويلة أو فترات زمنية طويلة، وأن الأرض لم تنفصل عن الشَّمس بل الأرض انفصلت عن السَّماء، ولها تكوين خاص وللسَّماء وما فيها من أجرام تكوين خاص." [٣٦]

"﴿فِي سِتّةِ أَيّامٍ﴾ معناه في ستة أزمنة لا يعلم حقيقة مقدارها سواه تعالى. وقال أبو السعود: إنَّ المقصود منها: في ست نوبات أي ست وقائع وحوادث. "[٣٧]

"﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ أي يغطي الليل على النهار فيذهب بضوئه ويطلبه سريعا."[٣٨]

---

[٣٥]- العرش: طبقة أثيرية وموقعه فوق الجنان أي فوق السَّماوات الأثيرية. فهن الحاملات للعرش. قال تعالى: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ) (الحاقة:١٧) والمعنى يحمل عرش ربك فوق أهل المحشر ثمانية سماوات أثيرية. لأنها اليوم سبعة فإذا صار يوم القيامة تكون ثمانية. والثامنة وليدة أرضنا. (انظر محمد علي حسن الحلي، المرجع السابق، ص٣) . أما في معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص٧٥٦. عرش ربك: حقيقة لا يعلمها إلا الله.

[٣٦]- شبر الفقيه، المرجع السابق، ص٢٥٢.

[٣٧]- حنفي احمد، المرجع السابق، ص١٣٢.

[٣٨]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٤٥٠.

"﴿اسْتَوَى﴾ تبارك وتعالى ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ العظيم الذي يسع السَّماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، استوى استواء يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك، ودبر الممالك، وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدّينية."[٣٩]

"يخبر تعالى بأنَّه خلق هذا العالم: سماواته وأرضه، وما بين ذلك في ستة أيام، كما أخبر بذلك في غير ما آية من القرآن، والستة الأيام هي: الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة- وفيه اجتمع الخلق كله، وفيه خلق آدم، عليه السلام. واختلفوا في هذه الأيام: هل كل يوم منها كهذه الأيام كما هو المتبادر إلى الأذهان؟ أو كل يوم كألف سنة، كما نص على ذلك مجاهد، والإمام أحمد بن حنبل، ويروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس؟ فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق؛ لأنه اليوم السابع، ومنه سمي السبت، وهو القطع." [٤٠]

***قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ..﴾. [فصلت:.٩ الى١٢].**

معاني الكلمات: "أَندَادًا: جمع نِد، وهو النَّظير. رَوَاسِيَ: جبال راسية. أَوْحَى: سخَّر. بَارَكَ فِيهَا: جعل فيها الخير والنَّماء. قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا: دبَّرها وحدَّدها. "[٤١] "اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ: أي عمد إلى حلقها وقصد إلى تسويتها."[٤٢] "ائْتِيَا طَوْعًا: انقيادا سهلا. فَقَضَاهُنَّ: أتمهن. زَيَّنَّا: حسَّن وجمَّل. "[٤٣]

---

[٣٩] - السعدي، المرجع السابق، ص٣٢٧.

[٤٠] - ابن كثير، المرجع السابق، ص٧٦١.

[٤١] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٨٢، ١٢٩، ٨٨٢، ٧١٨، ٩٠٢.

الآيات (١٢) إلى (١٩) من سورة فصلت، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٥٤) آية بعد البسملة.

أما أسباب النزول: ثبت سبب نزول واحد. عن بن مسعود قال: كنت مستترا بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر: قرشي، وختناه ثقفيان، أو ثقفي وختناه قرشيان، فتكلموا بكلام لم اسمعه، أترون الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: أرانا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفعها لم يسمعه، فقال الأخر: إن سمع منه شيئا سمعه كله، قال: فذكرت ذلك للنبيﷺ فأنزل الله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢-٢٣].

ويدور المحور الرئيسي للسورة حول القرآن الكريم، والذي أنزله رب العالمين هدى للناس وبينات، أنزله رحمة للعالمين رغم صدود الظَّالمين، وقد بدأت السورة بالحروف المتقطعة (حم) بيَّنت ممن نزل هذا الكتاب المبيين، وفصَّلت آيات هذا الكتاب، وبيَّنت السورة الصراع القائم بين الإيمان والكفر، وأكَّدت على اصطفاء نبيهﷺ بالرسالة وتلقي الوحي منه سبحانه القادر لمقتدر، وبيَّنت أنَّ جوارحهم ستشهد على تكذيبهم، دعت السورة إلى توحيده تعالى بلا منازع، وتنذر المعرضين عن دين الله بالعقاب المهين.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أغلبية العلماء ترى أنَّ (ثم) لا تدل هنا على التَّرتيب والتَّراخي، فقد تدل على أنَّ دحو الأرض قد تمَّ بعد عملية الاستواء والتَّسوية للسَّماوات السَّبع من السَّماء الدخانية الأولى. لأنَّ من معاني (ثم) هنا هي إشارة للبعيد. وذكر في الآية (السَّماء) بصيغة المفرد، فعندما كانت السَّماء مادة واحدة، قبل أن تجعل سبع سماوات،

---

[٤٢] - محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص١١٧.

[٤٣] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٠١،٩٠٢،٥٣٩.

ولقد تبيَّن حديثا وبعد اكتشافات أنَّ غاز الإيدروجين هو الغاز الكوني الذي تكوَّنت منه الأجرام السَّماوية. "وقد تمَّ طبخ ذرات العناصر الأخرى الأثقل من الإيدروجين داخل النجوم."[٤٤] وبعد هذه العملية المذكورة، تكوَّنت الكواكب والأقمار من النجوم، وصدق العلي القدير بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾. والاستواء هنا يعني القصد. والقصد من جانبه سبحانه علاَّم الغيوب هو توجه الإرادة. والسَّماء لغة اسم مشتق من السّمو بمعنى الارتفاع والعلو، وعلى ذلك فإنَّ سماء كل شيء أعلاه، والمقصود بالدخان الحالة الغازية التي تحتوي الإيدروجين وعناصر أثقل متبخرة من شدة الحرارة. وقال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾- دلالة على أنَّ كل سماء مستقلة بذاتها منفصلة عن الأخرى بخلاف الأرض. أما الأبحاث الحديثة التي توصل إليها العلماء بمشاهدتهم لمظاهر الكون أنَّ المادة كانت جامدة وساكنة، على هيئة غاز ساخن كثيف ومتماسك، وبعد هذا حدث انفجار عنيف في هذه المادة فبدأت المادة بالتَّمدد والتَّباعد من أطرافها.

جاء ذكر السَّماء بمعنى (الطّباق[٤٥])، وجاء ذكرها أيضا بمعنى الشّداد، كقوله: ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا﴾ [النبأ:١٢]. وجاء ذكر السَّماوات السَّبع في القرآن الكريم في سبع آيات. يقول تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [الإسراء:٤٤]. ويقول: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [المؤمنون:٨٦]. ويقول: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت:١٢]. ويقول: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ﴾ [الطلاق:١٢]. ويقول: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ [الملك:٣]. ويقول: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ

---

[٤٤]- منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٧٤.

[٤٥]- الطّباق، طباقا: طبقة فوق طبقة. أي: سماء فوق سماء. (انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق)، ص٧٠٥.

طِبَاقًا﴾ [نوح:١٥]. ويقول: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ:١٢]. هذه الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى أنَّ السَّماوات متعدّدة، وأنَّ عددها سبعة سماوات على شكل فلك مستدير مقفل على نفسه، قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ..﴾ [الرحمن:٣٣]. وهنا أقطار تعني الجوانب التي يتوصَّل منها إلى الشيء نفسه. "الله الذي خلق سبع طبقات (أثيرية[٤٦]) في قديم الزَّمان ثم خلق الأرض سبع طبقات غازية."[٤٧]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف:٥٤]. أي خلق السَّماوات والأرض في زمن معلوم عنده لا يعلمه إلا هو..

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ..﴾ [فصلت:٩]. أي خلق الأرض في يومين. وهو الزَّمن المعلوم في غيبه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ..﴾ [فصلت:١٠]. أي: جعل فيها الرَّواسي وهي الجبال في أربعة أيام وهي بين مجموع الخلق يومين وجعل الرَّواسي في يومين آخرين ويساوي أربعة أيام. وهو الزَّمن الذي لا يعلمه سواه. قال: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف:٥١]. وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]. وقال: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء:٢٢].

قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:١٢]. أي

---

[٤٦]- أثيرية: لقد عرَّف علماء عصرنا الأثير وحقَّقوه وقالوا أنَّه يملأ الفضاء ولولا وجوده لما دارت الكواكب السَّيَّارة في أفلاكها بل لسقطت في الفضاء على رغم قوة الجاذبية لأنَّ الأثير هو الحامل لهذه الأجرام. (انظر محمد علي حسن الحلي، المرجع السابق، ص٣١.)

[٤٧]- المرجع نفسه، ص٢٧.

خلق سبع سماوات في يومين ويساوي المجموع ستة أيام بين خلق السَّماوات والأرض. وهو الزَّمن الذي لا يعلمه سواه. والله اعلم.

من أقوال المفسرين

"ينكر تعالى ويعجِّب، من كفر الكافرين به، الذين جعلوا معه أندادا يشركونهم معه، ويبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم، ويسوونهم بالرب العظيم، الملك الكريم، الذي خلق الأرض الكثيفة العظيمة، في يومين."[٤٨]

"قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾، وهو: ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين السَّابقين أربعة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ أي: لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه."[٤٩]

"﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي في تمام أربعة أيام، إذ أنَّه خلق جرمها أوَّلا في يومين ثم أتم خلقها في يومين آخرين، فكان خلقها في مجموع أربعة أيام، وذلك لأنَّه تعالى قرر أنَّه خلق السَّماوات والأرض في ستة أيام."[٥٠]

"ولقد فرض العالم الفلكي (جورج لليمتر) عام ١٩٣١ أنَّ الكون كان في الأصل كتلة متماسكة عالية الكثافة (١٠٠) مليون طن لكل سنتمتر مكعب) وكانت هذه الكتلة ساخنة جدا تصل حرارتها إلى بلايين البلايين من الدرجات وقطرها حوالي (٢٠٠) مليون ميل وتسمَّى (البيضة الكونية)."[٥١]

"يقول العلم أنَّ المقصود بكلمة الدخان في الآية الكريمة وهو السّحب الكونية، آو المجرات التي نشأت فيها السَّماء والأرض سبع، والسَّموات

---

[٤٨]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٧٧.

[٤٩]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٦٥٢.

[٥٠]- حنفي احمد، المرجع السابق، ص٢٠٣.

[٥١]- شبر الفقيه، المرجع السابق، ص٧٨.

السَّبع التي ورد ذكرها في القرآن هي على أرجح الأقوال الكواكب السَّبع السيارة المعروفة، وأنَّ اليومين المذكورين في الآية هما في رأي علماء الجيولوجيا الزَّمنين اللذين استغرق كل منهما ملايين السنين لتكوين هذه السَّموات، واحد هذين الزَّمنين انقضى وقت أن كانت الأرض مرتوقة أي متَّصلة بالسَّديم، والآخر بعد أن انفتقت الأرض انفصلت عن السَّديم."[٥٢]

***قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام:١].**

معاني الكلمات: "يَعۡدِلُونَ: يساوون به ما يعبدون."[٥٣]

هذه الآية الكريمة (١) جاءت في مطلع سورة الأنعام وهي سورة مكية "(إلا الآيات ٢٠و٢٣و٩١و٩٣ و١١٤و ١٤١و ١٥١و١٥٢و١٥٣ فمدنية)، وعن ابن عباس غير ست (٦) آيات."[٥٤] وعدد آياتها (١٦٥) آية بعد البسملة، وهي سورة مكية.

أما أسباب النزول: ذُكر لها ثمانية أسباب، منها خمسة في الصراع مع الكفار، وواحد مع اليهود، وواحد يتعلق بمسيلمة الكذَّاب، وواحد خاص بتربية المؤمنين.

ومن خصائص هذه السورة أنها نزلت دفعة واحدة، قال رسول اللهﷺ: "«نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة تسد ما بين الخافقين، ولهم زجل بالتَّسبيح، والأرض بهم ترتج».[٥٥]"

أما محور السورة الكريمة فيدور حول القواعد الأساسية للعقيدة، وأصول الايمان، وتناولت القضايا الأساسية الكبرى لأصول العقيدة وتحدثت السورة عن مهام الأنبياء والرسل بتبليغ الناس ومنهم آخر الأنبياء

---

[٥٢]- السيد الجميلي، المرجع السابق، ص١٥.

[٥٣]- انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٤٧.

[٥٤]- الزمحشري، المرجع السابق، ص٣٢٠.

[٥٥]- ذكر هذا الحديث الشريف الهيثمي في معجم الزوائد. (رقم الحديث١٠٩٩٢)

سيدنا محمدﷺ ليبلغ الناس بحقيقة الدين الإسلامي الحنيف الذي ارتضاه الله لعباده.

وتستهل السورة بحمد الله الذي تشهد له بالألوهية والربوبية والوحدانية وأنَّه لا شريك له ولا معبود سواه، وأنَّه الخالق، وتبدأ أيضا بمواجهة الكافرين وعُبَّاد الأصنام، ثم تعرج إلى استعراض الشَّواهد الدَّالة على الألوهية، وتؤكد على صدق النبوة، وعلى أنَّ القرآن منزَّل من عند الواحد الأحد، وتستمر في استعراض شيء من طبائع النَّفس في حالات الرخاء والشَّدة.

وتختم بعدد من الوصايا السّلوكية، فتحرم ما حرَّمه الله وتحلّ ما أحلَّه الله.

وتستهل الآية الكريمة في أولها بالحمد والثَّناء والشّكر لله الذي خلق السَّماوات والأرض وأتقن سبحانه وتعالى، حيث بدأ خلقه من نقطة متناهية الضَّالة في الحجم، ومتناهية الضَّخامة في كم المادة والطَّاقة، وانفجرت النّقطة وتحوَّلت إلى سحابة من الدخان خلقت منه الأرض والسَّماوات. وبعد ما كان كوننا بحالة من الدخان الدَّاكن الكثيف، والتي استمرَّت هذه الحالة أكثر من ثلاثين مليون من أيامنا هذه، ثم بدأ هذا الكون في استقبال الضَّوء النَّاتج عن عملية الاندماج النَّووي في داخل النجوم، وقدرت هذا العمل الاندماج النَّووي بنحو الثلاثين مليون سنة، وبعدها بدأ الاندماج النَّووي الحراري بداخل النجوم، ولا زالت مستمرَّة إلى اليوم. فجعل الظّلمات والنّور فهي اللَّمسة العريضة التي تشمل الأجرام الضَّخمة في الكون المنظور، والمسافات الهائلة بين تلك الأجرام، والظَّواهر الشَّاملة النَّاشئة عن دورتها في الأفلاك. ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ .. فلم العدول.؟

من أقوال المفسرين

"هذا إخبار عن حمده والثَّناء عليه بصفات الكمال، ونعوت العظمة

والجلال عموما، وعلى هذه المذكورات خصوصا. فحمد نفسه على خلقه السَّماوات والأرض، الدَّالة على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتَّدبير، وعلى جعله الظّلمات والنّور، وذلك شامل للحسي من ذلك، كالليل والنهار، والشَّمس والقمر."[٥٦]

"﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ جمع السَّموات لظهور تعددها دون الأرض، ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ أي: أنشأهما، وجمع الظّلمات لكثرة أسبابها، فإنَّ لكل جرم نور."[٥٧]

"﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ أي وانشأ الظلمات والأنوار وخلق الليل والنهار يتعاقبان في الوجود لفائدة العوالم بما لا دخل تحت حصر أو فكر."[٥٨]

***قال تعالى: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾[الحجر:١٤. ١٥].**

معاني الكلمات: "فَتَحۡنَا: أُزيل إغلاقها. يَعۡرُجُونَ: يصعدون. سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا: حُبست عن النَّظر، أو حُيّرت. مَّسۡحُورُونَ- جمع مسحُور: من فعل بهم السحر،أو من غُذُّوا بالطعام وعُلِّلُوا به."[٥٩]

الآيتان (١٤-١٥) من سورة الحجر، وهي سورة مكية ما عدا الآية (٨٧) فمدنية، وعدد آياتها آياتها (٩٩) آية بعد البسملة.

أما أسباب النزول: عن ابن عباس قال: كانت تصلي خلف النبيﷺ امرأة حسناء في آخر النساء، وكان بعضهم يتقدم إلى الصَّف الأول لئلا يراها، وكان بعضهم يكون في الصَّف المؤخر فإذا ركع قال هكذا، ونظر من

---

[٥٦] - السعدي، المرجع السابق، ص٢٧٧.

[٥٧] - محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الإيجي الشيرازي الشافعي: توفي (٩٠٥)، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، (١٤٢٤-٢٠٠٤)، ص٥١٥.

[٥٨] - محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٣٧٨.

[٥٩] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٣٦، ٧٥٥، و٥٧٨.

تحت إبطه، "فنزلت: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾."[٦٠]

تعرض السورة قصَّة البشرية وأصل الهدي والغواية في تركيبها وأسبابها الأصلية، ومصير الغاوين في النّهاية والمهتدين. وذلك في خلق آدم من صلصال مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ والنَّفخ من روح الله في هذا الطين. ثم في غرور إبليس واستكباره وتوليه الغاوين دون المخلصين.

وتختتم السورة حيث تكشف عن الحق الكامن في خلق السَّماوات والأرض المتلبس بالسَّاعة وما بعدها من ثواب وعقاب، المتصل بدعوة الرسول ﷺ فهو الحق الأكبر الشَّامل للكون كله.

تستهل الآيتان الكريمتان لتخبر عن مكابرة كفار قريش للرسول الكريمﷺ وتكذيبهم ببعثته، وتشكيكهم في الوحي، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مما تؤكّده الآية أنَّ السَّماء ليست فراغا وإنَّما هي بنيان محكم، يتعذّر دخوله إلاَّ عن طريق أبواب تفتح للدَّاخل فيه، وهي ذلك العالم العلوي بكل ما فيه من الأجرام. يحتوي على أكثر من مائتي ألف مليون مجرة منهم مجرتنا (سكة التبانة)، والسَّماء مليئة بمختلف صور المادة والطاقة التي انتشرت بعد الانفجار العظيم. وقوله: ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ﴾ التعبير اللغوي ظَلُّواْ يشير الى عموم الإظلام في وضح النهار، بمعنى أنَّ الانسان إذا عرج الى السَّماء في وضح النهار فإنَّه يفاجا بظلمة الكون. والظل لغة ضد الضَّحّ، والعروج هو سير الجسم في خط منعطف منحن، لا يكون في خط مستقيم، لأنَّ أي جسم مادي لا يمكنه التحرك في الكون إلاَّ في خطوط مُنحنية تأثُّرا بكل من الجاذبية الأرضية، والقوة الدَّافعة إلى السَّماء، ونظرا لانتشار كل من المادة والطاقة في الكون. قوله: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾، ﴿سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾ أي أُغلقت عيوننا وسُدَّت فلا نرى إلاَّ الظَّلام. حيث اكتشف في القرن

[٦٠] - الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٢٧٥.

العشرين أنَّ الكون يغشاه الظَّلام الدَّامس في غالبية أجزائه، فسبحانه القائل: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾.

من أقوال المفسرين

"أي: ولو جاءتهم كل آية عظيمة لم يؤمنوا وكابروا ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فصاروا يعرجون فيه، ويشاهدونه عيانا بأنفسهم."[٦١]

"يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنَّه لو فتح لهم بابا من السَّماء، فجعلوا يصَّعدون فيه، لما صدَّقوا بذلك."[٦٢]

***قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣].**

معاني الكلمات: "تَكْسِبُونَ- تَكْسِبُ: تفعل وتتحمَّل."[٦٣]

إنَّه سبحانه علاَّم الغيوب خلق السَّماوات والأرض وهو المتفرد بالألوهية فيهما على السَّواء. ومقتضيات الإلوهية متحقّقة في الأرض وفي السَّماء وعلى كل مخلوقاته، من خضوع للناموس الذي سنَّه الخالق للجميع، وهو الآمر وحده. فلقد خلق الإنسان كما خلق السَّماوات والأرض؛ وهو في تكوينه الأول من تراب هذه الأرض؛ وما رزقه من خصائص جعلت منه إنسانا رزقه إيَّاه الله؛ وهو خاضع من ناحية كيانه الجسمي للناموس الذي سنَّه الله له (رضي أم كره) وجوده وخلقه ابتداء بمشيئة الله، لا بمشيئته هو ولا غيره: وهو يولد وفق الناموس الذي وضعه الله عند خلقه! وهو يتنفس هذا الهواء الذي أوجده الله بمقاديره هذه؛ ويتنفسه بالقدر وبالكيفية التي أرادها علاَّم الغيوب له. وهو يحس ويتألَّم، ويجوع ويعطش، ويأكل ويشرب. وبالجملة يعيش. وفق ناموس الله، على غير إرادة منه ولا اختيار. شأنه في هذا شأن السَّماوات والأرض سواء.

---

[٦١]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٩٧.

[٦٢]- ابن كثير ،المرجع السابق، ص١٠٤٣.

[٦٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٩٦٦.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلق بالله باعتبار المعني الوصفي الذي ضمنه اسم الله وهو مقولية هذا الاسم عليه خاصَّة."[٦٤]

"أي: وهو المألوه المعبود في السَّماوات وفي الأرض، فأهل السَّماء والأرض، متعبّدون لربهم، خاضعون لعظمته، مستكينون لعزّه وجلاله، الملائكة المقرَّبون، والأنبياء والمرسلون، والصّديقون، والشّهداء والصَّالحون. "[٦٥]

"﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ أي يعلم سركم وعلنكم. ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ﴾ أي من خير أو شر."[٦٦]

***قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩].**

معاني الكلمات: ٱلۡغَيۡبِ: ما خفي واستتر. تَسۡقُطُ: تقع. حَبَّةٖ: واحدة الحب."[٦٧]

وتستهل الآية الكريمة بصورة لعلم الله الشَّامل المحيط؛ الذي لا يند عنه شيء في الزَّمان ولا في المكان، في الأرض ولا في السَّماء، في البر ولا في البحر، في جوف الأرض ولا في طباق الجو، من حي وميت ويابس ورطب، إنها خزائن الغيب التي لا يعلمها إلا هو، "جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة"[٦٨] ولكن أين هذا الذي نقوله نحن- بأسلوبنا البشري المعهود- من ذلك النّسق القرآني العجيب؟ وأين هذا التَّعبير الإحصائي المجرَّد، من ذلك التَّصوير العميق الموحي؟ لأنَّ الخيال البشري لينطلق وراء النَّص

---

[٦٤]- الشيرازي، المرجع السابق، ص٥١٥.

[٦٥]- السعدي، المرجع السابق، ص٢٧٧.

[٦٦]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٣٧٩.

[٦٧]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٢٩ ، ٥٧٦، ٢٦٦.

[٦٨]- انظر الكشاف، المرجع السابق، ص٣٥٥.

القصير يرتاد آفاق المعلوم والمجهول. حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ.. إلى.. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الآية. وعين الله على كل ورقة تسقط، هنا وهناك. ويلحظ كل حبة مخبوءة في ظلمات الأرض لا تغيب عن عينه سبحانه علاَّم الغيوب. ويرقب كل رطب وكل يابس في هذا الكون العريض.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾: فوق الأرض أو تحته عطف على ورقة."[٦٩]

"قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفر، والدنيا والآخرة، إلاَّ يعلمها. ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ من حبوب الثّمار والزروع، وحبوب البذور التي يبذرها الخلق؛ وبذور النَّوابت البرية التي ينشئ منها أصناف النَّباتات. ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ هذا عموم بعد خصوص ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وهو اللَّوح المحفوظ."[٧٠]

***قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس:٣].**

معاني الكلمات: "يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ: ينظر في عواقبه وأدباره ليقع على الوجه المحمود منه، ويقضي حسب ما تقتضيه الحكمة والكمال. شَفِيعٍ: مبالغة من شفع له: طلب التَّجاوز عن سيئاته."[٧١]

الآية (٣) من سورة يونس، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (١٠٩) آية بعد البسملة. تحدثت السورة عن أصول العقيدة وعن الإيمان بالله عز وجل وعن الكتب السَّماوية والبعث والجزاء.

---

[٦٩]- الشيرازي، المرجع السابق، ص٥٤١.

[٧٠]- السعدي، المرجع السابق، ص٢٨٨.

[٧١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٩٢، ٦٣٣.

أما أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ "قيل: عند بعث محمدﷺ أنكرت عليه الكفار، فأنزل الله هذه الآية. "[٧٢]

وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قيل: "نزلت في خمسة نفر،"[٧٣] قالوا للنبيﷺ: أئت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى. وقيل: نزلت في المستهزئين.

تحدثت السورة الكريمة في بدايتها عن رسالة محمدﷺ، ثم تناولت موقف المشركين من الرّسالة والقرآن و ذكرت المعجزة الخالدة الدَّالة على صدق النبي، وانتقلت السورة إلى التَّعريف بصفات الله عز وجل وتحدثت أيضا عن قصص بعض الأنبياء.

وختمت بأمر رسول اللهﷺ بالاستمساك بشريعة الإسلام والصَّبر.

وتستهل الآية الكريمة بالقضية الأساسية الكبرى في العقيدة. قضية الربوبية. فقضية الألوهية رغم أنها لم تكن محل إنكار جدي من المشركين. فهم كانوا يعتقدون بوجود الله- وهذا من الفطرة البشرية التي لا تستطيع التخلي عن الاعتقاد بوجود إله لهذا الكون إلاَّ في حالات نادرة منحرفة شديدة الانحراف- ولكنهم كانوا يشركون مع الله أربابا يتوجَّهون إليهم بالعبادة. فبينت الآية إنَّ الله هو الذي خلق السَّماوات والأرض وما فيهن. وجعل الشَّمس ضياء والقمر نورا وقدَّره منازل. وقدَّر اختلاف الليل والنهار. هذه الظَّواهر البارزة التي تلمس الحس، وتوقظ القلب لو تدبَّرها الإنسان تدبر الواعي المدرك. لحقائق بيَّنها سبحانه وتعالى للإنسان من خلال هذه الآيات القرآنية للتَّمعن والتَّدبر في ملكوته عز وجل. حتى يستيقظ القلب، ويتفتح لمشاهدة الآيات المبثوثة في ظواهر الكون وحناياه. والقرآن الكريم

---

[٧٢]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٢٦٤.

[٧٣] - المرجع نفسه، ص٣٦٤.

يعمد مباشرة إلى إيقاظ القلب والعقل لتدبر هذا الحشد من الصّور والآيات.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿ثُمَّ﴾ بعد خلق السَّماوات والأرض ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق بعظمته.﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ في العالم العلوي والسفلي من الإماتة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين الناس، وكشف الضّر عن المضرورين، وإجابة سؤال السَّائلين."[٧٤]

"يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه، وأنَّه خلق السَّماوات والأرض في ستة أيام- قيل: كهذه الأيام، وقيل: كل يوم كألف سنة مما تعدون. كما سيأتي بيانه ثم استوى على العرش، والعرش أعظم المخلوقات وسقفها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا حجاج بن حمزة، حدثنا أبو أسامة، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت سعدا الطائي يقول: العرش ياقوتة حمراء.

وقال وهب بن منبه: خلقه الله من نوره. وهذا غريب."[٧٥]

***قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود:٧].**

معاني الكلمات: "عَرْشُهُ- العَرْشُ: سرير الملك- والعرش لله عز وجل: حقيقة لا يعلمها إلاَّ الله."[٧٦]

الآية (٧) من سورة هود، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (١٢٣) آية بعد البسملة. وهي تعنى بأصول العقيدة الإسلامية الصحيحة.

سميت هذه السورة باسم (هود)؛ لتكرّر اسمه فيها خمس مرات؛ ولأن ما حُكي عنه فيها أطول مما حُكي عنه في غيرها.

---

[٧٤]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٣٣.

[٧٥]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٩٢٣.

[٧٦]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٥٦.

أما أسباب النزول: ﴿قوله تعالى أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ [هود:٥]. "نزلت في الأخنس بن شريق،"[٧٧] وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر، يلقى رسول اللهﷺ بما يحب. وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود:١١٤]. جاء رجل إلى النبيﷺ فقال: يا رسول الله إني عالجت امرأة في أقصى المدينة واني أصبت منها ما دون أن آتيها، وأنا هذا فاقض في ما شئت، قال: فقال عمر: لقد سترك الله لو سترت نفسك، فلم يرد عليه النبيﷺ شيئا، فاتبعه رجلا ودعاه فتلا عليه هذه الآية.

تستهل الآية الكريمة بخلق السَّماوات والأرض (وقد سبق شرح هذا) وقوله: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾- يعني أنَّ العرش والماء كان مخلوقين قبل السَّماء والأرض أي لما خلق سبحانه وتعالى السَّماوات والأرض جعل بنائهما على الماء لأنَّ كل بناء سمي عرشا كقوله تعالى:
﴿أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾[النحل:٦٨]، (يَعۡرِشُونَ[٧٨]) وقال: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، (عُرُوشِهَا[٧٩]). "ولقد خلق الحق سبحانه وتعالى السَّموات والأرض وما فيها في ستة أيام لم يكن قبل ذلك إلاَّ الماء ومن فوقه عرش الله."[٨٠]

من أقوال المفسرين

"كان الله ولم يكن قبله شيء، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذّكر كل شيء، ثم خلق السَّماوات والأَرض."[٨١]

---

[٧٧]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٢٦٥.

[٧٨]- يَعۡرِشُونَ: يتخذونه عريشا، معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٥٦.

[٧٩]- عروشها: سقوفها. المرجع نفسه، ص٧٥٧.

[٨٠]- السيد الجميلي، المرجع السابق، ص١٩.

[٨١]- ابن كثير: بداية خلق الكون، تحقيق عادل أبو المعاطي، اهداءات ١٩٩٨. مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص٣٤.

"قال الإمام احمد بن حنبل: حدثنا بهز. حدثنا حماد بن سلمة. حدثنا على بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين لقيط بن عامر العقيلي أنَّه قال: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السَّماوات والأرض؟ قال: «كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق عرشه على الماء».[٨٢]"

"يخبر تعالى أنَّه: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة (و) حين خلق السَّماوات والأرض ﴿كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ فوق السَّماء السَّابعة." [٨٣]

"وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال: قال رسول الله- ﷺ: «إنَّ الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء.»[٨٤]

"قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يقول الشيخ الصَّابوني: أي خلقها في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا، وفيه الحث على التأني في الأمور فإنَّ الإله القادر على خلق الكائنات بلمح البصر خلقها في ستة أيام."[٨٥]

***قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم:١٩].**

الآية (١٩) من سورة إبراهيم، وهي سورة مكية، ماعدا الآيتين (٢٨و٢٩) على قول ابن عباس وقتادة فمدنيتان، وعدد آياتها (٥٢) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة نوح، بدأت بحروف مقطعة، ﴿الٓر﴾.

سميت بهذا الاسم (إبراهيم)، وذلك لتضمُّنها قصّة إسكانه ولده

---

[٨٢]- ابن كثير: بداية خلق الكون، المرجع السابق، ص٣٦.

[٨٣]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٣٣.

[٨٤]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٩٤٩.

[٨٥]- السيد الجميلي، المرجع السابق، ص١٨.

إسماعيل بواد غير ذى زرع، وشكره لله تعالى على ما أَنعم عليه الولدَيْن: إسماعيل وإسحاق.

يدور محور السورة كما في مواضيع السور المكية في الغالب يتناول: العقيدة في أصولها الكبيرة، الوحي والرسالة والتَّوحيد والبعث والحساب والجزاء. تضمنت السورة عدة حقائق رئيسية في العقيدة. ولكن حقيقتين كبيرتين تظللان جوهر السورة كلها وهما الحقيقتان المتناسقتان مع ظل إبراهيم في جوهر السورة: حقيقة وحدة الرسالة والرسل، ووحدة دعوتهم ووقفتهم أمة واحدة في مواجهة الجاهلية المكذبة بدين الله على اختلاف الأمكنة والأزمان، وحقيقة نعمة الله على البشر وزيادتها بالشّكر ومقابلة أكثر الناس لها بالجحود والكفران.

بدأت السورة ببيان منزلة القرآن وحجته على الخلق بصرف عن أجناسهم ولغاتهم، ثم أشارت إلى دعوة الرسل في الإخراج من الظّلمات إلى النور، ثم تحدثت عن استفتاح الرسل بالنَّصر على أعدائهم، وتطرقت السورة في آياتها إلى نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار، وفي آيات الكون أشارت إلى عظمة الله في الكون ونعمته على خلقه. وفي ختام السورة عرضت صور من مشاهد يوم القيامة في الآخرة.

وتستهل الآية الكريمة لتعلم أيها المخاطب -والمراد عموم الناس- أنَّ الله أوجد السَّموات والأرض على الوجه الصَّحيح الدَّال على حكمته، وأنَّه لم يخلقهما عبثًا، بل للاستدلال بهما على وحدانيته، وكمال قدرته، فيعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئًا؟ إن يشأ يذهبكم ويأت بقوم غيركم يطيعون الله.

من أقوال المفسرين

"ينبه تعالى عباده بأنَّه ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: ليعبده الخلق ويعرفوه، ويأمرهم وينهاهم وليستدلوا بهما وما فيهما على ما له من صفات الكمال، وليعلموا أنَّ الذي خلق السَّماوات والأرض- على عظمهما

وسعتهما- قادر على أن يعيدهم خلقا جديدا، ليجازيهم بإحسانهم وإساءتهم، وأن قدرته ومشيئته لا تقصر عن ذلك ولهذا قال: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾."[٨٦]"

"إن يشأ يذهبكم أيها الناس؛ أي هو قادر على الإفناء كما قدر على إيجاد الأشياء؛ فلا تعصوه فإنكم إن عصيتموه يذهبكم ويأت بخلق جديد أفضل وأطوع منكم؛ إذ لو كانوا مثل الأولين فلا فائدة في الإبدال."[٨٧]

***قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ﴾ [الحجر:٨٥].**

تستهل الآية الكريمة بأنَّ الذي خلق هذا الوجود: عميق في تكوينه. عميق في تدبيره. عميق في مصير هذا الوجود وما فيه ومن فيه. ولم يخلق هذا عبثا، ولم يكن جزافا، ولم يتلبس بتصميمه الأصيل خداع ولا زيف ولا باطل. والباطل طاريء عليه ليس عنصرا من عناصر تصميمه. عميق في تكوينه. فقوامه من العناصر التي يتألف منها حق لا وهم ولا خداع. والنواميس التي تحكم هذه العناصر وتؤلف بينها حق لا يتزعزع ولا يضطرب ولا يتبدل. ولا يتلبس به هوى أو خلل أو اختلاف. عميق في تدبيره. فبالحق يدبر ويصرف، وفق تلك النواميس الصَّحيحة العادلة التي لا تتبع هوى ولا نزوة، إنَّما تتبع الحق والعدل. عميق في مصيره. فكل نتيجة تتم وفق تلك النواميس الثابتة العادلة؛ وكل تغيير يقع في السَّماوات والأرض وما بينهما يتم بالحق وللحق. وكل جزاء يترتب يتبع الحق الذي لا يحابي ولا يحادي. وكل شيء يسير بقدرته وتدبيره إلى منتهاه. وإلى النهاية التي قدَّرها هو وحده لا شريك له.

من أقوال المفسرين

"أي: ما خلقناهما عبثا وباطلا كما يظن ذلك أعداء الله، بل ما

---

[٨٦]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٩١.

[٨٧]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٢٦.

خلقناهما إِلَّا بِالْحَقِّ الذي منه أن يكونا بما فيهما دالتين على كمال خالقهما، واقتداره، وسعة رحمته وحكمته، وعلمه المحيط." [٨٨]

***قال تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه:٤].**

معاني الكلمات: "تَنزِيلًا: إنزالا." [٨٩]

الآية (٤) من سورة طه، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (١٣٥) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة مريم على النبي ﷺ، وقد تم نزول سورة مريم على النبي الكريم بعد الهجرة إلى الحبشة وقبل الإسراء والمعراج؛ فيكون نزول سورة طه بين السَّنة السَّابعة للبعثة والسَّنة الحادية عشر للبعثة.

أما أسباب النزول: قال مقاتل: قال أبو جهل، والنضر بن الحارث للنبيﷺ: (انك لتشقى بترك ديننا) وذلك لما رأياه من طول عبادته وشدة اجتهاده، "فأنزل الله تعالى: ﴿طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾." [٩٠]

افتتحت السورة الكريمة بخطاب النبيﷺ، وبيان وظيفته، وبيان سمو منزلة القرآن الكريم الذي أنزله الله –تعالى- عليه، وأنَّ الله -تعالى- اختاره لحمل رسالته. ثم تطرقت إلى قصَّة موسى وما دار بينه وبين فرعون من مناقشات ومجادلات، وكذلك ما دار بين موسى وبين السَّحرة، الذين جمعهم فرعون لمنازلة موسى (عليه السلام)، وكيف أنَّ السَّحرة انتهى أمرهم بالإيمان.

ختمت السورة الكريمة بأمر النبي ﷺ، بالصَّبر، والإكثار من ذكره تعالى-، وبالرَّد على افتراءات المشركين، وبتهديدهم بالعذاب الشَّديد إذا ما استمرّوا على كفرهم وضلالهم.

تستهل الآية الكريمة بأنَّ الذي نزَّل هذا القرآن هو الذي خلق الأرض والسَّماوات العلى، كقوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ

---

[٨٨]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٠٣.

[٨٩]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٩١.

[٩٠]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٣٠٣.

الْعُلَى﴾. تنزَّل من الملأ الأعلى. ليبين للناس العقيدة الصَّحيحة، ويربط السّياق بين النواميس التي تحكم الكون والتي ينزل منها القرآن، كما ينشق ظل السَّماوات العلى مع الأرض، وظل القرآن الذي ينزل من الملأ الأعلى إلى الأرض. على خاتم الأنبياء والرسل، هدى ورحمة للعالمين.

من أقوال المفسرين

"ذكر جلالة هذا القرآن العظيم، وأنه تنزيل خالق الأرض والسَّماوات، المدبر لجميع المخلوقات، أي: فاقبلوا تنزيله بغاية الإذعان والمحبة والتَّسليم وعظموه نهاية التَّعظيم"[٩١]

"﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ أي أنزله خالق الأرض، ومبدع الكون، ورافع السَّمواتت الواسعة العالية."[٩٢]

***قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء :١٦].**

معاني الكلمات: "لَٰعِبِينَ: هازلين عابثين."[٩٣]

تستهل الآية الكريمة بخلق السَّماوات والأرض والغرض من خلقهما فهو ليس لعبا، والمقصود هنا: العمل العابث الذي لا هدف له، وإنَّما خلقها من اجل الحق والعدل وإظهار قدرته وعظمته سبحانه وتعالى مع المنافع التي تجتني منها.

من أقوال المفسرين

"يخبر تعالى أنَّه خلق السَّماوات والأرض بالحق، أي: بالعدل والقسط، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، وأنَّه لم يخلق ذلك عبثا ولا لعبا، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ

---

[٩١]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٨٤.

[٩٢]- محمد علي الصابوني، المرجع الصابق، ص٢٣٠.

[٩٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٠٩.

وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾."[٩٤]

"أي: وما سوَّينا هذا السَّقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب، كما تسوَّى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم، للَّهو واللَّعب."[٩٥]

***قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۛ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٩].**

معاني الكلمات: "ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۛ: استواء يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تعطيل."[٩٦] خَبِيرًا: عالم ذو خبرة."[٩٧]

الآية (٥٩) من سورة الفرقان. وهي سورة مكيّة، إلاَّ ثلاثُ آياتٍ منها فقد نزلت في المدينة، وعدد آياتها (٧٧) آية بعد البسملة.

سُمّيت سورة الفُرقان بهذا الاسم؛ لِوقوع لفظ الفُرقان فيها ثلاث مرات. وجاء في سبب تسميتها بهذا الاسم؛ لأنَّ الله تعالى- ذكر في بدايتها الكتاب المجيد الذي أنزله على رسوله، فكان نعمة البشر الكُبرى، كما أنَّ الله -تعالى- فرّق به بين الحق والباطل والكُفر والإيمان، فاستحق أن يُطلق عليه فُرقاناً؛ ليكون تخليداً له ولذكره، ويُثبت ذلك أنَّ السورة تدور حول إثبات صدقه، وبيان عاقبة المُكذبين به.

أما أسباب النزول: ذُكر سبب، قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان٢٧-٢٩]، "نزلت في عقبة بن أبي معيط."[٩٨]

---

[٩٤] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٣٤.

[٩٥] - الكشاف، المرجع السابق، ص١٣٣.

[٩٦] -محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٣٦٧.

[٩٧] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٣٩.

[٩٨] - الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٣٣٣.

محور السورة حول العقيدة الإسلاميّة الصَّحيحة بجوانبها الثَّلاث الإلهيات، والنّبوات، والسَّمعيات، مع ذكر الأدلة على كُلِ واحدةٍ منها.

تستهل الآية الكريمة الذي ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ في ستة أيام وهذه الأيام عند علاَّم الغيوب غير أيامنا الأرضية قطعا. فإنما أيامنا هذه ظل للنظام الشَّمسي، ومقياس لدورة فلكية وجدت بعد خلق السَّماوات والأرض. وقياسها دورة الأرض حول نفسها أمام الشَّمس. والخلق لا يقتضي إلا توجه الإرادة الإلهية المرموز له بلفظة: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. وهذه الأيام الستة المذكورة من أيام الله التي لا يعلم مقدارها إلا هو- إنَّما تمت فيها أطوار متباعدة في السَّماوات والأرض حتى انتهت إلى وضعها الحالي. أما الاستواء على العرش فهو معنى الاستعلاء والسَّيطرة ولفظ (ثم) لا يدل على التَّرتيب الزَّمني إنَّما يدل على بعد الرّتبة. رتبة الاستواء والاستعلاء. ومع الاستعلاء والسَّيطرة الرَّحمة الكبيرة الدائمة: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾. ومع الرَّحمة والخبرة المطلقة التي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السَّماء وهو علاَّم الغيوب سبحانه. فإذا سألت الله، ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يعني في مدة: مقدارها هذِه المدة، لأنَّه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل. وقيل: ستة أيام من أيام الآخرة، وكل يوم ألف سنة. والظَّاهر أنها من أيام الدّنيا."[٩٩]

"﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى﴾ بعد ذلك ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ الذي هو سقف المخلوقات وأعلاها وأوسعها وأجملها ﴿الرَّحْمَنِ﴾ استوى على عرشه الذي وسع السَّماوات والأرض باسمه الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء فاستوى على أوسع المخلوقات، بأوسع الصِّفات. فأثبت بهذه الآية خلقه للمخلوقات واطلاعه على ظاهرهم وباطنهم وعلوه فوق العرش ومباينته إياهم."[١٠٠]

---

[٩٩]- الكشاف، المرجع السابق، ص٣٦٤.

***قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[النمل:٦٤].**

معاني الكلمات: "يَبْدَؤُاْ: يخلقه غير مسبوق. هَاتُواْ: احضروا. بُرْهَٰنَكُمْ- بُرْهَان: حجة بيّنة فاصلة."[١٠٠]

الآية (٦٤) من سورة النمل، وهي من السور المكية، ويبلغ عدد آياتها (٩٣) آية بعد البسملة.

ومحور سورة النمل يدور حول العقيدة الإسلامية الصَّحيحة من حيث الإيمان بالله سبحانه وتعالى وحده وتوحيده وإفراده بالعبادة وعبادته حق العبادة، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب للمؤمنين وعقاب للكافرين، والإيمان بالوحي الذي جاء من عند الله إلى أنبيائه ورسله والإيمان بالغيب، والإيمان بأنّ الله وحده الخالق الرازق.

كما بينت قصص الأنبياء كقصَّة أنبياء الله داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، وبيّنت النّعم التي أنعم الله بها عليهما.

تستهل الآية الكريمة على وجود الخلق والذي هو حقيقة واقعة لا يملك أحد إنكارها، ولا يمكن أحدا تعليلها بغير وجود الخالق القادر وهو الواحد الأحد. خلق الكون ووجوده ملجىء للإقرار بوجوده سبحانه؛ ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾ فآثار الخلق دالة على الخالق الواحد؛ وفي هذا الخلق التَّناسق المطلق ما يجزم بالإرادة الواحدة المنشئة للناموس الواحد.

أما الإقرار ببدء الخلق على هذا النحو الذي يظهر فيه التَّقدير والتَّدبير والقصد والتَّنسيق ملجىء كذلك للتَّصديق بإعادة الخلق.

﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

من أقوال المفسرين

---

[١٠٠]- السعدي، المرجع السابق، ص٦٨٤.

[١٠١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٢٠، ١١٣٩، ١٣٠.

"أي: من هو الذي يبدأ الخلق وينشئ المخلوقات ويبتدئ خلقها، ثم يعيد الخلق يوم البعث والنّشور؟ ومن يرزقكم من السَّماء والأرض بالمطر والنَّبات؟."[١٠٢]

"قوله: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهم منكرون للإعادة؟ قلت: قد أزيحت علتهم بالتَّمكين من المعرفة والإقرار، فلم يبق لهم عذر في الإنكار."[١٠٣]

***قال تعالى: ﴿أَوَ لَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ..﴾ [الروم:٨].**

معاني الكلمات: "يَتَفَكَّرُواْ: يعملوا عقولهم. أَجَلٍ مُّسَمًّى: وقت محدد."[١٠٤]

الآية (٨) من سورة الروم، وهي سورة مكية، تعدّدت أقوال العلماء في عددِ آيات سورة الرّوم، فمنهم من قال إنَّها (٦٠) آية، ومنهم من قال إنَّها (٦٠) آية بعد البسملة، ومنهم من قال إنَّها (٥٩) آية.

أما أسباب النزول: عندما غلب فارس الروم بلغ ذلك إلى النبيﷺ وأصحابه بمكة، فشقَّ ذلك عليهم، وكان النبيﷺ يكره أن يظهر المجوس على أهل الكتاب من الروم، ففرح الكفار وشتموا، فلقوا أصحاب النبيﷺ فقالوا: أنتم أهل كتاب والنَّصارى أهل كتاب ونحن أميون، وقد غلبنا الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، "فأنزل الله: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾. "[١٠٥]

ولما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس، فأعجب المؤمنون بذلك فنزلت: ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ﴾. إلى قوله: ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾.

أكَّدت السورة على حقيقة ارتباط كل ما هو موجود وما وُجد وما سيوجد بالله -تعالى-، فالله -تعالى- وحده المُتحكّم بماضي البشر

---

[١٠٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٧١٢.

[١٠٣]- الكشاف، المرجع السابق، ص٤٦٦.

[١٠٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٦٣، ٢٤.

[١٠٥]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٣٤٤.

وحاضرهم ومستقبلهم. ثم مواساة الرّسول -عليه الصّلاة والسّلام- ودعوته والمسلمين بالتّحلي بالصّبر. الإخبار بهزيمةِ الرّوم، وتبشير المسلمين بفرحهم بانتصار الرّوم على الفرس بعد عدّة سنوات، والوعد بنصر الله للمسلمين ولدين الإسلام.

تستهل الآية الكريمة بطرح هذا السّؤال على الإنسان ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيۤ أَنفُسِهِمۗ﴾؟ وكان محور النواميس تدور على محور واحدٍ، هو الإنسان، بما يحقق له السَّعادة في الدنيا والآخرة، وجاءت الشَّرائع لتأمينِ مصالح الناس بجلب النَّفع لهم، ودفع المضارّ عنهم، فترشدهم إلى الخير، وتهديهم إلى سواء السَّبيل، وتدلّهم على البر، وتأخذ بيدهم إلى الهدى القويم، وتكشِفُ لهم طريق الخير، وتحذّرهم من الغواية والشرّ، وجاءت الشَّريعة لتحصيل المصالح وتكميلها، وتقليل المفاسد وتعطيلها، فإنّ الأحكام الشَّرعية إنَّما شرعت لجلب المصالح، أو لدرء المفاسد. فطبيعة تكوين الإنسان، وطبيعة هذا الكون كله من حولهم توحي بأنَّ هذا الوجود قائم على الحق، ثابت على الناموس، لا يضطرب، ولا تتفرَّق به السّبل، ولا تتخلَّف دورته، ولا يصطدم بعضه ببعض، ولا يسير وفق المصادفة، ولا وفق الهوى المتقلب، فهو ماض في نظامه الدَّقيق المحكم. وأن من مقتضيات هذا الحق الذي يقوم عليه الوجود أن تكون هناك آخرة، يتم فيها الجزاء على العمل، ويلقى الخير والشر عاقبتهما كاملة. إنَّما كل شيء إلى أجله المرسوم . وفق الحكمة المدبرة؛ وكل أمر يجيء في موعده لا يستقدم لحظة ولا يستأخر. قال تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح:٣-٤]. وقال: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الانسان١].

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيۤ أَنفُسِهِمۗ﴾ يعني به النَّظر والتَّدبّر والتَّأمل

لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة."[١٠٦]

"﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ وفي هذا تنبيه على الفناء، وعلى أنَّ لكل مخلوق أجلا."[١٠٧]

***قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ..﴾ [الزمر: ٣٨].**

معاني الكلمات: "وَلَئِن سَأَلْتَهُم: استخبرتهم."[١٠٨]

الآية (٣٨) من سورة الزمر، وهي سورة مكية إلا الآيات (٥٢ حتى ٥٤) فهي مدنية، السورة من المثاني، وعدد آياتها (٧٥) آية بعد البسملة.

أما أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾. قيل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقيل: نزلت في عثمان رضي الله عنه، وقيل: نزلت في عمار بن ياسر. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾. قيل: نزلت في ثلاثة أنفار يقولون لا إله إلا الله في الجاهلة. وقوله: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾. قيل: نزلت في مجموعة من الصَّحابة وهم أبو بكر، وعثمان، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص.

محور السورة يدور حول قضية التَّوحيد. وهي تطوف في القلب البشري في جولات متعاقبة، وتوقع على أوتاره إيقاعات متلاحقة، وتهزه هزاً عميقاً متواصلاً لتطبع فيه حقيقة التوحيد وتمكنها، وتنفي عنه كل شبهة وكل ظل يشوب هذه الحقيقة. ومن تم فهي ذات موضوع واحد من بدائها إلى ختامها، يعرض في صور شتى.

وورد في مطلعها مشهد كوني خلق السَّماوات والأرض وتكوير الليل

---

[١٠٦]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٤٤٨.

[١٠٧]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٤٧٢.

[١٠٨]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٤١.

على النهار وتسخير الشَّمس والقمر.

تستهل الآية الكريمة بمسائلة الكافرين الذين يقرون- حين يسألون- أنَّ الله هو خالق السَّماوات والأرض. وليس لهم إجابة غير هذه، وما يستطيع عقل أن يعلل نشأة السَّماوات والأرض إلاَّ بوجود إرادة عليا. وهي حقيقة فطرية واضحة. إذا كان الله هو خالق السَّماوات والأرض. فهل يملك أحد أو شيء في هذه.

من أقوال المفسرين

"هذا استدلال على المشركين المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنت لو سألتهم من خلق السَّماوات والأرض، ومن نزَّل من السَّماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ..﴾." [١٠٩]

"قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ يعني: [أن] المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره ، مما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا." [١١٠]

***قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ..﴾ [من الآية ٦٤ :غافر].**

معاني الكلمات: "جَعَلَ: بمعنى صير حقيقة أو حكما. قَرَارًا: مستقرا." [١١١]

الآية (٦٤) من سورة غافر، وهي سورة مكية إلاَّ الآيات (٥٦ و٥٧) فهي مدنية، السورة من المثاني، وعدد آياتها (٨٥) آية بعد البسملة.

سميت بهذا الاسم لأنَّ الله ذكر هذا الوصف الجليل-الذي هو من صفاته الحسنى- في مطلع السورة الكريمة.

أما أسباب النزول: عن عبدالرحمن بن عبدالقاري قال: سمعت عمر

---

[١٠٩]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٥٢.

[١١٠]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٦٢١.

[١١١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٢٨.و٨٩٢.

بن الخطاب رضي الله عنه يقول: كان إذا أنزل الوحي على رسول اللهﷺ يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل، فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، واثر ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا- ثم قال: لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة» ثم قرأ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ إلى عشر آيات.

جاء أبو سفيان إلى رسول اللهﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم لقد أكلنا العلهز، يعني الوبر بالدم- فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

والسورة تتحدث عن نماذج أناس دعوا إلى الله وفوّضوا أمرهم لله لأنَّ الداعي إلى الله قد يواجه بالأذى ممن يدعوهم ولهذا يحتاج إلى أن يفوض أمره إلى الله في سبيل الدعوة لله. ومن هذه النماذج نموذج موسى في دعوته لفرعون وقومه وقد جابه فرعون موسى حتى كاد أن يقتله فوّض موسى أمره إلى الله. وكأنه جو معركة، وهي المعركة بين الحق والباطل، وبين الإيمان والطّغيان وبين المتكبرين والمتجبرين في الأرض، ثم ذكّر بيوم القيامة وبلقاء الله.

تستهل الآية الكريمة للتَّدبر في ملكوت الله المسخرة للإنسان، حيث جعل الأرض قرار صالح لحياة الإنسان، والسَّماء بناء ثابت النَّسب والأبعاد والحركات والدورات ومن ثم تضمن الاستقرار والثَّبات لحياة هذا الإنسان، المحسوب حسابها في تصميم هذا الوجود، المقدرة في بنائه تقديراً.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ أي : جعلها مستقرا لكم."[١١٢]

"لفظ البناء يأتي في القرآن لوصف السَّماء، بينما يأتي لفظ البنيان

---

[١١٢]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٦٤٧.

متعلقا بما يبنيه الإنسان على الأرض."[١١٣]

***قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحج:٦٥].**

معاني الكلمات: "سَخَّرَ: ذلَّلها ويسرها. وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ: يحفظها من السُّقوط."[١١٤]

الآية (٦٥) من سورة الحج، وهي سورة مدنية إلا الآيات (٥٢- ٥٥) فنزلت بين مكة والمدينة المنورة، وعدد آياتها (٧٨) آية بعد البسملة.

سميت بهذا الاسم تخليدا لدعوة الخليل إبراهيم، حين انتهى من بناء البيت العتيق ونادى لحج بيت الله الحرام.

أما أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾. "نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول اللهﷺ المدينة مهاجرين من باديتهم."[١١٥]

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾. عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقول: "نزلت هذه الآية في هؤلاء الستة: حمزة وعبيدة وعلي وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة."[١١٦]

وقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾. كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول اللهﷺ فشكوهم إلى رسول اللهﷺ، فيقول: «اصبروا فإني لم أومر بالقتال» حتى هاجر رسول اللهﷺ، "فنزلت هذه الآية."[١١٧]

تتحدث السورة عن أهوال السَّاعة إلى أدلة البعث والنّشور، ثم تنتقل لتقيم الأدلة والبراهين على البعث بعد الفناء، ثم الانتقال إلى دار

---

[١١٣]- منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٦٠.

[١١٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٦٣، ١٠٤٦.

[١١٥]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٣٠٧.

[١١٦]- المرجع نفسه، ص٣٠٨.

[١١٧]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٣٠٩.

الجزاء، لينال الإنسان جزاءه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وتشير إلى بعض مشاهد القيامة، حيث يكون الأبرار في دار النَّعيم، والفجَّار في دار الجحيم.

وتختم السورة بضرب مثلاً لعبادة المشركين للأصنام، وبيَّنت أنَّ هذه المعبودات أعجز وأحقر من أن تخلق ذبابة فضلاً عن أن تخلق إنساناً سميعاً بصيراً، ودعت إلى اتباع ملَّة الخليل إبراهيم كهف الإيمان، وركن التَّوحيد.

وتستهل الآية الكريمة بتسخير الأرض فكم من ثروة سخَّرها الله لهذا الإنسان على وجه هذه الأرض؛ وهو غافل عن يد الله ونعمته التي يتقلب فيها بالليل والنهار! فجعل نواميسها موافقة لفطرته وطاقاته. ولو اختلفت ماستطاع الحياة عليها، فضلا على الانتفاع بها وبما فيها. لو اختلف تركيبه الجسدي عن الدَّرجة التي يحتمل فيها جو هذه الأرض، واستنشاق هوائها، والتَّغذي بطعامها والارتواء بمائها والاستمتاع بخيراتها لما عاش لحظة. ولقد سخَّر الله له ما في الأرض مما وهبه من طاقات وإدراكات صالحة لاستغلال من ثروات هذه الأرض الواسعة. فيوجه طاقاتها وثرواتها إلى العمران والبناء، ويقوم بعمارتها والخلافة كما أرادها الله. وهو الخالق سبحانه الذي جعل النواميس التي تسمح بجريان الفلك في البحر. وعلم الإنسان وهداه كيف يسخرها لمصلحته وينتفع بها هذا الانتفاع. وهو خالق الكون بهذا النّظام الذي اختاره له؛ وحكم فيه تلك النواميس التي تظل بها النجوم والكواكب مرفوعة متباعدة، لا تسقط ولا يصدم بعضها بعضا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: من البهائم مذلَّلة للرّكوب في البر، ومن المراكب جارية في البحر، وغير ذلك من سائر المسخّرات."[١١٨]

[١١٨]- الكشاف، المرجع السابق، ص ٢٠٩.

"حقا إنَّه ميزان الهي محسوب (بحسبان)، ولولا التَّوازن بن قوة الجاذبية والقوة الطَّاردة المركزية لوقعت السَّماء على الأرض، وهذا التَّوازن هو أساس الحسابات الرياضية التي تستخدم في إطلاق الأقمار الصّناعية في مدار معين."[١١٩]

***قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه:٦].**

معاني الكلمات: "الثَّرى: التّراب النَّدي."[١٢٠]

تستهل الآية بأنَّه سبحانه الخالق المدبّر أنَّه خلق السَّماوات ورفعها بغير عمد، وجعل لها عمارا من الملائكة، ومما لا نعلم من الخلق، ومحفوظة بحفظه. وقوله: ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾، هناك عدة آيات من القرآن الكريم تشير إلى البينية بين السَّماء والأرض التي تضم سبع أراضين في شكل كروي، وعلى ضخامة هذه الأبعاد، وهو الحيز الزَّمني الذي فصل بين السَّماء والأرض، وفي هذا الحيز الفاصل الكثير من الصّور المادية والطَّاقوية، ويتركب هذا الحيز من جزيئات النيتروجين، والأكسجين، وثاني أكسيد الكربون، والأرجون، ومنها أيضا نسب قليلة من بخار الماء، والأوزون.

﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾، -الثَّرى- في اللغة التّراب النَّدى، وهذه التّربة تحتفظ بالماء، وهي غنية بمركبات معدنية عديدة مثل نيتران العناصر وكبريتاتها، وهي غنية جدا بالكائنات الحية التي تسكنها مثل البكتيريا، والفطريات، وحبوب اللقاح، والطَّحالب وغيرها، وفيها الكثير من المركب التي تزيد خصوبة الأرض، وفيها الكثير من الحيوانات المتباينة مثل الديدان، والرخويات، والحشرات، وغيرها. وتنقسم التّربة إلى ثلاثة نطق:

---

[١١٩]- منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٦١.

[١٢٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٠٢.

نطاق الثَّرى: وهي المنطقة العليا وتعتبر أكثر أجزاء التّربة تعرية ورطوبة، وتمتد من السَّطح إلى المجمع الصَّخري.

نطاق ما تحت الثَّرى: وهي المنطقة الوسطى، يصل عمقها قرابة المتر، وهي متوسطة التَّعرية، وهي أغني قطاعات التّربة.

النّطاق الصَّخري: وهو من يعطي مادة عوامل التَّعرية للنّطاقان.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من ملك وإنسي وجنّي، وحيوان، وجماد، ونبات."[١٢١]

"قوله: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾، قال محمد بن كعب : أي ما تحت الأرض السَّابعة.

وقال الأوزاعي: إنَّ يحيى بن أبي كثير حدثه أنَّ كعبا سئل فقيل له: ما تحت هذه الأرض؟ فقال: الماء. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض. قيل: وما تحت الأرض؟ قال: الماء. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض، قيل: وما تحت الأرض؟ قال: الماء. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض، قيل: وما تحت الأرض؟ قال: الماء. قيل: وما تحت الماء؟ قال: الأرض، قيل: وما تحت الأرض؟ قال: صخرة. قيل: وما تحت الصَّخرة؟ قال: ملك. قيل: وما تحت الملك؟ قال: حوت معلق طرفاه بالعرش، قيل: وما تحت الحوت؟ قال: الهواء والظلمة وانقطع العلم."[١٢٢]

***قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ...﴾ [الشورى: ٢٩].**

معاني الكلمات: "ءَايَٰتِهِۦآيات: علامات ومعجزات ودلائل وعبر. بَثَّ: نشر وفرَّق. دَآبَّةٍ: الحيوان والإنسان."[١٢٣]

---

[١٢١]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٨٤.

[١٢٢]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٠٦.

[١٢٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٨، ١١٧، ٣٩١.

الآية (٢٩) من سورة الشورى، وهي سورة مكية إلا الآيات (٢٣ حتى ٢٧) فهي مدنية، السورة من المثاني، وعدد آياتها (٥٣)، بعد البسملة وهي في الجزء الخامس والعشرين، بدأت بحروف مقطعة، وهي من مجموعة سور الحواميم التي تبدأ ﴿حم﴾، نزلت بعد سورة فصلت. وحدة الوحي للرسل وأنواعه.

أما أسباب النزول: قال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده لذلك سعة، فجمع له الأنصار من أموالهم فاتوه بها وقالوا: يا رسول انك ابن اختنا وقد هدانا الله تعالى على يديك وهذه أموالنا آتيناك بها لتستعين بها على ما ينوبك "فأنزل الله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾. "[١٢٤]

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾. نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الدنيا والغنى.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا﴾. نزلت عندما قال اليهود لرسول اللهﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبي كما كلَّمه موسى.

محور السورة يدور حول العقيدة كسائر السور المكية، بدأت بإشارة إلى الوحي الذي أوحى إلى الرسل قبل نبينا الكريم، وأشارت إلى ملكه العلي القدير، وتسبيح الملائكة، وإلى الفرق النَّاجية والفرق الضَّالة، وأشارت إلى وصية الجليل إلى الأنبياء من قبل بإقامة الدّين الحنيف وعدم التَّفرقة، وتنزيل الغيث بعد القنوط رحمة لمخلوقاته على الأرض، ثم الإشارات الكونية، وتختم السورة بإشارة إلى النبي الكريم بهدايته للناس إلى الصراط المستقيم.

تستهل الآية الكريمة بالآيات العظمى في خلق السَّماوات والأرض،أما السَّماء الدنيا فهي كل ما يقابل الأرض، ويراد بها ذلك العالم العلوي من

---

[١٢٤]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٣٧٤.

حولنا والذي يحوي الأجرام السَّماوية المختلفة والمتعددة، وما يوجد فيها. وقد خلق سبحانه علاَّم الغيوب وخالق كل شيء السَّماء ورفعها بغير عمد، وجعل لها عمَّارا من الملائكة ومما لا تعلم، وحفظها بحفظه تعالى، قال: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ..)، وهذا الجزء المرئي عندنا مبني بدقة بالغة وعلى نمط واحد، بدأ يجمع عدد من الكواكب، والكويكبات، والأقمار والمذنبات، والشّهب والنَّيازك حول كل نجم من النجوم التي تنتظم بملايين الملاين في مجرات، إلى حشود مجرية عظمى، وأثبت العلم الحديث أنَّ في السَّماء الدنيا توجد أكثر من مائتي ألف مليون مجرة، وبين المجرات وأيضا السدم بمختلف أشكالها وأحجامها، وبينها تنتشر سحب دخانية يغلب على تركيبها غاز الإيدروجين.

﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾: والتي يقدر حجما حسب ما قدَّره أهل الاختصاص بمائة وثمانية ملايين كلم /مكعب، وكتلتها حوالي ٦٠٠٠ مليون مليون مليون /طن، تحوي ست أرضين.

من أقوال المفسرين

"أي: ومن أدلة قدرته العظيمة، وأنه سيحيي الموتى بعد موتهم، ﴿خَلۡقُ﴾ هذه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ على عظمهما وسعتهما، الدَّال على قدرته وسعة سلطانه، وما فيهما من الإتقان والإحكام دال على حكمته وما فيهما من المنافع والمصالح دال على رحمته، وذلك يدل على أنه المستحق لأنواع العبادة كلها، وأن إلهية ما سواه باطلة. ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾- أي: نشر في السَّماوات والأرض من أصناف الدَّواب التي جعلها اللّه مصالح ومنافع لعباده."[١٢٥]

"﴿مِن دَآبَّةٖۚ﴾ وهذا يشمل الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات، على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم، وطباعهم وأجناسهم، وأنواعهم، وقد فرقهم في أرجاء أقطار الأرض والسَّموات."[١٢٦]

---

[١٢٥]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٩٤.

٢-١ المبحث الثاني: الأرض

جاء ذكر الأرض في القرآن الكريم أربعمائة وواحد وستين (٤٦١) موضعا، منها ما يشير إلى الأرض ككل في مقابلة السَّماء، ومنها ما يشير إلى اليابسة التي نعيش عليها، أو جزء منها. وفي بعض الآيات يشير إلى التربة التي تنبت الزرع وغير ذلك، ويشير إلى اليابسة التي هي الغلاف الصَّخري للأرض.

الكرة الأرضية هي خامس أكبر الكواكب في المجموعة الشَّمسية في مجرة درب (التبانة[١٢٧])، وثالث أبعد الكواكب عن الشَّمس، وهو الكوكب الوحيد الذي له قمر واحد وهو جسم طبيعي كبير يدور حول الارض وفائدة الإنسان من هذه الدورة معرفة الأيام والليالي والتَّقاويم المختلفة كالتَّقويم العربي الهجري لتحديد موعد العبادات، وقد سمي الخط الوهمي الذي يصل بين قطبي الأرض بالمحور، ولها دائرة وهمية تفصل نصفها الشَّمالي عن نصفها الجنوبي بخط الاستواء. ويؤلف كوكب الأرض مع عطارد والمريخ والزهرة الكواكب الأربعة الصَّخرية الدَّاخلية الصَّغيرة في مجموعتنا الشَّمسية، ثم تأتي الكواكب العملاقة الغازية المشتري وزحل وأورانوس ونبتون.

وتمتاز الأرض بغلاف جوي مميز ومجال مغناطيسي مهم جدا للكائن الحي. "ونجد أنَّ الغلاف الجوي الأرضي يحمينا من الأشعة (الكهرومغناطيسية (١))

---

[١٢٦]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٦٧١.

[١٢٧] - التبانة: وهي إحدى المليارات من المجرات المنتشرة في الكون المرئي. (حميد مجول النعيمي: بدائع الكون في القرآن الكريم، الناشر المنتدى الإسلامي بالشارقة، ط أولى: ١٤٤٣هـ-٢٠٢١م، ص١٢٣.)

والرياح والشَّمسية الحارقة القادمة من الشَّمس.[١٢٨]"

صورة الارض ماخوذة من الفضاء

والأرض كرة قطرها المتوسط ٧٩١٤ ميلا وحجمها ٢٦٠ بليون ميل مكعب ومتوسط كثافتها ٥.٥ جم/سم٣ وكتلتها ٦٦٠٠ مليون مليون مليون طن.

ويتكون غلافها الجوي من الهواء الذي يحتوي على غاز النيتروجين بنسبة ٧٨%، وغاز الأكسجين بنسبة ٢١% المتبقية تدعى بالغازات الدَّفيئة وتتألف من غاز ثاني أكسيد الكربون وأول أكسيد الكربون وبخار الماء وبعض الغازات الأخرى.

وتقول النظرية السَّائدة: "تكاثفت الأرض بعد أن انفصلت من الشَّمس إلى كرة سائلة تحيط بها طبقة من غازات وأبخرة."[١٢٩]

وبدأ سطحها يتجمَّد نظرا للبرودة الشَّديدة. وتحولت إلى قشرة رقيقة جامدة. أما الطَّبقات الباطنية أسفل

---

[١٢٨] - حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص١٧٦. (١) الأشعة الكهرومغناطيسية المؤلفة من: أشعة جاما والأشعة السينية والأشعة فوق البنفسجية والضوء والأشعة تحت الحمراء ثم الأشعة الراديوية. (المرجع نفسه والصفحة.)

[١٢٩] - حنفي احمد، المرجع السابق، ص١٠٦.

القشرة الباردة الجامدة، تجعَّدث وحدث فيها التَّواءات وتضاريس كالجبال، وبعضها سطوح يغطيها الماء بين المرتفعات العالية.

كوكب الأرض تبدو كنقطة زرقاء باهتة في أشعة الشمس. التقطت سفينة الفضاء فويجر-١ هذه الصورة من خلف مدار كوكب نبتون. (ك. ك الارض)

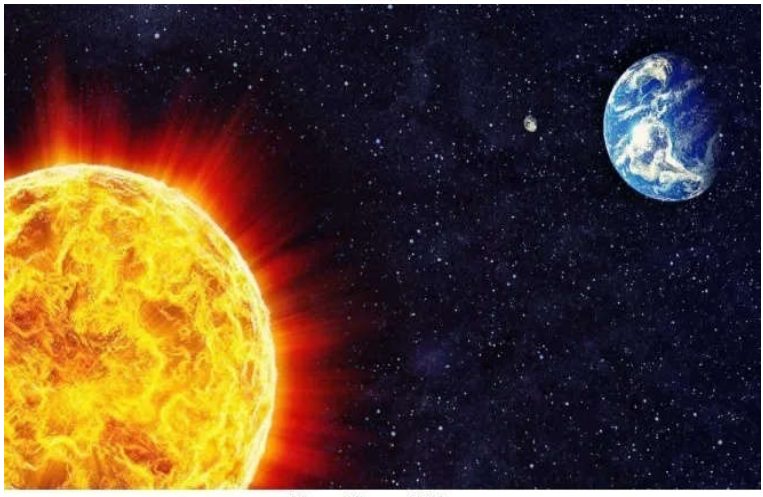

صورة الشمس والارض والقمر

ومن مكونات الأرض:

القشرة الرَّقيقة: وسمكها يتراوح بين ٣٠ و٥٠ كلم في مناطق القارات وحوالي ٦ كلم تحت قاع المحيطات، **الرّداء- الغلاف:** ويصل عمقه إلى

تحت القشرة حوالي ٣٠٠٠ كلم. ويتكون من الصخور تسمى الأوليفين كثافتها كثافتها ٣.٣ إلى ٥.٥ جم/سم٢ عند أسفل الرداء.

القلب- النَّواة: وتمتد بعد الرداء مباشرة إلى مركز الأرض مسافة تقدَّر ٣٤٠٠ كم.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...﴾ [الطلاق:١٢].

معاني الكلمات: "مِثْلَهُنَّ- مثل: مشابه." [١٣٠]

الآية (١٢) من سورة الطلاق، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (١٢) آية، بعد البسملة، بدأت بأسلوب نداء للنبي محمد ﷺ.

أما أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾. قيل: نزلت عندما طلق رسول الله ﷺ حفصة، وقيل: "نزلت في عبدالله بن عمر، وذلك أنَّه طلَّق امرأته حائضا." [١٣١]

وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. نزلت في عوف بن مالك الأشجعي.

وقوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾. قال مقاتل: لما نزلت: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن﴾. قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري: يا رسول الله فما عدة التي لا تحيض، وعدة التي لم تحض، وعدة الحبلى "فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾." [١٣٢]

تشير الآية الكريمة بخلق سبع سماوات غير أرضية وخلق أرضين متعددة، منها هذه الأرض التي نسكنها نحن، تشبه السَّماوات السَّبع قال: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. أي تشبه السَّماوات السَّبع في العدد وبعض

---

[١٣٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٣٣.

[١٣١]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٤٣٥.

[١٣٢]- المرجع نفسه والصفحة.

الصّفات... والله أعلم.

الأرض الأولى: وهي قشرة الأرض الصَّلبة، يتراوح سمكها حوالي ٥ إلى ٨ /كلم تحت المحيطات، وبين ٣٠- ٤٠ كلم في القارات.

الأرض الثانية: وهي الغلاف الصَّخري للأرض تحت القشرة ويقدر سمكها حوالي٦٠ إلى٧٠ كلم تحت المحيطات، و بين٧٠ إلى٩٠ كلم تحت القارات.

الأرض الثالثة: وهي الجزء العلوي من الوشاح، وفيه صخور شبه منصهرة.

الأرض الرابعة: وهي الجزء الأوسط من الوشاح، وفيه الصّخور في حالة صلبة.

الأرض الخامسة: وهي الجزء السّفلي من الوشاح وفيه الصّخور في حالة صلبة. يقدر سمكها حوالي ٢٨٨٥ كلم تحت سطح البحر.

الأرض السادسة: وهي لب الأرض السائل ويتكون من الحديد والنيكل وشيء من العناصر الخفيفة والكل في حالة منصهرة. سمكها حوالي ٢٢٧٠ كلم.

الأرض السابعة: وهي لب الأرض، وهي عبارة عن كرة من الحديد والنّيكل ومواد أخرى خفيفة، يبلغ نصف قطرها حوالي ١٢١٦ كلم. أليس ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؟

من أقوال المفسرين

"وقد أفاد الدكتور محمود سراج الدين عفيفي، أنَّ الدراسات الجيوفيزيائية أثبتت أن الأرض تتكون من:

١- الغلاف الهوائي.

٢- الغلاف المائي

٣- القشرة الأرضية

٤- طبقة من السلكيات الخفيفة والثقيلة.

٥- طبقة من الأكاسيد والكبريتيدات.

٦- وسائل من الحديد والنيكل.

٧- نواة الأرض المكونة أيضا من الحديد والنيكل.

وعليه يمكن القول بان الأرض سبع أراضين لكنها متلاصقة بعضها ببعض لا يفصل بينهما فاصل."[١٣٣]

***قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الانبياء: ١٠٥].**

معاني الكلمات: "ٱلزَّبُورِ: كتاب داوود عليه السلام. يَرِثُهَا: يملكها. ٱلصَّٰلِحُونَ: جمع الصَّالح."[١٣٤]

تستهل الآية الكريمة بالقول: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ الزبور وهو الكتاب الذي أوتيه داوود عليه السلام. ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ ويكون الذِّكر إذن هو التوراة التي سبقت الزبور. وإما أن يكون وصفا لكل كتاب بمعنى قطعة من الكتاب الأصيل الذي هو الذِّكر وهو اللَّوح المحفوظ، وعلى أية حال فالمقصود بقوله: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ هو بيان سنة الله المقرَّرة في وراثة الأرض. إذا وبعد قوله سبحانه: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لقد استخلف الله آدم في الأرض لعمارتها وإصلاح ما فيها، وتنميتها، واستخدام الكنوز والطَّاقات المرصودة فيها، واستغلال الثروات الظَّاهرة والمخبوءة، والبلوغ بها إلى الكمال المقدَّر لها في علم الله.

ولقد شرع للإنسان القوانين التي تقيمه وتحرسه؛ وتكفل التَّناسق والتَّوازن بين خطواته. والمقصود هو هذا مع العناية بضمير الإنسان،أن يبلغ كماله المقدَّر له في هذه الحياة . فلا ينتكس حيوانا في وسط الحضارة المادية الزَّاهرة؛ ولا يهبط إلى الدَّرك بإنسانيته وهو المفضل على سائر المخلوقات بالعقل والتَّدبير قال: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلۡنَاهُمۡ فِي الۡبَرِّ

---

[١٣٣]- شبر الفقيه، المرجع السابق، ص٩١.

[١٣٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٢٤، ١١٧٢، ٦٧٤.

وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. ولكن للأسف قد يغلب على الأرض جبَّارون وظلمة وطغاة. وقد يغلب عليها همج ومتبربرون وغزاة. وقد يغلب عليها كفَّار فجَّار يحسنون استغلال قوى الأرض وطاقاتها استغلالا ماديا. وليس هذا الإرث لهذا القبيل من العمل. والوراثة الأخيرة هي للعباد الصَّالحين، الذين يجمعون بين الإيمان والعمل الصَّالح. فهو القائل: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

من أقوال المفسرين

"قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾، قال الأعمش: سألت سعيد بن جبير عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾، فقال الزبور: التَّوراة، والإنجيل، والقرآن. وقال مجاهد: الزبور: الكتاب."[١٣٥]

"عن الشَّعبي- رحمة الله عليه-: زبور داود- عليه السلام- والذِّكر: التَّوراة، وقيل: اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب، والذِّكر أم الكتاب، يعني اللَّوح."[١٣٦]

***قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ..﴾ [من الآية ١٧٦:الأعراف].**

معاني الكلمات: "أَخْلَدَ: سكن إليها وركن."[١٣٧]

وفي جزء هذه الآية قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي يرفع عن التَّدنس والقاذورات. ولكنه أخلد إلى مشهد مفزع بائس نكد أخلد ومال إلى الشَّهوات الدَّنيئة. إذا هذا المخلوق البائس التَّعس، لاصق بالأرض، ملوثا بالطين. ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب، يلهث إن طورد ويلهث إن لم يطارد. كل هذه المشاهد المتحركة تتتابع

---

[١٣٥] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٥٧.

[١٣٦] - الكشاف، المرجع السابق، ص١٦٩.

[١٣٧] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٦٤.

وتتوالى؛ والخيال شاخص يتبعها في انفعال وانبهار وتأثر. فإذا انتهى إلى المشهد الأخير منها. مشهد اللَّهاث الذي لا ينقطع. فقد شُبه بالكلب الذي يلهث بسبب الخوف والتَّوتر.

من أقوال المفسرين

"قول تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أي: لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها."[١٣٨]

"وَلَكِنَّهُ فعل ما يقتضي الخذلان، فَأَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ،- أي: إلى الشَّهوات السفلية، والمقاصد الدنيوية."[١٣٩]

"قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ أي: لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي آتيناه إياها، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: مال إلى زينة الدّنيا وزهرتها، وأقبل على لذاتها ونعيمها، وغرَّته كما غرَّت غيره من غير أولي البصائر والنهى."[١٤٠]

***قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].**

معاني الكلمات: " أَوْرَثَنَا: ملَّكنا وآتينا. نَتَبَوَّأُ: ننزل ونسكن."[١٤١]

تستهل الآية الكريمة بالحمد والثَّناء فهذه هي الأرض التي تستحق أن تورث. ويتبوأ منها الناس يسكنون فيها حيث شاءوا وينالون منها الذي يريدون وتختم مشهد السورة بما يغمر النفس بالروعة والرهبة والجلال، وما يتسق مع جو المشهد كله وظله، وما يختم سورة التَّوحيد أنسب ختام؛ والوجود كله يتجه إلى ربه بالحمد؛ في خشوع واستسلام.

---

[١٣٨] - ابن كثير، المرجع السابق، ص٨٠٢.

[١٣٩] - السعدي، المرجع السابق، ص٣٥٠.

[١٤٠] - ابن كثير، المرجع السابق، ص٨٠٠.

[١٤١] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١١٧٣، ١٧٠.

من أقوال المفسرين

"قولهم: ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۚ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ قال أبو العالية، وأبو صالح، وقتادة، والسدي، وابن زيد: أي أرض الجنة."[١٤٢]

"﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الذين اجتهدوا بطاعة ربهم، في زمن قليل منقطع، فنالوا بذلك خيرا عظيما باقيا مستمرا. وهذه الدَّار التي تستحق المدح على الحقيقة، التي يكرم اللّه فيها خواص خلقه، ورضيها الجواد الكريم لهم نزلا، وبنى أعلاها وأحسنها، وغرسها بيده، وحشاها من رحمته وكرامته ما ببعضه يفرح الحزين، ويزول الكدر، ويتم الصَّفاء."[١٤٣]

***قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ..﴾ [من الآية ٣٨ :التوبة].**

معاني الكلمات: "ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ: أسرعوا إلى الجهاد. ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ: أخلدتم إليها واطمأننتم فيها." [١٤٤]

الآية (٣٨) من سورة التوبة، وهي سورة مدنية تُعنى بجانب التَّشريع، وعدد آياتها (١٢٩) آية بعد البسملة، وأول هذه السورة نزلت على رسول الله عند مرجعه من غزوة تبوك.

أما أسباب النزول: ذُكر لها (٢٦) سببا منهم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ قيل: نزلت في المنافقين لتخلفهم عن الجهاد.

تستهل الآية بنداء للذين آمنوا وتوبيخهم ﴿مَا لَكُمْ﴾ إذا قيل لكم أسرعوا إلى الجهاد أخلدتم إلى الأرض ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، ومطامع الأرض، وتصورات الأرض. ثقلة الخوف على الحياة ، والخوف على المال ، والخوف على اللَّذائذ والمصالح والمتاع.

---

[١٤٢]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٢٩.

[١٤٣]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٥٩.

[١٤٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٥٣و٢٠٤.

ثقلة الدعة والرَّاحة والاستقرار. ثقلة الذَّات الفانية والأجل المحدود والهدف القريب. ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

من أقوال المفسرين

"قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ألا تعملون بمقتضى الإيمان، وداعي اليقين من المبادرة لأمر اللّه، والمسارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه والنّصرة لدينكم، فـ ﴿مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تكاسلتم."[١٤٥]

"﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة والخفض وطيب الثّمار."[١٤٦]

***قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾ [الرحمان:١٠].**

معاني الكلمات: لِلۡأَنَامِ: جميع ما على الأرض من الخلق وقد يشمل الجنّ، وغلبت في الدَّلالة على البشر.

الآية (١٠) من سورة الرحمن، هي إحدى سُور القرآن الكريم، وهي السورة الوحيدة التي بدأت باسم من أسماء الله الحُسنى دون أن يكون قبله كلام، وعدد آياتها (٧٨) آية بعد البسملة. ذُكِر في عدد من الكُتب أنّ الاسم الثاني لسورة الرحمن هو عروس القرآن.

حيث بيّنت السورة من خلال عدّها لنِعَم الله -تعالى- أعظم نِعمة مَنَّ الله بها على البشر؛ وهي نعمة تعلُّم الدِّين، وفي مُقدّمتها تنزيل القرآن الكريم، وتعليمه، ثمّ ذكرت خَلْق الإنسان، وتميُّزه بالعقل تِبعاً لذلك. وكما صوَّرت السورة موقف الحساب يوم القيامة، وأنَّه سيكون بِيَد الله -تعالى- وحده؛ فهو الملك والحَكَم الواحد القهّار الذي لا يستطيع أحد أن يهرب من عقابه؛ لأنّه لا سُلطان إلّا إليه في ذلك الموقف العظيم.

وخُتِمت السورة بالثَّناء على الله -تعالى-، وتعظيمه.

وفي جزء هذه الآية الكريمة تتحدَّث عن وضع هذه الأرض للبشر

---

[١٤٥]- السعدي، المرجع السابق، ص٣٨٤.

[١٤٦]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٨٨٢.

للاستقرار فيها. وجعلت استقراره عليها ممكنا وميسورا إلى الحد الذي لا يكاد يشعر به. ولا ينتبه إلى ضخامة معنى الاستقرار.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي: كما رفع السَّماء وضع الأرض ومهدها، وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات، لتستقر لما على وجهها من الأنام، وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم."[١٤٧]

***قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الملك: ٢٤].**

معاني الكلمات: "ذَرَأَكُمْ: أبدعهم على غير مثال وبثّهم وكثّرهم. إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ: تصيرون إليه وترجعون ."[١٤٨]

الآية (٢٤) من سورة الملك، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٣٠) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة الطور.

أما أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦ﴾ قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسرّوا قولكم لئلا يسمع إله محمد.

تخبر الآية الكريمة، بأنَّه سبحانه وتعالى هو الذَي نشر كم أيها الخلائق على سطح هذه المعمورة، مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم، وأشكالكم وصوركم، ليخلف بعضكم البعض ويعمروها كما أمر في نواميس خلقه. "(ذَرَأَ) الله الخلق (كجعل) يذرؤهم ذَرْأً خلق والشَّيء كثَّره."[١٤٩]

---

[١٤٧] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٧٩٥.

[١٤٨] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٤٢٩، ٢٩٥.

[١٤٩] - محمد بن محمد بن عبدالرزاق المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت، ص٢٣٣.

من أقوال المفسرين

"﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: بثَّكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها، مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم، وحلاكم وأشكالكم وصوركم."[١٥٠]

"﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾- أي: بثَّكم في أقطارها، وأسكنكم في أرجائها، وأمركم، ونهاكم، وأسدى عليكم من النّعم، ما به تنتفعون، ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة."[١٥١]

***قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ..﴾ [من الاية٣٩ :فاطر].**

معاني الكلمات: "خَلَٰٓئِفَ: جمع خليفة: من يخلف غيره ويقوم مقامه." [١٥٢]

الآية (٣٩) من سورة فاطر، سورة مكية، من المثاني، وعدد آياتها (٤٥) آية بعدالبسملة.

سميت بالملائكة؛ لأنّ الله -تعالى- ذكر فيها الملائكة، وصفاتهم.

ويدور موضوعها حول العقيدة الصَّحيحة، وتثبيت قلب النبيّ-عليه الصلاةُ والسلام-، ولفت أنظار الناس إلى الكون وما فيه من آيات، والتَّركيز على بعض مشاهد يوم القيامة، كالحساب، والبعث، وأهل الجنة، وأهل النار.

تستهل الآية الكريمة لتخبرنا بقوة الخالق سبحانه وتنبهنا إلى تتابع الأجيال في الأرض، و تذكّرنا بذهاب جيل ومجيء جيل، وهذا يورث ذاك، وكم من دول انتهت وقيام دول أخرى، وكم من زعيم انطفأت شعلته وأضاءت شعلة أخرى. وهذا الدّثور والظّهور المتواليان على مر الدّهور والقرون، إنها حركة دائبة فيها عبرة وعظة، وأن يشعر الحاضرين أنهم سيكونون بعد حين غابرين، يتأمَّل الآتون بعدهم آثارهم ويتذاكرون

---

[١٥٠]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٠٠.

[١٥١]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٣٥.

[١٥٢]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٦٩.

أخبارهم، كما هم يتأمَّلون آثار من كانوا قبلهم ويتذاكرون أخبارهم. وجدير بأن يوقظ الغافلين إلى من يدير الأعمار ويقلب الليل على النهار، وتورث الملك لمن لا ملك له، وبجعل من الجيل خليفة لجيل. وكل شيء يمضي وينتهي ويزول، والله وحده هو الباقي الدَّائم الذي لا يزول ولا يحول.

من أقوال المفسرين

"يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: جعلكم تعمرون الأرض جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، وخلفا بعد سلف."[١٥٣]

"قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾- أي: يخلف بعضكم بعضا، واستخلفكم الله في الأرض، وسخَّر لكم جميع ما فيها، وابتلاكم، لينظر كيف تعملون."[١٥٤]

***قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ..﴾ [من الآية ٤٢ :النساء].**

معاني الكلمات: "يَوَدُّ- وَدَّ: أحب وتمنَّى. تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ: يصبحون هم وتراب الأرض سواء، والمراد أنهم يريدون أن يغيبوا في بطن الأرض."[١٥٥]

الآية (٤٢) من سورة النساء، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (١٧٦) آية بعد البسملة.

سُميت بهذا الاسم لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلَّق بالنساء بدرجة لم توجد في غيرها من السور ولذلك أُطلِقَ عليها (سورة النساء الكبرى) مقابلة سورة النساء الصغرى التي هي سورة الطلاق.

أما أسباب النزول: ذُكر لها (٤٥) سببا من أسباب نزول سورة النساء ومن بين هذه الأسباب قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾. "نزلت في رجل

---

[١٥٣]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٥٦٠.

[١٥٤]- السعدي، المرجع السابق، ص٣١٦.

[١٥٥]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ١١١٦، ٦١٢.

من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال، فمنعه عمه، فترافع إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية."[١٥٦]

قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ﴾. روي عن عائشة بخصوص هذه الآية الكريمة قالت: أنزلت في الرجل يكون له اليتيمة وهو وليها ولها مال وليس لها أحد يخاصم غيرها، فلا ينكحها حبا لمالها، ويضربها ويسيء إليها فقال تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾. نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه.

وقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾. "نزلت في أم كجة."[١٥٧] ذكرنا (٠٤) أسباب من بين (٤٥).

ومحورهذه السورة يدور حول الأحكام التَّشريعية التي تنظم الشّؤون الدَّاخلية والخارجية للمسلمين وهي تعني بجانب التَّشريع كما هو الحال في السور المدنية وقد تحدثت السورة الكريمة عن أمور هامة تتعلَّق بالمرأة والبيت والأسرة والدَّولة والمجتمع ولكن معظم الأحكام التي وردت فيها كانت تبحث حول موضوع النساء.

تستهل الآية الكريمة لتخبرنا بالمشهد الرَّهيب لحضور كل الأمم. ويأتي على كل أمَّة شهيد بأعمالها. وهؤلاء الكافرون المختالون الفخورون الباخلون المبخلون، الكاتمون لفضل الله، المراءون الذين لم يبتغوا وجه الله. هؤلاء هم نكاد نراهم من خلال التَّعبير! واقفين في السَّاحة يتمنون أن تخسف بهم الأرض وتبتلعهم جرَّاء خجلهم بجرمهم الفضيع وندمهم وخوفهم بما فعلوا. بعصيانهم للرَّسول ومع الاعتراف بكفرهم، فاليوم لا جدوى من الإنكار. إنها المهانة والخزي، والخجل والنَّدامة ولكن ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعۡمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

---

[١٥٦]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص١٤٢.

[١٥٧] - المرجع نفسه، ص١٤٣.

من أقوال المفسرين

"فيقولون ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] قال فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم وتشهد عليهم جوارحهم أنهم كانوا مشركين. فعند ذلك يتمنَّون لو أنَّ الأرض سويت بهم."[١٥٨]

"﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾- أي: جمعوا بين الكفر بالله وبرسوله، ومعصيةِ الرَّسول ﴿لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾- أي: تبتلعهم ويكونون ترابا وعدما."[١٥٩]

***قال تعالى: ﴿... وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [من الآية ٣٦ :البقرة].**

معاني الكلمات: مُسْتَقَرٌّ: موضع استقرار. مَتَٰعٌ: المتاع ما يتمتع به من المأكول والمشروب والملبوس ونحوه.

الآية (٣٦) من سورة البقرة، وهي سورة مدنية، من السور الطّوال، وعدد آياتها (٢٨٦) آية بعد البسملة. تعنى بجانب التشريع، شأنها كشأن سائر السور المدنية، التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج اليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية.

سميت سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصَّة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها.

أما أسباب النزول: ذُكر لها (٦٨) سببا، نذكر منها ما يلي: قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ عن مجاهد قال: أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين، وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين، وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته.

---

[١٥٨]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٤٨٤.

[١٥٩]- السعدي، المرجع السابق، ص١٩٣.

"وكان أسلوبها أحسن ما يأتي عليه أسلوب جامع لمحاسن الأساليب الخطابية وأساليب الكتب التَّشريعية وأساليب التَّذكير والموعظة."[١٦٠]

تتحدث سورة البقرة عن المتقين وصفاتهم، ثم عن الكافرين وأوضح علاماتهم، ثم عن المنافقين وحقيقتهم وعلاماتهم.

يستهل هذا الجزء من الآية الكريمة لتخبرنا عن مقر الإنسان وانطلاق المعركة في مجالها المقدَّر لها. بين الشَّيطان وبينه. إلى آخر الزَّمان. إلى أن يأذن الله بتوقيفها وإنهائها.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾ أي: موضع استقرار، وقيل: المراد الاستقرار في القبور، والمتاع: ما يستمتع به، من أكل، ولبس، وحديث، وأنس، وغير ذلك."[١٦١]

"قوله: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ أي: قرار وأعمار مضروبة إلى آجال معلومة، قد جرى بها القلم، وأحصاها القدر، وسُطّرت في الكتاب الأول. وقال ابن عباس: ﴿مُسۡتَقَرّٞ﴾ القبور. وعنه: وجه الأرض وتحتها. رواهما ابن أبي حاتم."[١٦٢]

"قوله تعالى: وقلنا اهبطوا أي انزلوه إلى الأرض يعني آدم وحواء وإبليس والحية، فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود، وحواء بجدة، وإبليس بالآيلة،
والحية بأصفهان."[١٦٣]

---

[١٦٠]- عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي: (٧٨٦-٨٧٥)، تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج١، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، ط١(١٤١٨-١٩٩٧)، ص١٧٤.

[١٦١]- المرجع نفسه، ص ٢٢٢.

[١٦٢]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١١٨.

[١٦٣]- أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي: ت٥١٦هـ، تفسير البغوي، معالم التنزيل، مج١، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، طبع ١٤٠٩هـ، ص٨١.

***قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧].**

معاني الكلمات: "أَنْبَتَكُم: أنشأكم."[١٦٤]

الآية (١٧) من سورة نوح، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٢٨) آية بعد البسملة.

محور السورة يدور حول العقيدة الإسلامية.

وتستهل السورة بذكر نبي الله نوح عليه السلام وإرساله إلى قومه لينذرهم ويحذرهم من العذاب الأليم، وتشير السورة الكريمة إلى عصيان قوم نوح وعدم سماعهم له، وتشير أيضا إلى أنَّ نوح عليه السلام وبعد محاولاته الشَّديدة لإقناع قومه ولكنهم أصروا واستكبروا استكبارا، ودعاهم أيضا إلى عبادة الواحد الأحد، والكف عن عبادة الأوثان، وتختم السورة الكريمة بدعاء نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا.

خلق الإنسان من مادة كوكب الأرض، وذرات العناصر الموجودة في جسم الإنسان قد تكونت في الأصل منذ بلايين السنين بالاندماج النَّووي لذرات الإيدروجين الموجودة بالشَّمس.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ هذا اسم مصدر، والإتيان به ها هنا أحسن."[١٦٥]

"قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ سلَّكم من تراب الارض كما يسل النبات."[١٦٦]

***قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا..﴾ [من الآية ٢٩: البقرة].**

معاني الكلمات: "جَمِيعًا: يؤتى بها لتوكيد معنى الجمع."[١٦٧]

---

[١٦٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٧٦.

[١٦٥]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٢٢.

[١٦٦]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٤٥٣.

قوله: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ نلاحظ أنَّ كلمة: ﴿لَكُم﴾ مشتركة ما بين الجعل والتَّسخير وهي ذات مدلول عميق وذات إيحاء كذلك عميق. إنها قاطعة في أنَّ الله خلق هذا الإنسان لأمر عظيم، خلقه ليكون مستخلفا في الأرض، وسخَّر له كل ما في السَّموات من شمس وقمر ونجوم، وكل ما في الأرض من دابة وشجر وسفن وغير ذلك لمنافعه، جميع هذه النعم منَّة من الله وحده أنعم بها على الإنسان، وهو المالك لما فيها، فاعلا مؤثرا فيها. إنَّه الكائن الأعلى في هذا الملك العريض، مميز بالعقل والتَّفكير؛ والسَّيد الأول في هذا الميراث الواسع. ودوره في الأرض إذن وفي أحداثها وتطوراتها هو الدور الأول؛ إنَّه سيّد الأرض، وهو السَّيد الكريم! وكل قيمة من القيم المادية لا يجوز أن تطغى على قيمة الإنسان، قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الاسراء٧٠]. وخلق لغاية الوجود الإنساني. فكرامة الإنسان أولا، ثم تجيء القيم المادية تابعة مسخَّرة.

من أقوال المفسرين

"﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: خلق لكم، برا بكم ورحمة، جميع ما على الأرض، للانتفاع والاستمتاع والاعتبار. وفي هذه الآية العظيمة دليل على أنَّ الأصل في الأشياء الإباحة والطَّهارة، لأنها سيقت في معرض الامتنان، يخرج بذلك الخبائث، فإنَّ [تحريمها أيضا] يؤخذ من فحوى الآية، ومعرفة المقصود منها، وأنَّه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر، فهو خارج من ذلك، ومن تمام نعمته، منعنا من الخبائث، تنزيها لنا."[١٦٨]

"﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾. فأخبرهم جل ذكره أنَّه

---

[١٦٧]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٤١.

[١٦٨]- السعدي، المرجع السابق، ص٣٨.

خلق لهم ما في الأرض جميعا، فدليل على وحدانية ربهم، وأما في الدنيا فمعاش وبلاغ لهم إلى طاعته وأداء فرائضه.[١٦٩]

***قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا..﴾ [غافر: ٦٤].**

تستهل الآية الكريمة بتسخير الأرض وجعلها للإنسان (قرارا[١٧٠]) والقرار الاستقرار في المكان، والأرض ثالثة الكواكب قربا من الشَّمس، وتحتوي هذه الأرض على نسب كبيرة من المعادن كالحديد بنسبة ٣٥.٩% من مجموع كتلة الأرض المقدرة ب ٥٥٢٠ ملون مليون مليون طن، النيكل حوالي ٩% وبعض العناصر الخفيفة الأخرى قال رسول اللهﷺ: «تقيئ الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانة من الذَّهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السَّارق فيقول، في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيا.»[١٧١] فقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾، أي جعل الظروف العامة للأرض مناسبة للحياة على سطحها، منها مقدار "الجاذبية"[١٧٢]. وما يتوفر من معادن في الأرض، والنَّباتات والماء، وكل متطلبات الحياة.

من أقوال المفسرين

---

[١٦٩]- أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ٢٢٤-٣١٠هـ، تفسير الطبري، ج١، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص٤٣٠.

[١٧٠]- قرارا: القرار والاستقرار توطين فنمو وتطور وعلم ومعرفة وخشوع لله وعبادة وتفكر وتأمل وعمل ومجاهدة ورزق وارتزاق وكل شيء أمر به الله. (انظر حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص١٧٤.)

[١٧١]- أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ): صحيح مسلم، ج١، دار إحياء الكتب العربية، ودار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، (١٤١٢-١٩٩١م)، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، ٦٢-١٠١٣، ص٧٠٢.

[١٧٢] - إن قانون الجاذبية لا يمكن ملاحظته قطعا، وكل ما شاهده العلماء لا يمثل في ذاته قانون الجاذبية، وإنما هي أشياء أخرى، اضطروا لأجلها -منطقيا- أن يؤمنوا بوجود هذا القانون. واليم يلقي هذا القانون إقبالا عظيما وكشف عنه نيوتن لأول مرة. (انظر وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، مكتبة الرسالة، ص٤٢.)

"قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾- أي: قارة ساكنة، مهيَّأة لكل مصالحكم، تتمكَّنون من حرثها وغرسها، والبناء عليها، والسَّفر، والإقامة فيها."[١٧٣]

***قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].**

معاني الكلمات: "ءَايَٰتٞ: علامات ومعجزات ودلائل وعبر."[١٧٤]

تستهل الآية الكريمة بآيات الله في الأرض والدَّالة على طلاقة قدرته و على صدق وحيه الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ. ومن الواضح أنَّ بعد الأرض عن الشَّمس قد قدّرت بدقَّة بالغة تسمح بتلقّي قدر من طاقة الشَّمس يتناسب مع حاجات كل الكائنات الحية على سطحها، وتحديد مدار الأرض حول الشَّمس بشكله البيضاني (الاهليجي)، وتحديد وضع الأرض فيه قربا وبعدا على مسافة مدقَّقة يساهم في ضبط كمية الطَّاقة الشَّمسية التي تصل إلى جزء من أجزاء الأرض، تقوم المادة الخضراء بامتصاص الطَّاقة الضَّوئية، وتحويلها إلى طاقة كيميائية ينتج عنها تكوين الثّمار المختلفة، فسبحانه وتعالى وبحسن خلقه وتدبيره جعل للغلاف الغازي للأرض مهمة الحماية بقدرته سبحانه، فهو من يرد علينا جزءا كبيرا من حرارة الشَّمس وأشعَّتها المهلكة كما يرد قدرا هائلا من الأشعَّة الكونية القاتلة، والتي تحترق بمادته أجرام الشّهب وأغلب مادة النَّيازك، وكذلك لو لم يكن ميول الأرض بمحورها على مستوى مدار الشَّمس ما تبادلت الفصول، ويؤدي هذا إلى اختلال نظام الحياة. وصدق العلي القدير القائل: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ وذلك شامل لنفس الأرض، وما فيها، من جبال وبحار، وأنهار، وأشجار، ونبات تدل المتفكر فيها، المتأمل لمعانيها،

---

[١٧٣] - السعدي، المرجع السابق، ص٨٧٢.

[١٧٤] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٨.

على عظمة خالقها، وسعة سلطانه، وعميم إحسانه، وإحاطة علمه، بالظَّواهر والبواطن."[١٧٥]

"قوله: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ أي: فيها من الآيات الدَّالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسَّعادة والشَّقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه." [١٧٦]

***قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرىٰ﴾ [طه:٥٥].**

تستهل الآية الكريمة بالأرض ﴿مِنْهَا خَلَقْنٰكُمْ﴾ التي خلق منها الإنسان، والسياق المقصود التربة، فقطاع التربة مستمد أصلا من تجوية صخور قشرة الأرض وتعريتها، وكان هناك شيء من التَّشابه بين التَّركيب الكيميائي لجسم الإنسان والتّربة الزّراعية، وأديم الأرض مع الأكثرية للماء بجسم الإنسان، ووجود كل من عناصر الكربون والنّيتروجين والفسفور. عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالحَزْنُ وَالخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»."[١٧٧]

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، أي بعد وفاة الإنسان ودفنه في الأرض- ها قد عاد-

---

[١٧٥]- السعدي، المرجع السابق، ص٩٥٥.

[١٧٦]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٧٦٤.

[١٧٧]- الراوي: أبو موسى الأشعري- المحدث: ابن العربي- المصدر: عارضة الأحوذي الصفحة أو الرقم: ٧٤/٦ خلاصة حكم المحدث: صحيح| التخريج: أخرجه الترمذي (٢٩٥٥) واللفظ له، وأخرجه أبو داود (٤٦٩٣)، وأحمد (١٩١٤٥) باختلاف يسير.

يبدأ هذَا الجسد الذي رجع إلى الأرض التي خُلق منها وعناصر جسم الإنسان تُشبه في مجموعها التَّركيب الكيميائي لتراب الأرض، ويتكوَّن تراب الأرض في غالبيته من المعادن الصَّلصالية وبدورها تتكون من سيليكات الألمنيوم المميأة، وتشمل عدد من المعادن تزيد عن العشرة، وهناك عناصر أخرى في هذه التَّكوينة مثل المغنيسيوم، والبوتاسيوم، وغيرهما من العناصر. وتختلط مع المعادن الصَّلصالية حبات من الرَّمل (الكوارتز) والفلسبار وغيرها من بقايا النَّباتات والبكتيريا وبقايا الكائنات الحية مما يجعل تراب الأرض الممزوج بالماء (الطين) قريبا في التَّركيب الكيميائي لجسم الإنسان. وها هو الجسم بعد موته يتحلَّل إلى تراب بعملية معاكسة للعملية التي خلق منها، ارتوى بالماء فأصبح طينا، وامتصَّ الماء من الطين فأصبح (سلالة من طين)، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ [المؤمنون: ١٢]. وبعد تبخر المحاليل المذيبة لتلك السّلالة ترسَّبت بعض العناصر والمركبات فأصبح (طينا لازب) أي لصق ب بعضه، ثم من (حمإ مسنون) قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر٢٦]. أي أسود منتن، وأصبح بعدها صلصالا كالفخار، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الۡإِنسَانَ مِن صَلۡصَالٖ كَالۡفَخَّارِ﴾ [الرحمن:١٤]. ثم نفخ فيه سبحانه القادر المقتدر من روحه فأصبح إنسانا، هاهو يعود إلى الأرض هاهو يتحلل تدريجيا وتقوم البكتيريا والطفيليات التي كانت تعيش معه في حياته بأعمالها تجاه هذَا الجسد. كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ [الحج: ٥].

من أقوال المفسرين

"ذكر كرم الأرض، وحسن شكرها لما ينزله الله عليها من المطر، وأنها بإذن ربها، تخرج النبات المختلف الأنواع، أخبر أنه خلقنا منها، وفيها يعيدنا إذا

متنا فدفنا فيها."[١٧٨]

"قال: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، ثم أخذ أخرى وقال: ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ ." [١٧٩]

١-٣ المبحث الثالث: الأرض المفطورة

***قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١].**

معاني الكلمات: "فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ: خلقهما وأبدعهما. "[١٨٠]

تستهل الآية الكريمة في بداية السورة بالحمد والثَّناء على الذي خلق وأبدع، صور فأحسن، وهذه القبضة القوية تنفرج فترسل بالرَّحمة تتدفَّق وتفيض، وتنقبض فتغلق ينابيعها وتغيض. بلا معقب، إنَّه الواحد الأحد بديع السَّماوات والأرض وخلقهما بلا منازع ولا شريك.

من أقوال المفسرين

"﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بديع السَّماوات والأرض .وقال الضحاك: كل شيء في القرآن فاطر السَّماوات والأرض فهو: خالق السَّماوات والأرض."[١٨١]

"يمدح الله تعالى نفسه الكريمة المقدَّسة، على خلقه السَّماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، لأن ذلك دليل على كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه."[١٨٢]

***قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ٧٩].**

معاني الكلمات: "فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ: خلقهما وأبدعهما."[١٨٣]

---

[١٧٨]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٩٠

[١٧٩]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢١٨.

[١٨٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٥٩.

[١٨١]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٥٤٩.

[١٨٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٠٣.

[١٨٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٥٩.

فهو الاتجاه الصَّحيح الاتجاه إلى فاطر السَّماوات والأرض. ومبدعهما، الاتجاه الذي لا ينحرف أبدا إلى الشرك والوثنية. انه الاتجاه الحنيف، وهي الكلمة الفاصلة، واليقين الجازم، والاتجاه الأخير. فلا تردّد بعد ذلك ولا حيرة فيما تجلَّى للعقل من تصور مطابق للحقيقة التي في الضَّمير.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ أي: لله وحده، مقبلا عليه، معرضا عن من سواه." [١٨٤]

"قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق. ﴿حَنِيفًا﴾ أي في حال كوني حنيفا، أي: مائلا عن الشرك إلى التوحيد." [١٨٥]

***قال تعالى: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ..﴾ [إبراهيم:١٠].**

معاني الكلمات: "شَكٌّ: تردد وعدم الوصول إلى اليقين." [١٨٦]

﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ﴾ أفي الله شك والسماوات والأرض تنطقان للفطرة بأن الله خلقهما وأبدعهما إبداعا وأنشأهما إنشاء؟ قالت رسلهم هذا القول، لأنَّ السَّماوات والأرض آيتان بارزتان، فمجرد الإشارة إليهما يكفي، ويرد الشَّارد إلى الرّشد سريعا، ولم يزيدوا على الإشارة شيئا لأنَّها وحدها تكفي.

من أقوال المفسرين

"قوله: ولهذا ﴿قَالَتْ﴾ لهم ﴿رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ أي: فإنَّه أظهر الأشياء وأجلاها، فمن شك في الله ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ الذي وجود الأشياء مستند إلى وجوده، لم يكن عنده ثقة بشيء من المعلومات، حتى

---

[١٨٤]- السعدي، المرجع السابق، ص٢٩٢.

[١٨٥]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٧٠٠.

[١٨٦]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٦٣٨.

الأمور المحسوسة، ولهذا خاطبتهم الرسل خطاب من لا يشك فيه ولا يصلح الريب فيه."[١٨٧]

"يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة، وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاءوهم به من عبادة الله وحده لا شريك له، قالت الرسل: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ وهذا يحتمل شيئين، أحدهما: أفي وجوده شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السَّليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النَّظر في الدَّليل الموصل إلى وجوده؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتَّسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه."[١٨٨]

***قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ..﴾ [الزمر:٤٦].**

﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ..﴾ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور سبحانه علاَّم الغيوب.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ..﴾ أي: ادع أنت الله وحده لا شريك له، الذي خلق السَّماوات والأرض وفطرها، أي: جعلها على غير مثال سبق، ﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ..﴾ أي: السر والعلانية."[١٨٩]

"قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾- أي: خالقهما ومدبرهما.

---

[١٨٧]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٨٨.

[١٨٨]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٢٣.

[١٨٩]- المرجع نفسه، ص١٦٢٣.

﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ﴾ الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ الذي نشاهده."[١٩٠]

***قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [الطارق:١٢].**

معاني الكلمات: "ذات الصَّدع: الأرض تنشق عن النَّبأ" [١٩١]

الآية (١٢) من سورة الطارق وهي سورة مكية، وعدد آياتها (١٧) آية بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لورود القسم في أولها بالسَّماء والطَّارق، ومحور السورة يدور حول العقيدة، منها البعث، صدق الوحي بالقرآن.

أما أسباب النزول: قيل: نزلت في أبي طالب، عندما أتى رسول اللهﷺ فأقدم له خبزا ولبنا، فبينما هو يأكل، إذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا، ففزع وقال: أي شيء هذا: فقال رسول اللهﷺ: «هذا نجم رمي بها وهو آية من آيات الله تعالى»، فعجب أبو طالب "فأنزل الله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾." [١٩٢]

وتستهل الآية الكريمة بذكر الأرض ذات الصَّدع أي الشَّق في الأجسام الصَّلبة، ومن الممكن أنَّ القصد انصداع الأرض عن النَّبات، أي انشقاقها عنه، ومن الممكن أنَّ الصَّدع المقصود هو انشقاق التّربة عن النَّبات، لأنَّ تربة الأرض تتكوَّن عادة من معادن الصَّلصال المختلطة بالرَّمل أو غير المختلطة وتتركَّب من سيليكات الألمنيوم والألومينا مع عناصر أخرى كثيرة فعندما تُروى بالماء يؤدي ذلك إلى انتفاشها وزيادة حجمها فتنشق. أما الاحتمال الثاني فهو تصدّع صخور اليابسة، نتيجة لتعرض صخور قشرة الأرض للإجهاد بالشَّد أو بالتَّضاغط فتقع فيها مجموعات من الفواصل على هيئة شقوق في قشرة الأرض تتمزَّق إلى كتل

---

[١٩٠]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٥٤.

[١٩١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٦٦٤.

[١٩٢]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٤٥٣.

متجاورة ويقع الانشقاق. والاحتمال الثالث وهو تصدّع الغلاف الصَّخري للأرض، اكتشف العلماء أنَّ الأرض محاطة بشبكة هائلة من الأودية الخسيفة وفيها من الصّدوع العملاقة، وتتَّسع هذه الصّدوع إلى أن تصل إلى الانشقاق.

من أقوال المفسرين

"﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ أي: تتصدَّع عن النَّبات، والأشجار، والثمار والأنهار."[١٩٣]

"فالأرض التي نحيا عليها لها غلاف صخري خارجي، هذا الغلاف ممزَّق بشبكة هائلة من الصّدوع تمتد لمئات الكيلومترات طولا وعرضا بعمق يتراوح ما بين ٦٥ كيلومترا و ١٥٠ كيلومترا في كل الاتجاهات."[١٩٤]

١-٤ المبحث الرابع: مد الأرض

***قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ [الحجر:١٩].**

معاني الكلمات: "مدَّ: بسط."[١٩٥]

تستهل الآية بمد الأرض والمد كما هو معروف البسط ولكن الآية الكريمة تدل على أنك أينما ذهبت فوق الأرض تجدها ممدودة أمامك، وهذا لا يمكن هندسيا إلا إذا كانت الأرض كروية لأنها لو كانت مسطحة لا اختفى هذا المد عند الوصول لحدودها لان الشيء المبسوط له حدود. وكلمة مَدَدۡنَٰهَا تعطي المعنى لرؤية الجزء من الكل والتكور للكل.

من أقوال المفسرين

---

[١٩٣] - أبو إسحاق احمد بن إسحاق الثعلبي، (ت٤٢٧): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة والدراسات الإسلامية، إعداد الطالب (صلاح بن سالم بن سعيد باعثمان)، ج٢،(١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ص٤٨٣.

[١٩٤] - زغلول النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، من تقديم احمد فراج، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط١٣، (١٤٢٩هـ- يناير ٢٠٠٨م)، ص٧٧.

[١٩٥] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٣٦.

"قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ إنَّ التَّعبير عن الأرض بالمد أو البسط وما إلى ذلك يشعر بأنَّه تعالى جعل حجم الأرض عظيما لا يقع البصر على منتهاه لأنَّ الأرض لو كانت أصغر حجما مما هي الآن عليه لما كمل الانتفاع به."[١٩٦]

"قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ أي: وسَّعناها سعة يتمكن الآدميون والحيوانات كلها على الامتداد بأرجائها والتَّناول من أرزاقها والسكون في نواحيها. ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالا عظاما تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد وتثبتها أن تزول." [١٩٧]

١-٥ المبحث الخامس: إنقاص الأرض من أطرافها

***قال تعالى: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾ [الرعد:٤١].**

معاني الكلمات: "أَطۡرَافِهَآۚ: نواحيها."[١٩٨]

الآية (٤١) من سورة الرعد، وهي سورة مدنية، وتحمل ظاهرة من الظَّواهر الجوية، ومحورها دور حول العقيدة الإسلامية، وتستشهد في مواضع كثيرة بالعديد من الآيات والظَّواهر الكونية الدَّالة على القدرة الإلهية وخالق الخلق، مثل حدوث الرعد، والبرق، والصَّواعق، وتكوين السَّحاب الثّقال، وإنزال المطر.

أما أسباب النزول: ذُكر لها (٠٤) أسباب- من بين هذه الأسباب- قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ "نزلت في صلح الحديبية"[١٩٩] حين أرادوا كتابة الصلح، فقال رسول اللهﷺ لعلي: أكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل بن عمر والمشركون: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة،

---

[١٩٦]- هند شلبي: التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النَّظريات والتَّطبيق، (تونس)١٤٠٦ هـ،-١٩٨٥، ص١٠٦.

[١٩٧]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٩٨.

[١٩٨]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٠٦.

[١٩٩]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٢٧٣.

يعنون (مسيلمة الكذَّاب)، أكتب باسمك اللهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وتعرض السورة حقيقة غيبية لا يعلمها إلاَّ علاَّم الغيوب، وهي تسبيح الرعد وسجود بالغدو والآصال كل من في الكون لجلاله وعظمته، وتشير السورة إلى مكر الأمم السَّابقة.

وتستهل الآية الكريمة التي نحن بصدد دراستها ﴿أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾، كقوله تعالى: ﴿..أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء:٤٤].

وقد رأى بعض علمائنا الأجلاء المفسرين أنَّ إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى موت الصَّالحين والعلماء والعُبَّاد. وقيل أيضا يقصد بالفتوحات والتَّوسعة لبلاد المسلمين.

أثبت العلماء أنَّ الشَّمس تفقد من كتلتها في كل ثانية ونتيجة لتحول غاز الإيدروجين باندماجه مع غاز الهيليوم خمسة ملايين طن على هيئة طاقة، ونظرا لما يحدث فلابد للأرض أن تحافظ على المسافة التي بينها وبين الشَّمس. "تسير مركبة فوياجر١ بسرعة ٦١ ألف كلم/سا، تم إطلاق هذه المركبة وتوأمها فوياجر ٢ سنة ١٩٧٧ لتقوم بتوفير معلومات عن الكوكب البعيدة كالمشتري وزحل وبلوتو وغيرهم، وتم توجيهها نحو النظام الشَّمسي، ورغم تحلقها بسرعة ٦١ ألف/كلم/سا ومنذ ما يقارب ٤٥ سنة متواصلة من التَّحليق، لم تتجاوز حدود النظام الشَّمسي."[٢٠٠] إذا تفقد الأرض من كتلتها قدر ما تفقده الشَّمس من كتلتها، ويخرج ذلك من الأرض عن طريق الغازات والأبخرة وأجزاء ضالة من المواد الصَّلبة، وفلت البعض الآخر من جاذبية الأرض، وبهذا الفقدان من كتلة الأرض فإنها تنكمش على ذاتها وتنقص من جميع أطرافها وتحتفظ بالمسافة الفاصلة

---

[٢٠٠]- عز الدين قداري الإدريسي: عالم فلك، عجائب وغرائب علم الفلك والكون، ص١٥.

بينها وبين الشَّمس، ولولا ذلك لانطلقت الأرض من عقال جاذبية الشَّمس وتاهت في صفحة الكون وهلك كل من عليها. أو تنجذب إلى قلب الشَّمس حيث تبلغ درجة حرارتها ١٥ مليون درجة مئوية فتنصهر وينصهر كل من فيها. ولهذا قال علاَّم الغيوب: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾. ومن الدَّلالات العلمية لإنقاص الأرض من أطرافها: إما: انكماشها على ذاتها، أو عوامل أخرى منها:

عوامل خارجية: وهي ترجع لتأثير غلافي الجوي والمائي في القشرة الأرضية، ومن هذه العوامل الرياح والأمطار والسيول والبحار والمحيطات والأنهار.

وعوامل داخلية: وهي ترجع لظروف خاصَّة في باطن الأرض من حرارة وضغط وما ينتج عنها من زلازل وبراكين وحركات أرضية تؤثر في القشرة الأرضية.

من أقوال المفسرين

"وقد حدث أنَّ كميات كبيرة من الغازات والعناصر التي تحيط وسط الكرة الأرضية قد انطلقت بقوة الطَّرد المركزية إلى الخارج بعيدا حول خط الاستواء مما ساعد على انبعاج الكرة الأرضية عند خط الاستواء، ونقص طرفيها عند القطبين، الشَّمالي والجنوبي."[٢٠١]

"سطح الأرض غير مستو، ففيه قمم عالية، وسفوح هابطة وسهول، وهي أطراف طبقا للتَّباين في المناسيب، ومن ناحية أخرى فإنَّ الأرض شبه كرة، فلها قطبان ولها خط استواء فتعتبر هذه أطرافا لها، والسَّطح كله يعتبر أطرافا للأرض، فالمحيط في الشَّكل الكروي آو شبه الكروي يعتبر أطرافا للأرض وكل هذه الأطراف في تناقص مستمر إلى أن يشاء الله."[٢٠٢]

"قوله: قال متوعدا للمكذبين ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قيل بإهلاك المكذبين واستئصال الظَّالمين، وقيل: بفتح بلدان

---

[٢٠١] - السيد الجميلي، المرجع السابق، ص٢٥.

[٢٠٢] - زغلول النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٦.

المشركين، ونقصهم في أموالهم وأبدانهم، وقيل غير ذلك من الأقوال. والظَّاهر -والله أعلم- أنَّ المراد بذلك أنَّ أراضي هؤلاء المكذبين جعل الله يفتحها ويجتاحها، ويحل القوارع بأطرافها، تنبيها لهم قبل أن يجتاحهم النّقص، ويوقع الله بهم من القوارع ما لا يرده أحد."[٢٠٣]

"قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قال ابن عباس: أو لم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض؟

وقال في رواية: أو لم يروا إلى القرية تخرب، حتى يكون العمران في ناحية؟.

وقال مجاهد وعكرمة: ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قال: خرابها.

وقال الحسن والضحاك: هو ظهور المسلمين على المشركين

وقال العوفي عن ابن عباس: نقصان أهلها وبركتها.

وقال مجاهد: نقصان الأنفس والثمرات وخراب الأرض .

وقال الشعبي: لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك، ولكن تنقص الأنفس والثمرات. وكذا قال عكرمة: لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكانا تقعد فيه ، ولكن هو الموت.

وقال ابن عباس في رواية: خرابها بموت فقهائها وعلمائها وأهل الخير منها. وكذا قال مجاهد أيضا: هو موت العلماء.[٢٠٤]

١-٦ المبحث السادس: كروية الأرض ودورانها

في القديم كان الإنسان يعتمد فقط عن الحواس ولهذا لم يكن سهلا التَّوصل إلى كروية الأرض، وكان الإنسان دوما يعطي انطباعا بأنَّ الأرض مستوية السَّطح. ولكن العلم الحديث توصَّل بالدَّليل التَّجريبي وبالتَّصوير من على سفن الفضاء بأنَّ الأرض كروية.

***قال تعالى: ﴿.. وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠].**

---

[٢٠٣]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٨٦.

[٢٠٤]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠١٩.

معاني الكلمات: "ينظرون: يتأملون. سُطِحَتْ: نهدت لسكنى الناس."[٢٠٥]

الآية (٢٠) من سورة الغاشية وهي سورة مكية وعدد آياتها ست وعشرون (٢٦) آية بعد البسملة. نزلت بعد سورة الذاريات، تناولت هذه السورة أمرين هامين. الأمر الأول: القيامة وأهوالها وما ينتظر الكافر من بؤس وشقاء وعذاب وما يلقاه المؤمن من نعيم وسعادة. أما الأمر الثاني: تقديم الأدلة والبراهين على وحدانيته سبحانه وقدرته. وختمت السورة الكريمة بالتَّذكير برجوع الناس جميعا إلى الله سبحانه وتعالى للحساب والجزاء.

وقد سميت بسورة الغاشية للتَّذكير بما يغشى الكافرين من أهوال وشدائد يوم القيامة.

وتستهل الآية في أولها: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ والنَّظر في تعريفه اللغوي هو: نظر، ينظر، نظرا. والنَّظر تأمل الشَّيء بالعين المجردة، وتقليب الحدقة نحو المرئي. ومفهوم النَّظر- ينظرون في القرآن الكريم له معاني مختلفة، فقد يفيد التأمّل لفهم حقيقة، أو أمر ما، أو حتى أخذ قرار معين. قوله ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ وهل يعقل للإنسان أن ينظر إلى الأرض بأكملها وبحجمها الواسع ويعرف أنَّها كروية أم مسطَّحة؟

عندما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ هنا ينظر الإنسان ويرى على مد بصره لا أكثر.. ولا يستطيع رؤية الأرض بأكملها.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠]

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ هنا النَّظر يحدد الكل للشَّكل للمنظور إليه.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ هنا النَّظر يحدد الجزء من الكل. ﴿الْجِبَالِ

---

[٢٠٥] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ١١٠٧، ٥٧١.

كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ هنا النَّظر يحدد الجزء من الكل. ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ وهنا النَّظر يحدد الجزء من الكل، وهو الجزء المبسوط من الأرض، والأرض مبسوطة أمام النَّظر ولكن الكل كروي. وكلمة ﴿سُطِحَتْ﴾ تعني مُهّدت وبسّطت أمام البشر، فأنت مهما مشيت على الأرض تجدها مسطَّحة وممهَّدة أمامك، وهذا لا يتحقَّق هندسيا إلاَّ بالشَّكل الكروي. وسبحانه علاَّم الغيوب بهذا التَّعبير ألقرآني الدَّقيق الذي اختار اللَّفظ الوحيد المناسب لكل العصور ﴿مَدَدْنَاهَا﴾ تعطي المعنى للانبساط والتكور. ومن المعلوم أنَّ أجزاء الأرض تتفاوت فيما بينها من حيث إقبال النهار بضيائه أو حلول الليل بسواده فبينما تزهو بقاع من الأرض بضياء الشَّمس، تسكن بقاع أخرى من الأرض بعد أن أرقدها الليل بظلامه، وذلك كله لا يقع بالتَّعاقب ولكنه واقع في نفس الآن، مما يدل على أنَّ الأرض كروية استناداً إلى الظَّاهر من دلالة النَّص القرآني ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. والدَّليل كذلك على كروية الأرض قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر:٥]، والملاحظ أنَّ القرآن الكريم عندما يذكر بسط الأرض ومدّها وجعلها مهادا وفراشا يقرن ذلك عادة برفع السَّماء وبنائها كما قال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ [ق:٦-٧]. وقال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢]. ولقد استخدم علماء الفضاء عام ١٩٥٨م ظاهرة التَّوازن بن الجذب والقوة الطَّاردة في إطلاق أقمار صناعية تدور حول الأرض في مدارات مختلفة حسب أغراضها. "ومن الجدير بالذّكر أنَّ أقمار الاتصالات اللاسلكية تبدو للمراقب لها من الأرض وكأنها ثابتة في السَّماء لأنَّ سرعة دورانها حول الأرض مضبوطة بحيث تتزامن مع دوران الأرض

حول نفسها."[٢٠٦] إذا (فبسط)[٢٠٧] الأرض وفرشها في القرآن الكريم أتى مرة للمقابلة بينه وبين نوع من الخلق فيه الرَّفع والبناء والأخرى لتأكيد الملائمة بين الإنسان والمحيط الذي يعيش فيه.

من أقوال المفسرين

"إنَّ تفسير رؤية الأرض بالمسطَّحة غير صحيح تماما كما قالها البعض، لأنَّ مدى رؤية العين محدودة جدا مقارنة بسعة سطح الأرض، أي إنَّ تقوس الأرض لا يظهر للرَّائي على الإطلاق بالعين المجردة وفي هذه حكمة لله سبحانه بإخفاء كروية الأرض لتعذر إدراكها بالعين، وذكر التَّسطيح لسهولة تميزه بها، حتى استطاع الإنسان التَّحليق عاليا في الفضاء ورأى بأم عينيه كروية الأرض."[٢٠٨]

"قوله: ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾- سُطِحَتْ أي: مدَّت مدًا واسعًا، وسهلت غاية التَّسهيل، ليستقر الخلائق على ظهرها، ويتمكَّنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك الطرق الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها."[٢٠٩]

***قال تعالى: ﴿..يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ [من الآية ٣٨:الزخرف].**

معاني الكلمات: "ٱلۡقَرِينُ- جمع قرناء: مصاحبين."[٢١٠]

الآية (٣٨) من سورة الزخرف، وهي سورة مكية إلا الآية (٥٤) فهي مدنية، السورة من المثاني، وعدد آياتها (٨٩) آية بعد البسملة.

أما أسباب النزول: عن ابن عباس أن النبيﷺ قال لقريش: «يا معشر

---

[٢٠٦]- منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٦١.

[٢٠٧]- البسط نقيض القبض، البساط والبسيطة الأرض العريضة الواسعة. (انظر لسان العرب، ص٢٨٢.)

[٢٠٨]- حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص٣٢.

[٢٠٩]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٨٨.

[٢١٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٩٥.

قريش لا خير في أحد يعبد من دون الله» قالوا: أليس تزعم أنَّ عيسى كان عبدا نبيا وعبدا صالحا، فإن كان كما تزعم فهو كآلهتهم، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا﴾.

محور السورة يدور حول الدعوة الإسلامية وما تلاقيه من مصاعب وعقبات، ومن جدال واعترضات. وتعرض معها كيف كان القرآن الكريم يعالجها في النفوس، وكيف يقرر في ثنايا علاجها حقائقه وقيمه في مكان الخرافات والوثنيات والقيم الجاهلية الزَّائفة، التي كانت قائمة في النفوس إذ ذاك، ولا يزال جانب منها قائماً في النفوس في كل مكان وزمان.

وصحَّحت السورة الكثير من الانحرافات الاعتقادية، ورد النفوس إلى الفطرة وإلى الحقائق الأولى، فالأنعام من خلق الله، وهي طرف من آية الحياة، مرتبط بخلق السَّماوات والأرض جميعاً، وقد خلقها الله وسخَّرها للبشر ليذكروا نعمة ربهم عليها ويشكروها، لا ليجعلوا له شركاء.

وتناولت السورة عدد من قصص الأنبياء.

وتستهل الآية الكريمة في جزئها هذا تتحدَّث عن الذي أعرض عن ذكر الرحمن وقرينُه من الشَّياطين للحساب والجزاء، قال المعرض عن ذكر الله لقرينه: وددت أن بيني وبينك بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، فبئس القرين لي حيث أغويتني.

من أقوال المفسرين

"يقول الدكتور مصطفى محمود في شرحها: (وهو أمر لا يمكن تفسيره إلاَّ أن يكون مغرب الشَّمس هو في نفس الوقت مشرقا لها على مكان آخر وهو أمر لا يكون إلاَّ على أرض كروية تدور.) "[٢١١]

***قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].**

معاني الكلمات: "يَسْبَحُونَ: النجوم والكواكب في الفلك يسبحون. كل في

[٢١١]- منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٩١.

مداره كالسَّابح الماهر لا يعوقه عائق."[٢١٢]

الآية (٤٠) من سورة يس وهي سورة مكية وعدد آياتها (٨٣) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة الجن تناولت عدة مواضع هامة منها (الإيمان، البعث، والنشور). زيادة عن قصَّة أهل القرية وفيها الأدلة والبراهين على وحدانية الله سبحانه علاَّم الغيوب.

أما أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ﴾ قال أبو سعيد الخدري: كان بنو سلمة في ناحية من المدينة، فأرادوا الانتقال إلى القرب من المسجد، فنزلت الآية.

وقوله: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ نزلت عندما جاء أبي ابن خلف إلى رسول اللهﷺ ومعه عظم حائل قد بلى وقال: يا محمد أترى الله يحي الله هذا بعدما رم؟ فقال: «نعم، ويبعثك ويدخلك النَّار»، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أما بداية السورة فكانت بالقسم بالقرآن الكريم على صحَّة الوحي وصدق الرسالة المنزَّلة على سيدنا محمدﷺ.

ثم صاغت الحديث عن كفار قريش الذين تمادوا في الغي والضَّلال والعناد والعنترية بغير علم ثم تطرقت السورة الكريمة ببلاغة القرآن العجيبة والأسلوب الرَّائع إلى قصَّة أهل القرية (إنطاكيا) الذين كذبوا الرسل وأعطتهم إشارة وحذَّرتهم من عاقبة التَّكذيب، وهنا استخدمت القصَّة للعِظة والعِبرة. ومن بين هذه القصص قصَّة الرجل الذي نصح قومه فقتلوه وهو (حبيب النجار).

وتستهل الآية الكريمة عن مشهد هذا الكون العجيب مشهد ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أكَّد سبحانه وتعالى أنَّ كل شيء مسخر لا يتيسر له إلاَّ ما يريده جل وعلا ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ وهذه كلها دلائل باهرة تدل على قدرة الخالق العظيم. ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

---

[٢١٢]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٤٧.

"تسبح في الفلك سبحا إذا جرت دورانها.-"[٢١٣] يسبح فقد عبر عن الشَّمس والقمر والكواكب بضمير الجمع. وفي هذا الكون المترامى حولنا في الفضاء اللاَّنهائي نرى فيه بلايين النجوم كأنها واقفة لا تتحرك وهي في الحقيقة تدور وتسبح ونحن في أرضنا ومجرتنا ندور معها ونسبح. قال سبحانه وتعالى﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣] "تدور الكرة الأرضية حول نفسها مرة كل ٢٤ساعة، ولو أكملت الأرض هذه الدورة في مدة أطول لطال نهارها وطال ليلنا ولهلك الناس من حر ومن برد."[٢١٤] ومن المدهش أنَّ في خلايا كل إنسان بلايين من الذرات تدور حول نفسها تسمَّى (الكروموسمات) التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة إلاَّ بالميكروسكوب الإلكتروني لنراها أكبر من حجمها الحقيقي ١٦٠ ألف مرة ويرى العلماء هذه الكروموسمات من خلال الميكروسكوب الالكتروني وكأنهم يرون مجرة من مجرات السَّماء، فكان ما يجري داخل جسم الإنسان يماثل ما يجري في الكون دلالة على عظمة الخلق هنا وهناك، ولكل نظام قوانين خاصَّة تسير عليها أفلاك السَّموات وكائنات الأرض، وليس هناك ما يحير العقول أكثر من لغز الحياة على الأرض، ولغز السَّماء وما فيها.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ قال مجاهد: لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا."[٢١٥]

***قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥].**

استهلت السورة بالحديث حول القرآن الكريم المنزَّل على خاتم الأنبياء

---

[٢١٣]- لسان العرب، المرجع السابق، ص١٩٤٠.

[٢١٤]- منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٤٠.

[٢١٥]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٥٦٩.

والمرسلينﷺ، مع ذكر عددا كبيرا من الأدلة المادية الملموسة، التي تشهد على قوة الخالق وتشهد له بالإلوهية والربوبية، خلق كل التي تشهد على قوة الخالق وتشهد له بالإلوهية والربوبية، خلق كل شيء، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل.

تستهل الآية بخلق السَّماوات والأرض وتكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل. استخدم سبحانه كلمة يكور ومعنى يكور الليل على النهار أي يغشي كل واحد منهما الأخر كأنَّه يلفه عليه، وهو وصف واضح الدَّلالة، فإذا تكور كان إشارة ضمنية رقيقة إلى كروية الأرض، وإذا تكور أحدهما على الآخر كان ذلك إشارة إلى تبادلهما، وهي إشارة ضمنية رائعة إلى دوران الأرض حول محورها أمام الشَّمس، إذ قال: يكور ولم يقل: يبسط الليل على النهار ما دامت الأرض منبسطة ظاهريا فلو لففت أي شيء على كرة لقلت كورت هذا الشَّيء وما دام أنَّ غلاف الأرض مشدودا حولها ويحيط بها من كل الجهات فإنَّ هذا الغلاف يأخذ شكل الأرض..والليل والنهار متكوران على الأرض والآية الكريمة تشير إلى كروية الأرض ونحن نراها الأرض ثابتة مستقرَّة ساكنة، ولكنها في الواقع تتحرَّك، دون أن تتعثر خطاها ودون أن نشعر بحركتها، فهي تدور حول نفسها كل ٢٤ ساعة. "وتدور أنت معها بسرعة تصل إلى ١٠٤٤ ميل/ساعة."[٢١٦] وكما أنَّ الأرض تدور حول الشَّمس مرة كل عام تصل سرعتها حوالي ٤٩٧ ألف ميل/ ساعة. ونحن نعيش على هذِه الأرض كسفينة نركبها، سطحها مستقر لنا. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك١٥]. زيادة على قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المزمل٩]. فالمشرق هو جهة طلوع الشَّمس والمغرب جهة غروبها، وهذا يؤكد على كروية الأرض، فالتَّبادل بينهما يؤكد دورانها حول محورها أمام الشَّمس، وبسبب ميل دوران الأرض بزاوية تقدَّر ب

[٢١٦] - منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٦٣.

٢٣.٥ درجة على مستوى فلك دورانها حول الشَّمس إذا هناك مشارق ومغارب لقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]. وكانت هناك نهايتان عظميان لكل من الشروق والغروب تتبادلان فصبح المشرق مغربا والمغرب مشرقا فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧].

من أقوال المفسرين

"ومعنى الآية الشَّريفة: أي يغشي الليل على النهار، ويغشي النهار على الليل، وكأنه يلف عليه لف اللباس على اللأَبس. والمنقول عن قتادة أن تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه، ويغشي النهار على الليل فيذهب ظلمته،. وقال أبو عبيدة: وأصل التَّكوير اللَّف والجمع ومنه كور العمامة." [٢١٧]

"نرى إذن أنَّ الاستعمال اللغوي لفعل يكور في الآية يفيد معنيين: معنى الدوران ومعنى الزيادة وهما معنيان متكاملان ولا ينفي أحدهما الآخر."[٢١٨]

"قوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾- أي: يدخل كلا منهما على الآخر، ويحله محله، فلا يجتمع هذا وهذا، بل إذا أتى أحدهما انعزل الآخر عن سلطانه."[٢١٩]

***قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ﴾ [الحديد: ٦].**

معاني الكلمات: "(يُولِجُ، نَسْلَخُ، يُكَوِّرُ ويُغشِي) تولج: تدخل أحدهما في الآخر فيتعاقبان طولا وقصرا. سلخ- نسلخ: ننزعه ونفصله. يغشي: يجعل النهار مظلما." [٢٢٠]

الآية (٦) من سورة الحديد، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (٢٩) آية

---

[٢١٧]- السيد الجميلي، المرجع السابق، ص٢٩.

[٢١٨]- هند شلبي، المرجع السابق، ص٨٨.

[٢١٩]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٤٥.

[٢٢٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص- ١٢٠، ٥١٥،٥٨٢، ٨١٥.

بعد البسملة، وتؤكد إنزال الحديد من السَّماء، وبأسه الشَّديد ومنافعه للناس.

أما أسباب النزول- قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾. قيل: أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قيل: أنَّها نزلت في المنافقين قبل الهجرة بسنة.

وتبين السورة في بدايتها أنَّ كل ما في السَّماوات والأرض خاضع بالعبودية للخالق وحده، وأنَّه سبحانه وتعالى يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وأنَّ الكون كله خاضع لإرادته، ثم تعرض السورة حال المؤمنين والمنافقين، وتنادي الآيات إلى المسارعة بطلب المغفرة من الله، وتضيف أنَّ كل ما ينزل إلى الأرض وما يقع وما سيقع كله في كتاب مسطور.

واختتمت السورة بالدعوة إلى الإيمان بنبي الله وبرسالته.

تستهل الآية الكريمة بدخول الليل في النهار ودخول النهار في الليل وهي ظاهرة طبيعية تمر بالبشر صباحا ومساء، وصيفا وشتاء. الليل يدخل في النهار عند المغيب، والنهار يدخل في الليل عند الشروق. والليل يدخل في النهار فيغشيه بظلامه وهو يطول في مدخل الشّتاء، والنهار يدخل في الليل ويغشيه بضيائه وهو يمتد عند مطلع الصيف. ويرى البشر هذه الظَّاهرة وتلك من إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل فينسيهم طول رؤيتها وطول ألفتها ما وراءها من دقَّة النواميس الكونية التي لا تختل مرَّة، ولا تتوقَّف مرَّة. وهي تشهد بالقدرة الحكيمة التي تصرف هذا الكون وفق تلك النواميس المسطَّرة. كقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج:٦١]. وكقوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ﴾- أي: يدخل الليل على النهار، فيغشيهم الليل بظلامه، فيسكن ويهدأ، ثم يدخل النهار على الليل، فيزول ما على الأرض من الظَّلام، ويضيء الكون."[٢٢١]

"وهذا أيضا من قدرته التَّامة وسلطانه العظيم، في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه، ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان. ثم يأخذ من هذا في هذا، فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضان صيفا وشتاء."[٢٢٢]

"يُولِجُ، نَسْلَخُ، يُكَوِّرُ ويُغشِي: وهي أفعال تناسب مناسبة كلية واقع الأمور، وذَلك ما شرحه الدكتور بوكاي في كتابه وربطه بضرورة القول بكروية الأرض وهو أمر لم يكن معروفا زمن نزول القرآن."[٢٢٣]

***قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النمل:٨٨].**

معاني الكلمات: "وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ: تظنها في رأي العين ساكنة ثابتة. تَمُرُّ: تمضي."[٢٢٤]

تستهل الآية الكريمة باشارة للإنسان ورؤيته للجبال وهو يحسبها جامدة لا تتحرك ولكنها تمر كأنها السَّحاب في خفته وسرعته وتناثره. ومشهد الجبال هكذا يتناسق مع ظل الفزع، ويتجلَّى الفزع فيه؛ وكأنَّما الجبال مذعورة مع المذعورين، مفزوعة مع المفزوعين، هائمة مع الهائمين الحائرين المنطلقين بلا وجهة ولا قرار. ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾. حيث تتجلَّى قوته وإتقان صنعته في كل شيء في هذا الوجود. فلا فلتة ولا مصادفة ولا ثغرة ولا نقص ، ولا تفاوت ولا نسيان. ويتدبر المتدبر كل آثار الصنعة المعجزة، فلا يعثر على خلة واحدة متروكة بلا تقدير، فكل شيء

---

[٢٢١]- السعدي، المرجع السابق، ص٩٨٧.

[٢٢٢]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٨٢٢.

[٢٢٣]- هند شلبي، المرجع السابق، ص٨٩.

[٢٢٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٣٨، ١٠٤٠.

بتدبير وتقدير. ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾.

من أقوال المفسرين

"ومن هوله أنَّك ﴿ترى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾. لا تفقد [شيئا] منها وتظنها باقية على الحال المعهودة وهي قد بلغت منها الشَّدائد والأهوال كل مبلغ وقد تفتت ثم تضمحل وتكون هباء منبثا."[٢٢٥]

١-٧ المبحث السابع: دحو الأرض

***قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠-٣١].**

معاني الكلمات: "دَحَىٰهَآ: دَحَا ٱلۡأَرۡضَ: بسَّطها ومهَّدها وجعلها صالحة للسكنى.[٢٢٦]" "دَحَىٰهَآ: دَحَاه يدحوه: دفعه ورمى به.[٢٢٧]"

الآيتان الكريمتان (٣٠و ٣١) من سورة النازعات، وهي سورة مكية، تعني بقضية العقيدة كغيرها من السور المكية.

تستهل السورة بقسم منه سبحانه وتعالى بعدد طوائف من ملائكته الكرام، ثم عرض شيء من أهوال الآخرة مثل –الرَّاجفة و الرَّادفة- والقصد هنا أما النَّفخة الأولى التي تُميت كل حي والنفخة الثانية التي تحيي كل ميت، وإما القصد السَّماء والأرض، ثم خوف المشركين المكذبين بأنَّ قلوبهم راجفة، ثم تلمّح إلى قصَّة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، وبعدد من الإشارات إلى بدع صنع الله الذي أتقن كل شيء سبحانه.

تختم السورة بالخطاب الموجه إلى رسوله الكريم عن سؤال كفار قريش عن قيام السَّاعة.

وتستهل الآية الكريمة بدحو الأرض، بمعنى إخراج الماء والغازات التي

---

[٢٢٥]- السعدي، المرجع السابق، ص٧١٥.

[٢٢٦]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٩٥.

[٢٢٧]- لسان العرب، المرجع السابق، ص١٣٣٣.

بداخلها، ونحن نعلم أنَّ الماء يغطي ٧١% من مساحة سطح الأرض ولهذا سمي ب (الكوكب الأزرق). وشاءت إرادته سبحانه وتعالى أن يتواجد هذا القدر الهائل من الماء الذي يكفي جميع متطلبات الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، زيادة عن حفظ التَّوازن الحراري على السَّطح، وإخراج نبات الأرض. قال رسول الله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمَّا من قال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مُطِرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب.»[٢٢٨] ويبلغ متوسط سقوط الأمطار على الأرض بحوالي ٨٥.٧ سنتيمتر مكعبا في السَّنة، وأما تبخّر أشعَّة الشَّمس من أسطح البحار والمحيطات حوالي ٣٢٠.٠٠٠ كيلومترا مكعبا من الماء. ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾. فسبحانه القائل: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا﴾. "وهذه الآية الكريمة تطابق مطابقة عجيبة احدث الكشوف العلمية، وهو: نظرية تباعد القارات أو انتشارها ومغزى هذه النظرية: أنَّ جميع القارات كانت في وقت من الأوقات أجزاء متَّصلة، ثم انشقَّت."[٢٢٩]

من أقوال المفسرين

"﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾. الدَّحو في اللغو: هو المدَّ والبسط، وتأتي العلوم التَّجريبية لتؤكد على أنَّ من أخطر وأهم المراحل في خلق الأرض وتهيئتها لاستقبال الحياة، مرحلة (مرحلة الدَّحو) وهي مرحلة ثورانات بركانية عنيفة، تخرج من فوهاتها ولا زال يخرج كل الغلاف المائي وكل الغلاف الغازي للأرض وكثير من المواد الصَّلبة التي كونت قشرتها

[٢٢٨] - صحيح البخاري، المرجع السابق، الحديث ١٠٣٨- ص٢٥٢.
[٢٢٩] - وحيد الدين خان، المرجع السابق، ص١٩٤.

الخارجية، واستمرَّت الثَّورات البركانية طيلة عمر الأرض المقدّر ب ٤٦٠٠ مليون من السنين، وإن كان بمعدَّلات أقل كثيرا من مرحلة الدَّحو."[٢٣٠]

"فسَّر ابن منظور دحاها بمعنى بسَّطها. ومعنى الدَّحية كما فسَّرها صاحب القاموس هي بيضة النَّعام وهي مستديرة الشَّكل، والذي يجدر ذكره أنَّ هذه الأرض المبسوطة إزاءنا بمجرد النَّظر إنَّما هي مستديرة كالبيضة سبحان الله."[٢٣١]

١-٨ المبحث الثامن: خسف الأرض

***قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود:٨٢].**

معاني الكلمات: "سِجِّيلٍ: طين متحجّر. مَّنضُودٍ: متتابع في السّقوط- و منسَّق منظَّم."[٢٣٢]

سبحانه علاَّم الغيوب لقد جاء وقت إعطاء أمره للتَّنفيذ ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾. وهي صورة للتَّدمير الكامل والتَّغيير الكلي فيغير المعالم ويمحوها. وهذا القلب وجعل عاليها سافلها أشبه شيء بتلك الفطرة المقلوبة الهابطة ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ أي أمطرنا عليها حجارة النَّار الملوثة بالطين. متتابعة النّزول كأنها المطر.

من أقوال المفسرين

"﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بنزول العذاب، وإحلاله فيهم ﴿جَعَلْنَا﴾ ديارهم ﴿عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾- أي: قلبناها عليهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾- أي: من حجارة النَّار الشَّديدة الحرارة ﴿مَنْضُودٍ﴾ أي. متتابعة، تتبع من شذ عن القرية."[٢٣٣]

---

[٢٣٠]- زغلول النجار: من آيات الإعجاز،المرجع السابق، ص٧٤.

[٢٣١]- السيد الجميلي، المرجع السابق، ص٣٤.

[٢٣٢]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٥٩، ١١٠٥.

[٢٣٣]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٤٤.

"يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ وكان ذلك عند طلوع الشَّمس، ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾- وهي [قريتهم العظيمة وهي] سدوم." [٢٣٤]

***قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [النحل:٤٥].**

معاني الكلمات: "يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ: يجعلها تغور بهم." [٢٣٥]

الآية ٤٥ من سورة النحل هي السورة السَّادسة عشرة من سور القرآن الكريم، وهي سورة مكيّة كريمة، يبلغ عدد آياتها مئة وثماني وعشرين (١٢٨) آية، وقد سميت بهذا الاسم نظرًا لاشتمالها على ذكر مخلوقات النحل؛ حيث تدل هذه المخلوقات بصورة واضحة على عظيم الله في صنعه وإتقانه في إدارة الكون كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء:٣١].

أما أسباب النزول: ذُكر لها (١٢) سببا ومنها- قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: لما أنزل الله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ قال الكفار: إنَّ هذا يزعم أنَّ القيامة قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون، فلمَّا رأوا أنَّه لا ينزل شيء، قالوا: ما نرى شيئا، فأنزل الله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾.

وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ قيل: أنها نزلت في أبي خلف الجمحي.

ذكر سبحانه وتعالى الرَّواسي ٩ مرّات في القرآن الكريم، وذكر الجبال ٣٣ مرّة، والرواسي هو تعبير استخدمه سبحانه وتعالى للجبال وأثرها على الكرة الأرضية، فالجبال نصبت وارتقت إلى الأعلى كقوله تعالى: ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية:١٩] نتيجة تصادم الصَّفائح التَّكتونية في مرحلة سابقة من تشكل الأرض، وما زال بعضها يتشكل مثل بعض

---

[٢٣٤]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٩٦٣.

[٢٣٥] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٥٣.

الجبال الكبرى. اكتشف العلماء من خلال أجهزة رصد التَّغير في الجاذبية أن شكل الجبال تحت سطح الأرض يطابق شكلها فوق سطح الأرض ولها نفس العمق إن لم يزد قليلا.

وتستهل الآية الكريمة ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي فلن يغني مكر الكافرين وتدبيرهم، ولا تدفع عنهم قوتهم وعلمهم ومالهم. وبعد ذلك يظل الذين يمكرون ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، فيأخذهم بغتة كما أخذ من قبلهم ومن حولهم، ولا يخشون أن تمتد إليهم يد الله في صحوهم أو في منامهم، في غفلتهم أو في استيقاظهم والقرآن الكريم يلمس وجدانهم من هذا الجانب ليثير حساسيتهم للخطر المتوقع، ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾.

من أقوال المفسرين

"هذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتَّكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم بالعذاب على غرَّة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإمَّا في حال تقلُّبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب ببالهم، وإمَّا في حال تخوفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده."[٢٣٦]

"يخبر تعالى عن حلمه [وإمهاله] وإنظاره العصاة الذين يعملون السَّيئات ويدعون إليها، ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها، مع قدرته على ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: من حيث لا يعلمون مجيئه إليهم."[٢٣٧]

***قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ..﴾ [القصص:٨١].**

الآية (٨١) من سورة القصص، وهي سورة مكية، ماعدا الآيات (٥٢:

---

[٢٣٦]- السعدي، المرجع السابق، ص٥١٢.

[٢٣٧]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٦٤.

٨٥) فمدنية، وعدد آياتها(٨٨) آية بعد البسملة.

سميت بهذا الاسم لوقوع لفظ القصص فيها.

أما أسباب النزول: لقد ذُكر لها (٠٤) أسباب منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قيل: أنها نزلت في أبي طالب.

وتحدثت السورة عن عدة مواضيع، من أهمها: طغيان فرعون وإفساده، ووعد الله بإنقاذ المضطهدين، وتوعده بعقوبة المفسدين، وميلاد موسى عليه السلام ونجاته من القتل، وقتل القبطي خطأ والخروج إلى مدين، وقصة قارون وعاقبة البغي والتكبر، وبشارة النبي ﷺ بالعودة إلى مكة. وتم ذكر عظمة القرآن وصدقه وحقه، وأنَّ أهل العلم بالحقيقة يعرفونه ويؤمنون به ويقرون بأنَّه الحق.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ هكذا في جملة قصيرة، وبعد الاستعلاء والكبرياء، يذهب كل شيء وكأنَّه لم يكن، وفي لمحة خاطفة ابتلعته وابتعلت داره، وهوى في بطن الأرض التي علا فيها واستطال فوقها جزاء وفاقا. وذهب ضعيفا عاجزا ذليلا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال.

من أقوال المفسرين

"فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر، وازَّيَّنَتْ الدنيا عنده، وكثر بها إعجابه، بغته العذاب ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد اللّه، أنزله اللّه أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثاثه، ومتاعه. "[٢٣٨]

"لما ذكر الله- تعالى- اختيال قارون فى زينته، وفخره على قومه وبغيه عليهم، عقب ذلك بأنَّه خسف به وبداره الأرض، كما ثبت فى الصَّحيح- عند البخارى من حديث الزهرى عن سالم- أنَّ أباه حدَّثه: أنَّ رسول الله

[٢٣٨]- السعدي، المرجع السابق، ص٧٣٠

ﷺ، قال: «بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به، فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة». "[٢٣٩]

***قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].**

معاني الكلمات: حَاصِبًا: ريحا مهلكة بما تحمله من حصى وغيره .نخسف: نجعلها تغور." [٢٤٠]

وهكذَا كل بما فعل، عاد أخذهم حاصب وهو الريح الصَّرصر التي تتطاير معها حصباء الأرض فتضربهم وتقتلهم، وثمود أخذتهم الصَّيحة. وقارون خسف به وبداره الأرض، وفرعون وهامان غرقا في اليم. وذهبوا جميعا مأخوذين بظلمهم. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾ أي: كانت عقوبته بما يناسبه."[٢٤١]

"﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ أي: عذابا يحصبهم."[٢٤٢]

***

٢- الفصل الثاني: الجبال في القرآن الكريم

٢-١ المبحث الأول: أنواع الجبال

٢-٢ المبحث الثاني: الجبال رواسى وأوتادا

٢-٣ المبحث الثالث: الجبال المذكورة في القرآن الكريم

٢-٤ المبحث الرابع: ألوان الجبال

٢-٥ المبحث الخامس: الجبال تخر هدا

---

[٢٣٩]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٤٢٦.

[٢٤٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٢٩٦، ٣٥٣.

[٢٤١]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٤٣٦.

[٢٤٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٧٤١.

٢-الفصل الثاني: الجبال في القرآن الكريم

الجبال من مخلوقات الله سبحانه وتعالى تسبّحه وتمجّده، ترجو رضاه وتخشى غضبه، وقد حدَّثنا عنها القرآن الكريم في آيات عدَّة. فحينما ينظر الإنسان إلى الجبال بضخامتها، فهي من عجائب مخلوقاته الجديرة بالتَّأمل والدّراسة.

الجبال في اللغة العربية:

(الجبل): هو ما ارتفع من الأرض إذا عظم وطال، جمعه (جِبَالٌ). ويعرف الجبل معجم المصطلحات الجيولوجية هي: كتل مرتفع بشكل كبير على الأرض، وفي منظومات سلاسل جبلية طويلة، وقد تكون على شكل مرتفعات فردية معزولة. والجبال ليست فقط تلك المرتفعات العالية التي تظهر لنا على سطح الأرض، ولكنها امتدادا لتلك الارتفاعات داخل الأرض، والتي سمَّاها العلماء جذور الجبال، وتؤكد هذا الآيات القرآنية بأنَّها أوتادا. وكم تختفي معظم الوتد إمَّا في التّربة أو في الصَّخر، ويبقى الجزء الأصغر على سطح الأرض.

الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم عن الجبال:

أمَّا الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم عن الجبال: الجبال- الجبل- (الرَّواسي- الطَّود- الأعلام) ونلاحظ أنَّه وصفها بالشَّامخات وشبَّهها بالأوتاد.

ووردت كلمة جبل بصيغة المفرد والجمع في القرآن الكريم ذُكرت ٣٩ مرة، منها ٠٦ مرات بصيغة المفرد و٣٣ مرة بصيغة الجمع وعبَّر عنها بالرَّواسي في ١٠ آيات.

أمَّا التَّعبير القرآني عن الجبال فهناك آيات (جعل الرَّواسي) وهناك آيات (ألقى الرَّواسي). والرَّواسي نوعان:

جبال نارية: ترسو على سائل لزج تحت القشرة.

جبال رسوبية: تتكون مما تلقيه الأرض من رواسب في المياه الضَّحلة.

٢-١ المبحث الأول: أنواع الجبال

١ / الجبال المطوية:

تمثل هذه الجبال في المنظومات الجبلية الكبرى في العالم (كجبال الألب وهيمالايا وغيرها)، وتتكون من أنواع مختلفة من الصّخور والأنماط البنيوية التي تتضمن عمليات الطَّي، والتَّصدّع.

٢/ الجبال البركانية:

تكون الجبال البركانية على شكل قمم معزولة، و هي نوع خاص من الجبال وتتكوَّن من الطفوح البركانية المتدفّقة وفتات الصّخور البركانية وغيرها من الصّخور المقذوفة عبر فوهات البراكين، وتعدّ البراكين[٢٤٣]) السَّبب الرئيس لتكوّن الجبال البركانية، وهي عبارة عن فتحتات تنفيس للأرض يخرج منها معادن منصهرة وغازات وغبار وصخور بركانية وبخار ماء، وتحدث الانفجارات البركانية نتيجة تحرك صفيحتين تكتونيتين وارتفاع إحداهما فوق الأخرى فيحدث فراغ بينهما، مما يدفع الحمم المنصهرة الموجودة في باطن الأرض لتملأ الفراغ الحاصل بينهما وتخرج عن طريق الفتحة الموجودة في أعلى البركان ثم تبرد، ونتيجة الانفجارات المتكرّرة للبراكين واندفاع الحمم وتبريدها بفعل العوامل الجوية المحيطة تتشكّل عدة طبقات صخرية تصبح مع مرور الزمن على شكل مخروط يسمَّى الجبل البركاني، ومثال على ذلك (جبل لحميمة، بالشرق الجزائري ببلدية- ثليجان) حيث تدفَّقت طفوح بركانية إلى سطح الأرض وتصلَّبت

---

[٢٤٣] - البراكين: هي نتيجة رفع سطح الأرض في أماكن مختلفة منه بالتقلص الشديد إلى انثناء والتواء الصخور المرفوعة من القشرة الأرضية ووقوعها تحت تأثير ضغط وشد عظيمين من الباطن، فشققت وحدث فيها شقوق امتدت إلى ما تحتها من الصخور التي في حالة تجمد أو انصهار كامن فخف الضغط عليها فتمددت، وصعدت في هذه الشّقوق، ثم انصهرت، إذا وصلت إلى السَّطح تدفَّقت منها وكوَّنت البراكين. (انظر حنفي احمد، المرجع السابق، ص١٢٠.)

على شكل خيم منصوبة، سمَّاها السكان القدامى للمنطقة باسم (لحميمة المسخوطة)، حيث دخلت القصَّة في علم الأساطير، وانتشر بين السّكان أنَّ هناك خيم في هذا المكان وجرَّاء أعمالهم الغير صالحة جُمِّدت الخيم بساكنيها وبقيت هكذا إلى اليوم. أمَّا الحقيقة العلمية أنَّ هذا النَّوع من الجبال يرتبط مباشرة بعدد من الأغوار أو الخسوف العميقة في الغلاف الصَّخري للأرض. وهي جبال بركانية (كما سبق تعريفها).

٣ الجبال ذات الكتل المتصدّعة:

تتكوَّن هذه الجبال بارتفاع القشرة الأرضية عبر مستويات التَّصدع شديدة الانحدار أو الرَّاسية.

٤ الجبال المتسنمة (الحتية) :

وهي عبارة عن البقايا الحتية لأطواف جبلية وجدت من قبل، وتمثل الجبال المتسمنة المرحلة النهائية في تاريخ السَّلاسل الجبلية، وبعدها تتعرض إلى التَّسوية إلى ما يقارب سطح البحر بفعل عوامل التَّعرية المختلفة.

٢-٢ المبحث الثاني: الجبال رواسى وأوتادا

***قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].**

تستهل الآية الكريمة بقول: إلقاء بالرَّواسي على الأرض وهو وصف دقيق للشَّكل المجاور. لأنَّ الفعل ألقى ينطبق تماما على الجبال الرّسوبية فهي بالفعل يلقيها سبحانه في الأرض بما تلقيه الأنهار من مواد رسوبية أمَّا الغاية منها فهي منع الأرض أن تميد أو تميل بالناس. قال رسول اللهﷺ: "«لما خلق الله الأرض جعلت تميد- أي تضطرب- فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرَّت..» "[٢٤٤] "ماد الشَّيء يَميد: زاغ وزكا."[٢٤٥] الأغصان: تمايلت. ومادَ الرجل: تَبَخْتَرَ. وبالتالي هي نوع من الحركة العشوائية.

---

[٢٤٤]- زغلول النجار: المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١٠-٨٠٠٥م- ١٤٢٩هـ، ص٢٢.

الميد سيعني أنَّ القشرة الأرضية سوف تتحرَّك بطريقة عشوائية مخالفة لحركة باطن الأرض مما سيُحدث عشوائية في مناخ الأرض وبالتالي عشوائية في الحياة العضوية. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ..﴾ [الرعد:٣].

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَأَلْقَى﴾ الله تعالى لأجل عباده ﴿فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ وهي: الجبال العظام لئلا تميد بهم وتضطرب بالخلق فيتمكَّنون من حرث الأرض والبناء والسَّير عليها، ومن رحمته تعالى أن جعل فيها أنهارا، يسوقها من أرض بعيدة إلى أرض مضطرة إليها لسقيهم وسقي مواشيهم وحروثهم، أنهارا على وجه الأرض، وأنهارا في بطنها يستخرجونها بحفرها، حتى يصلوا إليها فيستخرجونها بما سخَّر الله لهم من الدَّوالي والآلات ونحوها، ومن رحمته أن جعل في الأرض سبلا، أي: طرقا توصل إلى الدّيار المتنائية ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ السَّبيل إليها حتى إنك تجد أرضا مشتبكة بالجبال مسلسلة فيها وقد جعل الله فيما بينها منافذ ومسالك للسَّالكين."[٢٤٦]

"قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن قتادة، سمعت الحسن يقول: لما خلقت الأرض كانت تميد، فقالوا ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحوا وقد خلقت الجبال، لم تدر الملائكة مم خلقت الجبال."[٢٤٧]

***قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾ [النبا:٦-٧].**

معاني الكلمات: "مِهَٰدًا: المهاد: الفراش المُوطَّا. الوتد: ما يغرز في أرض، أو جدار، أو نحوها ليشدَّ به شيء."[٢٤٨]

الآيتان الكريمتان من سورة النَّبأ وهي سورة مكة وعدد آياتها(٤٠) آية

---

[٢٤٥]- لسان العرب، المرجع السابق، ص٤١٤٥.

[٢٤٦]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٠٧.

[٢٤٧]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٥٨.

[٢٤٨]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٦٢، ١١٥٩.

بعد البسملة، ومحورها يدور حول العقيدة، والتي من أصولها الإيمان بالبعث وبالحساب والجزاء، وابتدأت السورة باستنكار تساؤل الكافرين عن يوم البعث، ولمَّحت بالتَّهديد القاطع لكل منكر أو متشكك في تلك الحقيقة الرَّبانية، ثم أوردت عدَّة آيات للقدرة الإلهية في إبداع الخلق.

وتستهل الآيتان الكريمتان وتعطيا كل واحدة دلائل علمية باستضاءة مفهوم تحرك الألواح الخاصَّة بالغلاف الصَّخري للأرض، حيث بدأ تحرك الألواح الصَّخرية المكونة لقاع الأرض وتباعدت عن بعضها في أحد أطرافها، حيث أنها مصطدمة ومنزلقة عبر الأطراف. ونتج عن هذا تكوين الجزر البركانية في الأطراف المتصادمة، ثم نمت تلك الجزر بالتَّدريج إلى القارة الأم وهذا طبعا في كل القارات. ومن ثم تحولت الألواح الصَّخرية إلى الألواح المحيطية، وبتصادم ألواح قيعان المحيطات بكتل القارات تكوَّنت سلاسل الجبال، ومنها بدأت عمليات التَّجوية والتَّعرية، ومنها تكون الأرض مهدا ومعاشا للإنسان وتكون الجبال أوتادا للأرض لألاَّ تحيد أو تميل.

ويعتبر مصطلح وتد المستخدم في القرآن الكريم لوصف الجبل أكثر دقَّة.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ فالجبل وتد حقيقي أَقلَّه ظاهر فوق سطح الأرض، وأغلبه مدفون في باطن الأرض، ووظيفته التَّثبيت. وكون القرآن الكريم الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة يصف الجبال بأنَّها أوتاد فهذا سبق علمي مبهر لم يصل إليه العلماء إلاَّ في القرن العشرين، ولا يزال العديد من الناس يجهلونه إلى يومنا هذا."[٢٤٩]

"قوله: ﴿ألم نجعل الأرض مهادا﴾؟ أي: ممهدة للخلائق ذلولا لهم، قارَّة ساكنة ثابتة."[٢٥٠]

---

[٢٤٩]- زغلول النجار: المفهوم العلمي للقرآن، المرجع السابق، ص٨٦.

[٢٥٠]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٥٢.

"قوله: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تمسك الأرض لئلاً تضطرب بكم وتميد."[٢٥١]

***قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾ [المرسلات:٢٧].**

معاني الكلمات: "شَٰمِخَٰتٖ: عاليات مرتفعات. فُرَاتًا: شديد العذوبة."[٢٥٢]

الآية (٢٧) من سورة المرسلات، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٥٠) آية بعد البسملة، تتحدث في بدايتها عن الرياح أو الملائكة، وهو افتتاح يلتئم مع جو السورة وظلها تمام الالتئام. ثم تتطرَّق إلى مشهد من مشاهد يوم الفصل. وهي تصور الانقلابات الكونية الهائلة في السَّماء والأرض، وهي الموعد الذي تنتهي إليه الرسل بحسابها مع البشر.

وتختم السورة بعد عدة الاستعراضات ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٖ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ الم نجعل في هذه الأرض جبالا ثوابت عاليات؛ لئلاً تضطرب بكم، وأسقيناكم ماءً عذبًا سائغًا؟

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالا ترسي الأرض، لئلاَّ تميد بأهلها، فثبتها الله بالجبال الرَّاسيات الشَّامخات أي: الطّوال العراض، ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ أي: عذبا زلالا."[٢٥٣]

***قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء:٣١].**

معاني الكلمات: "فِجَاجًا: طرقا واسعة بعيدة. سُبُلًا: طريق سهل واضح."[٢٥٤]

تستهل الآية الكريمة بجعل الرَّواسي في الأرض ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ

---

[٢٥١]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٦٩.

[٢٥٢]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٦٣٩، ٨٤٣.

[٢٥٣]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٦٧.

[٢٥٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٨٤١ ، ٥٥٢ .

رَوَٰسِيَ﴾ أي جبالاً ثوابت لكي لا ﴿تَمِيدَ﴾ أي تتحرك بهم وجعلنا فيها الرواسي ﴿فِجَاجًا﴾ وهي المسالك أو السّبل، وهي طرقاً نافذة واسعة ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار.

من أقوال المفسرين

"ومن الأدلة على قدرته وكماله ووحدانيته ورحمته، أنَّه لما كانت الأرض لا تستقر إلاَّ بالجبال، أرساها بها وأوتادها، لئلاَّ تميد بالعباد،- أي: لئلاَّ تضطرب، فلا يتمكن العباد من السّكون فيها، ولا حرثها، ولا الاستقرار بها، فأرساها بالجبال، فحصل بسبب ذلك، من المصالح والمنافع، ما حصل، ولما كانت الجبال المتَّصل بعضها ببعض."[٢٥٥]

"وله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ أي: ثغرا في الجبال، يسلكون فيها طرقا من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، كما هو المشاهد في الأرض، يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه البلاد، فيجعل الله فيه فجوة (ثغرة) ليسلك الناس فيها من هاهنا إلى هاهنا."[٢٥٦]

***قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق:٧].**

معاني الكلمات: "مَدَدْنَٰهَا- مد: بسط. بَهِيجٍ: باعث على السرور بحسنه ونضارته."[٢٥٧]

الآية (٧) من سورة ق، وهي سورة مكية إلا الآية (٣٨) قيل إنها مدنيةٌ، وعدد آياتها (٤٥) آية بعد البسملة.

سميت في عصر الصحابة (سورة ق)، و تسمَّى أيضاً بسورة (الباسقات).

أما أسباب النزول: ذُكر سبب واحد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا

---

[٢٥٥]- السعدي، المرجع السابق، ص٦٠٩.

[٢٥٦]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٣٥.

[٢٥٧] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٣٦، ١٦٨.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ قالت اليهود: إنَّ الله خلق الخلق في ستة أيام واستراح في اليوم السَّابع وهو يوم السبت، فأنزل الله هذه الآية.

وقد تضمَّنت السورة ما يجب الإيمان به من القرآن وأدلة التَّوحيد، وقدرة الله تعالى على الخلق، واشتملت على ذكر الجزاء وأنَّ الإنسان مسؤول عن أعماله، وعاقبته: إمَّا إلى جنة، أو إلى النار، وغير ذلك من أحوال القيامة، وأنَّ القرآن عِظة وذكرى لمن كان له قلب واع يستمع ما يلقى إليه.

وختمت بذكر البعث، واشتملت على ذكر الجزاء، والجنة، والنار، وغير ذلك من أحوال القيامة.

تستهل الآية الكريمة بمد الأرض أي بسطها وجعل فيها جبالاً ثوابت، رست في الأرض، قوله: ﴿وأنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنبتنا في الأرض من كلّ نوع من نبات حسن، وهو البهيج... ويقول: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ ٣٢].

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ أي: وسَّعناها وفرشناها، ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ وهي: الجبال؛ لئلاَّ تميد بأهلها وتضطرب؛ فإنَّها مقرَّة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها."[٢٥٨]

"﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾- أي: من كل صنف من أصناف النَّبات، التي تسر ناظرها، وتعجب مبصرها، وتقر عين رامقها، لأكل بني آدم، وأكل بهائمهم ومنافعهم."[٢٥٩]

---

[٢٥٨]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٧٥٥.

[٢٥٩]- السعدي، المرجع السابق، ص٩٤٨.

***قال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النمل:٦١].**

معاني الكلمات: "قَرَارًا: مستقرا. رَوَٰسِيَ: جبال راسية. جَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ: فاصلا باختلاف خواص الماء في كليهما."[٢٦٠]

قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ﴾ اجمع الكثير من المفسرين أنَّ البحرين هنا هما النَّهر العذب الفرات والبحر الملح الأجاج، والحاجز بحسب تعريف أهل التَّفاسير وهو حاجزا من الماء يفصل بين ماءين مختلفين في صفاتهما الطَّبيعية والكيميائية كالبحرين الملحين المختلفين أفقيا أو رأسيا، وكما يصعب إدراك هذا الحاجز على غير المتخصصين حتى في زمن التَّقدم العلمي.

من أقوال المفسرين

"﴿جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ يستقر عليها العباد ويتمكنون من السكنى والحرث والبناء والذهاب والإياب."[٢٦١]

"﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾-أي: جعل فيها الأنهار العذبة الطَّيبة تشقها في خلالها، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك، وسيرها شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم في أرجاء الأرض، سير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون إليه، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾- أي: جبالا شامخة ترسي الأرض وتثبتها؛ لئلا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي: جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزا، أي: مانعا يمنعها من الاختلاط، لئلاَّ يفسد هذا بهذا وهذا بهذا."[٢٦٢]

***قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤].**

---

[٢٦٠] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٩٢، ٥٠١، ٢٧٢.

[٢٦١] - السعدي، المرجع السابق، ص٧١٢.

[٢٦٢] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٤٠١.

معاني الكلمات: "الْجَوَارِ: جمع جارية وهي السفينة سميت جارية لأنها تمشي على سطح الماء." [٢٦٣] "الْمُنشَآتُ: المخلوقات المحدثات." [٢٦٤] "كَالْأَعْلَامِ: الجبال جمع علم وهو الجبل الطويل." [٢٦٥]

شبهت الآية الكريمة السَفن الرَّواسي كالجبال في كبرها وعظمتها، وهي تمخر وتشق البحار حاملة للخير الذي يقتات الناس منه، ويتم نقل هذه الخيرات من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان آخر. وهو تسخير منه سبحانه وتعالى.

من أقوال المفسرين

"أي: وسخَّر تعالى لعباده السفن الجواري، التي تمخر البحر وتشقه بإذن الله، التي ينشئها الآدميون، فتكون من كبرها وعظمها كالأعلام، وهي الجبال العظيمة." [٢٦٦]

"قوله: ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ أي: كالجبال في كبرها، وما فيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر." [٢٦٧]

٢-٣ المبحث الثالث: الجبال المذكورة في القرآن الكريم

الجبال المذكورة في القرآن الكريم

أولا: جبل الطور:

يقع جبل الطور في شبه جزيرة سيناء بجمهورية مصر العربية، ويصل ارتفاعه حوالي ٢٢٨٥م فوق سطح البحر، ويسمَّى أيضا بجبل موسى نسبة إلى النبي موسى عليه السلام، وتوجد في أعلى الجبل كنيسة يونانية صغيرة، كما يوجد مسجد.

---

[٢٦٣] - محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٢٩٣.

[٢٦٤] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٩٧.

[٢٦٥] - محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٢٩٣.

[٢٦٦] - السعدي، المرجع السابق، ص٩٧٨.

[٢٦٧] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٧٩٦.

موقع جبل الطور

***قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة٦٣].**
كقوله: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ [النساء:١٥٤].
معاني الكلمات: "أَخَذۡنَا- أَخَذ: عقد. مِيثَٰقَكُمۡ- ميثاق: عهد مؤكد. ٱلطُّورَ: الجبل أو اسم الجبل."[٢٦٨]

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ واذكروا أننا أخذنا عليكم عهدا مؤكدا، من الإيمان بالله ورسله، والعمل بما في التَّوراة، ورفعنا الجبل فوقكم تخويفًا لكم وتحذيرًا من ترك العمل بالعهد، آمرين لكم بأخذ ما أنزلنا عليكم من التَّوراة بجد واجتهاد، دون تهاون وكسل، واحفظوا ما فيه وتدبَّروه؛ لعلكم بفعل ذلك تتَّقون عذاب الله تعالى وعقابه.

---

[٢٦٨] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٧ ، ١١٥٩، ٧١٥.

من أقوال المفسرين

"﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾: بالعمل على ما في التَّوراة، ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق."[٢٦٩]

"﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ فيه إيجاز بالحذ ف أي قلنا لهم خذوا."[٢٧٠]

"قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾: عهدكم يا معشر اليهود. ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: وهو الجبل بالسريانية."[٢٧١]

***قال تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم :٥٢].**

معاني الكلمات: "ٱلۡأَيۡمَنِ: الذي في اليمين. نَجِيًّا: متسارين." [٢٧٢]

الآية (٥٢) من سورة مريم وهي سورة مكية إلا الآيتي (٥٨و ٧١) فمدنيتان وعدد آياتها (٩٨) آية بعد البسملة نزلت بعد فاطر.

أما أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ﴾ عن ابن عباس قال: قال رسول اللهﷺ: «يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا» قال: فنزلت الآية.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا﴾ قيل: نزلت في أبي بن خلف.

وقوله: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ عن خباب بن الأرث قال: كان لي دين على العاص بن وائل فأتيته أتقاضاه فقال: لا والله حتى تكفر بمحمد، قلت: لا اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: إني إذا مت ثم بُعثت، جئني وسيكون لي ثم مال وولد فأعطيك، فأنزل الله الآية.

نادى سبحانه وتعالى نبي الله موسى عليه السلام في جبل الطور ب

---

[٢٦٩] - الكشاف، المرجع السابق، ص٢٧٧.

[٢٧٠] - محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الأفاق العربية، ط١، (٢٠٠٢م-١٤٢٣)، ص٢٥.

[٢٧١] - البغوي، المرجع السابق، ص١٠٢.

[٢٧٢] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٢٢٠، ١٠٨٠.

سيناء من الجهة اليمنى من موسى، وقرَّبناه فشرَّفناه بمناجاتنا له. وفي هذا إثبات صفة الكلام لله تعالى - كما يليق بجلاله وكماله.

من أقوال المفسرين

"الأيمن من اليمين،أي: من ناحيته اليمنى، أو من المن صفة للطور، أو للجانب، شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك."[٢٧٣]

"﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾- أي: الأيمن من موسى في وقت.مسيره، أو الأيمن:- أي: الأبرك من اليمن والبركة. ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ والفرطق بين النداء والنجاء، أن النداء هو الصوت الرفيع، والنجاء ما دون ذلك."[٢٧٤]

***قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ [طه:٨٠].**

معاني الكلمات: "ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ. ٱلۡمَنَّ: صمغ حلو المذاق تفرزه بعض الأشجار"[٢٧٥]

تستهل الآية الكريمة بمخاطبة بني إسرائيل حين أنجيناكم مِن عدوكم فرعون، وجَعَلْنا موعدكم بجانب جبل الطور الأيمن لإنزال التَّوراة عليكم، ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ و (ٱلۡمَنَّ[٢٧٦]) يشبه الصَّمغ طعمه كالعسل، والطَّير الذي يشبه السُّمَانَى.

---

[٢٧٣] - الكشاف، المرجع السابق، ص٢٧.

[٢٧٤] - السعدي، المرجع السابق، ص٥٧٦.

[٢٧٥] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٦١.

[٢٧٦] - ٱلۡمَنَّ: يتكون من مادة المانيتول بنسبة (٥٠%) وهو كحول سداسي الهيدروكسيل بللوري ينصهر في درجة (١٦٦) درجة مئوية ويحتوي كذلك على دكستروز وغروي ومواد غير عضوية ومادة لا صقة وفراكسين وحوالي (١٠%) رطوبة، وهو غذاء ملطف ملين،

من أقوال المفسرين

"يذكر تعالى بني إسرائيل منته العظيمة عليهم بإهلاك عدوهم، ومواعدته لموسى عليه السلام بجانب الطور الأيمن، لينزل عليه الكتاب، الذي فيه الأحكام الجليلة، والأخبار الجميلة، فتتم عليهم النعمة الدينية، بعد النعمة الدنيوية، ويذكر منَّته أيضا عليهم في التيه، بإنزال المن والسَّلوى، والرزق الرَّغد الهني الذي يحصل لهم بلا مشقَّة."[٢٧٧]

***قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ ﴾ [القصص:٢٩].**

معاني الكلمات: "ٱلۡأَجَلَ: الوقت المحدَّد للشَّيء. ءَانَسَ: أبصر. "[٢٧٨]

الآية (٢٩) من سورة القصص وهي سورة مكية، إلا من آية (٥٢) إلى غاية آية (٥٥) فمدنية، وآية (٨٥) فبالجحفة أثناء الهجرة وعدد آياتها (٨٨) آية بعد البسملة، نزلت بعد النمل.

تستهل الآية الكريمة بسرد قصَّة نبي الله موسى عليه السلام، وبعد أن أكمل الأجل الذي عقده مع شعيب قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ فلما أتمهن سار بأهله في طريقه إلى مصر، ويا ترى أي خطر ينتظرهما إثر عودته إلى مصر، بعد انقضاء الأجل، وقد خرج منها خائفا يترقب؟ وأي خطر الذي ينتظره بها، ﴿قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسَۢا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ وهناك فرعون الذي كان يتآمر مع الملأ من قومه ليقتلوه. على أية حال ها هو ذا عائد في طريقه، ومعه أهله، والوقت

يقلل من الإيما والإرتشاح في الأنسجة لا حتوائه على مادة المانيت. (انظر السيد الجميلي: الإعجاز الطبي في القرآن، دار ومكتبة الهلال، بيروت- (١٩٩٠م)- ص١٧٥.)

[٢٧٧] - السعدي، المرجع السابق، ص٥٩٤.

[٢٧٨] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٥ ، ٩٤.

ليل والظلمة شديدة، وقد ضلَّ الطَّريق، والليلة شاتية، وهو بجانب الطور من جهته اليمنى فشاهد نارا فقصد المكان، ليأتي بخبر أو (جذوة[٢٧٩]).

من أقوال المفسرين

"﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ يحتمل أنَّه قضى الأجل الواجب، أو الزَّائد عليه، كما هو الظن بموسى ووفائه، اشتاق إلى الوصول إلى أهله ووالدته وعشيرته، ووطنه، وعلم من طول المدة، أنهم قد تناسوا ما صدر منه. ﴿سَارَ بِأَهْلِهِ﴾ قاصدا مصر."[٢٨٠]

"﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ أي: رأى نارا تضيء له على بعد."[٢٨١]

***قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٤٦].**

خطاب منه سبحانه علاَّم الغيوب إلى رسولنا الكريم ﷺ وما سمع النّداء، وما يعرف تفصيلاته . ولكنَّها رحمة منه سبحانه. أن قصَّ عليه تلك القصَّة التي تدل على صدقه ﷺ في دعوته، لينذر هؤلاء القوم الذين لم يأتهم نذير من قبله- فقد كانت الرّسالات في بني إسرائيل من حولهم.

من أقوال المفسرين

"﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يريد مناداة موسى عليه السلام ليلة المناجاة وتكليمه."[٢٨٢]

***قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ [المؤمنون:٢٠].**

معاني الكلمات: "طُورِ سَيْنَآءَ: جبل قرب آيلة. "[٢٨٣]

الآية (٢٠) من سورة المؤمنون وهي سورة مكية، وعدد آياتها (١١٨)

---

[٢٧٩] - جذوة من النار: جمرة ملتهبة منها. (انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢١٩.)

[٢٨٠]- السعدي، المرجع السابق، ص٧٢٢.

[٢٨١]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٤١٥.

[٢٨٢]- الكشاف، المرجع السابق، ص٥١٠.

[٢٨٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧١٦.

آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة الأنبياء.

سميت بهذا الاسم الجليل لأنَّها ابتدأت بذكر صفات المؤمنين الذين استحقوا بها الفلاح في الدنيا والآخرة.

ومحورها يدور حول العقيدة الإسلامية الصَّحيحة.

ومن صفات المؤمنين: الخشوع في الصَّلاة، الإعراض عن اللَّغو، تطهيرهم لأنفسهم بأداء الزَّكاة، وحفظ الفروج، ورعاية الأمانة والعهد.

تستهل الآية الكريمة بإخراج شجرة من طور سيناء..وهي شجرة الزَّيتون المباركة.

من أقوال المفسرين

"﴿طُورِ سَيۡنَآءَ﴾: وطور سنين، لا يخلو: إمَّا أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإمَّا أن يكون اسما للجبل مركبا.[٢٨٤]"

ثانيا: جبل الجودي

الجودي جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت وتواضع هو لله تعالى فلم يغرق وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام.

وكُتب في التوراة عن وصف السفينة "اصنع أنت تابوتا من (الخشب الساج[٢٨٥]) الذي لا يسوس، واصنع فيه علالي وتطليه من الداخل ومن الخارج بالقار، وهكذا اصنع بالتابوت ثلاثة مائة ذراع طول التابوت

---

[٢٨٤]- الكشاف، المرجع السابق، ص٢٢٣.

[٢٨٥]- خشب الساج: أصل هذا الخشب من شجرة غرانديز طكتونا، يبلغ وصول علوّها حتى ٤٥ متر بجدع قطره ٢,٤ متر. يمتاز هذا النوع من الخشب بطول العمر بفضل وجود نسبة عالية من الزيت الطبيعي. ضعف امتصاصه للرطوبة ويمنع من التشويه وهذا ما يعطيه ميزة كبيرة من الاستقرار.

وخمسون ذراعا عرضه، وارتفاعه ثلاثون ذراعا ومقببا اصنع التابوت وتكمله فوق في ذراع واصنع بابه في جنبه، واصنع أسفله سقفين." [٢٨٦]

واختلفت الروايات على مكان جبل الجودي، بعضها تشير أنَّه في العراق، وأخرى في اليمن، وأخرى في الحجاز، لكن أكثر الروايات واقعية تشير أنَّه في تركيا.

جبل آغري الذي يُعتقد أنه يضم بقايا "سفينة النبي نوح" (عليه السلام) بولاية آغري شرقي تركيا (صورة: الأناضول)

صورة سفينة نوح بجبل الجودي باليمن

***قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [هود:٤٤].**

---

[٢٨٦] - انظر كتاب التوراة، (سفر الخليقة والتكوين)- ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، تحقيق وتقديم سهيل زكار، (ط١)- ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، وبيروت لبنان، ص١١٦.

معاني الكلمات: "وَٱسۡتَوَتۡ: وصلت واستقرَّت. ٱلۡجُودِيِّۖ: جبل بالموصل نحو أربعين كلم شمال شرقي جزيرة ابن عمر استوت عليه سفينة نوح بعد الطوفان."[٢٨٧]

أي وصلت واستقرت سفينة نبي الله نوح عليه السلام على جبل الجودي بعد الطوفان وذهب من ذهب وبقي من بقي.

من أقوال المفسرين

"﴿وَاسْتَوَتْ﴾ السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾- أي: أرست على ذلك الجبل المعروف في أرض الموصل."[٢٨٨]

ثالثا: جبل الصفا والمروة

هما جبلان صغيران يقعان في مكة المكرمة.

جبل الصفا

جبل المروة

***قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة:١٥٨].**

معاني الكلمات: "شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ: جمع شعيرة، وهي: معالمه ومناسكه التي يطلب القيام بها. جُنَاحَ: إثم. يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ: يسعى بين الصفا والمروة."[٢٨٩]

تقول الرواية: إنَّ بعض المسلمين تحرجوا من الطَّواف بالصَّفا والمروة في الحج والعمرة، بسبب أنهم كانوا يسعون بين هذين الجبلين في الجاهلية، وأنَّه كان فوقهما صنمان هما أساف ونائلة. فكره المسلمون أن

---

[٢٨٧] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٦١٢، ٢٥٥.

[٢٨٨] - السعدي، المرجع السابق، ص٤٣٩.

[٢٨٩] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٤٥، ٦٣٢.

يطوفوا كما كانوا يطوفون في الجاهلية. فنزلت ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾.

من أقوال المفسرين

"قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾- الصَّفا: جمع صفاة وهي الصّخور الصَّلبة الملساء، يقال: صفاة وصفا، مثل: حصاة وحصى ونواة ونوى، والمروة: الحجر الرَّخو، وجمعها مروات، وجمع الكثير مرو، مثل: تمرة وتمرات وتمر."[٢٩٠]

"يخبر تعالى أنَّ الصَّفا والمروة وهما معروفان ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾-أي أعلام دينه الظَّاهرة، التي تعبد الله بها عباده، وإذا كانا من شعائر الله، فقد أمر الله بتعظيم شعائره."[٢٩١]

رابعا: جبل عرفة

يقع جبل عرفة على بعد ٢٠ كلم شرق مكة المكرمة، ويعد الوقوف عليه من أهم مناسك الحج، والتي تسمىَّ بوقفة عرفة، تكون يوم التَّاسع من شهر ذي الحجة.

***قال تعالى: ﴿...فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ...﴾ [البقرة:١٩٨].**

---

[٢٩٠]- البغوي، المرجع السابق، ص١٧٢.

[٢٩١]- السعدي، المرجع السابق، ص٧٢.

معاني الكلمات: "ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ: المزدلفة."[٢٩٢]

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾ دفعتم والإفاضة دفع بكثرة وأصله من قول العرب أفاض الرجل ماء أي صبَّه ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ هي جمع عرفة جمع بما حولها."[٢٩٣]

"قوله: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ دلالة على أمور: أحدها: الوقوف بعرفة، وأنَّه كان معروفا أنَّه ركن من أركان الحج، فالإفاضة من عرفات، لا تكون إلاَّ بعد الوقوف."[٢٩٤]

خامسا: جبال الأحقاف

***قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الاحقاف:٢١].**

معاني الكلمات: "أَخَا عَادٍ: رسولهم هود عليه السلام. الأَحْقَافِ: منازل عاد، جمع حقف، وهو ما استطال واعوج من الرَّمل، وفي القرآن سورة بهذا الاسم عرضت لما أصاب عادا ليعتبر الكفار به. النُّذُرُ: جمع النَّذير، وهو الرسول، أو الأمر المخيف."[٢٩٥]

الآية (٢١) من سورة الأَحْقَافِ، وهي سورة مكية، ما عدا الآية (١٠)، فيرى أكثر المفسرين أنها مدنية، ويُلحِق بها بعضهم الآية (١٥ و٣٥)، وعدد آياتها (٣٥) آية بعد البسملة.

أما أسباب النزول: ذُكر لها- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ عن ابن عباس: لما اشتد البلاء بأصحاب الرسول ﷺ رأى في المنام أنَّه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فقصَّها على أصحابه،

---

[٢٩٢] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٦٣٢.

[٢٩٣] - البغوي، المرجع السابق، ص٢٢٥.

[٢٩٤] - السعدي، المرجع السابق، ص٩٠.

[٢٩٥] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٩، ٣٠٥، ١٠٨٦.

فاستبشروا بذلك ورأوا فيها فرجا، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله متى نهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت فأنزل الله تعالى الآية.

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ قيل: أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

يدور محور السورة حول العقيدة في أصولها الكبرى الوحدانية، الرسالة، البعث والجزاء. والرسالة والرسول لإثبات صحَّة رسالة محمد وصدق القرآن، وحقوق الوالدين التي كثيرا ما تُعدّ أهم الحقوق بعد حق الله، ذُكر في السورة قصَّة قوم هود الذين كانوا أشد قوة من قريش، كذَّبوا برسولهم فجاءهم العذاب، وفي ذلك إنذار لأهل مكة لكيلا يكون مصيرهم مثل مصير قوم هود، وفي السورة إحالة إلى ما ذُكر سابقاً في سورة الجن، إذ حضر الجنُّ لاستماع القرآن حين كان يتلوه النبي محمد في صلاته في وادي نخلة. تقع بين حضرموت وعُمان وهي جبالٌ رملية، كانت مساكن لقوم عاد، وسميت سورةُ من سور القرآن الكريم باسم هذه الجبال.

من أقوال المفسرين

"﴿وَاذْكُرْ﴾ بالثَّناء الجميل ﴿أَخَا عَادٍ﴾ وهو هود عليه السلام، حيث كان من الرسل الكرام الذين فضلهم الله تعالى بالدَّعوة إلى دينه وإرشاد الخلق إليه. ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ﴾ وهم عاد ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾- أي: في منازلهم المعروفة بالأحقاف وهي: الرمال الكثيرة في أرض اليمن."[٢٩٦]

٢-٤ المبحث الرابع: ألوان الجبال

***قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ [فاطر:٢٧].**

---

[٢٩٦] - السعدي، المرجع السابق، ص٩٢٢.

معاني الكلمات: "جُدَدُ: طرائق مختلفة، مفردها جُدَّة."[٢٩٧] " الغربيب: ضرب من العنب بالطَّائف، شديد السَّواد، وهو أرق العنب وأجوده، وأشد سوادا." [٢٩٨]

تستهل الآية الكريمة بتحديد ألوان الجبال، ﴿جُدَدُۢ بِيضٌ﴾ الجدد هي: الخطوط البيضاء التي تتوسَّط الألوان في الجبال، وحمر وهو اللَّون الأحمر المعروف الذي يتوسط أيضا الألوان، وهذه إشارة إلى الجبال الحامضية وفوق الحامضية في تركيبها الكيميائي والمعدني، وهذه الجبال تتكون أصلا من الصّخور الجرانيتية وشبه الجرانيتية ويطغى عليها اللَّون الأبيض والأحمر بدرجات متفاوتة، فقال سبحانه ﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا﴾، وهناك نوع آخر من الجبال يسمَّى الجبال القاعدية وفوق القاعدية وتتكون من صخور خضراء داكنة الخضرة إلى سوداء اللَّون. ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ الغربيب وهو شديد السَّواد، بدأت الآية باللَّون الأبيض، ثم الأحمر ثم الأسود. ومنها ما تختلط فيها الألوان، الثلاثة أو غيرها، فهذه جبال غنية بمواد ثمينة، وتلك جبال فقيرة لخلوها من المعادن النَّادرة، وهذه تكسوها خضرة فتجعلها جنة نضرة، أو تكسوها ثلوج فتجعلها بيضاء ناصعة، وتلك جرداء لا نبات فيها، وبعضها هضبة قصيرة تمتد في الصَّحراء.

من أقوال المفسرين

"والمتدبر للمعاني اللَّطيفة في الآية الشَّريفة يرى توازن الألوان في نعوت أنواع الجبال المختلفة ودقَّة تدرجها فتبدأ بالبيض وتنتهي بالسّود، ويتوسط هذه وتلك حمر متدرجة الألوان."[٢٩٩]

٢-٥ المبحث الخامس: الجبال تخر هدا

---

[٢٩٧] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢١٧.

[٢٩٨] - انظر لسان العرب لابن منظور، المرجع السابق، ص٣٢٥٦.

[٢٩٩] - السيد الجميلي، المرجع السابق، ص٢٨.

***قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم:٩٠)**

معاني الكلمات: "يَتَفَطَّرْنَ: يتشققن ويتصدعن. وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ: تسقط. "[٣٠٠]

الآية (٩٠) من سورة مريم، وهي سورة مكية، إلاَّ الآيتي (٥٨ و ٧١) فمدنيتان، وعدد آياتها (٩٨) آية، بعد البسملة، نزلت بعد فاطر.

سُميّت على اسم العذراء مريم أم عيسى المسيح، لتكون بذلك السورة الوحيدة في القرآن التي سُميّت على اسم امرأة.

وأما بداية السورة فهي بقصَّة زكريا حين دعا الله دعاء خفيًّا أي من القلب بأن يجعل له وليًّا أو خلفًا، فاستجاب له الله ووهب له يحيى. ثم استعرضت قصَّة مريم العذراء.

واختتمت باستنكار على الذين أشركوا والذين كفروا أنَّ الله اتَّخذ ولدًا.

وتستهل الآية الكريمة تكاد الجبال تخر هدا أي تندك وتصبح كأنها لم تكن.

من أقوال المفسرين

"﴿يكَادُ﴾: قراءة الكسائي ونافع بالياء، وقرئ ﴿يَتنفَطَّرْنَ﴾: الانفطار من فطره إذا شقَّه، والتَّفطر: من فطره إذا شقَّقه وكرَّر الفعل فيه. "[٣٠١]

"من عظيم أمره أنَّه ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ﴾ على عظمتها وصلابتها ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾- أي: من هذا القول ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ منه،- أي: تتصدَّع وتنفطر ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾- أي: تندك الجبال.[٣٠٢]"

٢-٦ المبحث السادس: اتخاذ الجبال مكانا للسكن

✓ **مغارات:**

---

[٣٠٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٤٨، ٨٠٩.

[٣٠١]- الكشاف، المرجع السابق، ص٥٧.

[٣٠٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٨٢.

***قال تعالى: ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾ [التوبة:٥٧].**

معاني الكلمات: "مَلۡجَـًٔا: ملاذا. يَجۡمَحُونَ: يفرون مسرعين لا يثنيهم شيء من جمح الفرس انفلت فركب رأسه لا يرده شيء."[٣٠٣]

أما أسباب النزول: ذُكر لها (٢٧) سبب منهم قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ قيل: أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد، وهموا بإخراج الرسول.

أي يفرون مسرعين لإيجاد مخبأ يحتمون به، ويأمنون فيه. حصناً أو مغارة أو نفقاً. إنهم مذعورون مطاردون يطاردهم الفزع الدَّاخلي والجبن الروحي.

من أقوال المفسرين

"ثم ذكر شدَّة جبنهم فقال: ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا﴾ يلجأون إليه عندما تنزل بهم الشدائد، ﴿أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ﴾ يدخلونها فيستقرون فيها."[٣٠٤]

"﴿أو مدخلا﴾ وهو السّرب في الأرض والنَّفق. قال ذلك في الثلاثة ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. ﴿لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾أي: يسرعون في ذهابهم عنكم، لأنهم إنما يخالطونكم كرها لا محبة، وودوا أنهم لا يخالطونكم، ولكن للضَّرورة أحكام؛ ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم؛ لأنَّ الإسلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة؛ فلهذا كلما سر المؤمنون ساءهم ذلك، فهم يودون ألاَّ يخالطوا المؤمنين؛ ولهذا قال: ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾."[٣٠٥]

---

[٣٠٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٠٤، ٢٣٨.

[٣٠٤]- السعدي، المرجع السابق، ص٣٨٩.

[٣٠٥]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٨٨٦.

***قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ..﴾ [من الآية ٤٠: التوبة].**

معاني الكلمات: "ٱلۡغَارِ: فجوة في الجبل."[٣٠٦]

وهاهي فائدة الجبال تتجلىَّ وتظهر لتحمي الرسول الكريمﷺ وصاحبه، والقوم على إثرهما يتعقبون، والصّدّيق يجزع لا على نفسه ولكن على صاحبهﷺ أن يطلعوا عليهما وتكون العاقبة لا قدَّر الله وخيمة، يقول له: لو أنَّ أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه. والحبيبﷺ وقد أنزل اللّه سكينته على قلبه، يهدّئ من روعه ويطمئن من قلبه فيقول له: "«يا أبا بكر ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما؟»" ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. وكانت العاقبة، والقوة المادية كلها في جانب، والرسولﷺ وكان النَّصر المؤزر من عند اللّه بجنود لم يرها الناس. ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾.

من أقوال المفسرين

"أي: إلا تنصروا رسوله محمدًاﷺ. فاللّه غني عنكم، لا تضرونه شيئا، فقد نصره في أقل ما يكون وأذلة ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في ذلك، وحرصوا أشد الحرص، فألجؤوه إلى أن يخرج."[٣٠٧]

"﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ أي: عام الهجرة، لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيرا نحو المدينة، فجعل أبو بكر- رضي الله عنه- يجزع أن يطلع عليهم أحد، فيخلص إلى الرسول- عليه السلام- منهم أذى، فجعل النبي- ﷺ- يسكنه ويثبته ويقول: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين

---

[٣٠٦] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٢٧.

[٣٠٧] - السعدي، المرجع السابق، ٣٨٥.

الله ثالثهما."[٣٠٨]

✓ **الأكنان:**

***قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ...﴾ [النحل:٨١].**

معاني الكلمات: "ظِلَٰلًا: ما يواري الشَّمس عنكم. أَكۡنَٰنًا: جمع كِن، وهو ما يستر من بناء ونحوه. سَرَٰبِيلَ: جمع سربال: ويطلق على القميص وعلى الدروع."[٣٠٩]

من نعم الله التي أنعم بها على الإنسان تسخير ما في الكون لصالحه له في الظلال استرواح وسكن، وله في الأكنان طمأنينة ووسن، وله في السَّرابيل التي تقي الحر من الأردية والأغطية راحة وفي السَّرابيل التي تقي البأس من الدروع وغيرها وقاية. وكلها بسبيل من طمأنينة في البيوت وسكينة.

من أقوال المفسرين

"﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾- أي: من مخلوقاته التي لا صنعة لكم فيها، ﴿ظِلَالًا﴾ وذلك كأظلة الأشجار والجبال والآكام ونحوها، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾- أي: مغارات تكنكم من الحر والبرد والأمطار والأعداء."[٣١٠]

"﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ وهي الثياب من القطن والكتان والصوف، ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ كالدروع من الحديد المصفح والزرد وغير ذلك."[٣١١]

---

[٣٠٨] - ابن كثير، المرجع السابق، ص٨٨٣.

[٣٠٩] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٢٥، ٩٨٦، ٢٦٥.

[٣١٠] - السعدي، المرجع السابق، ص٥١٧.

[٣١١] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٧١.

✓ **الكهوف:**

***قال تعالى:** ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا﴾ [الكهف:٩-١١].*

معاني الكلمات: "ٱلۡكَهۡفِ: الغار الواسع، أو البيت المحفور في الجبل، والمراد الملجأ الذّي اختفى فيه أصحاب الكهف. ٱلرَّقِيمِ: اللَّوح الذَي كتب فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم. أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ: نزلوا إليه، والتجئوا به. سِنِينَ: أعوام جمع سنة."[٣١٢]

الآيات من (٩ إلى ١١) من سورة الكهف، وهي سورة مكية وعدد آياتها (١١٠) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة الغاشية، وهي من السور التي بدأت بالحمد لله، وشملت عدداً من القصص.

سمّيت بسورة الكهف للمعجزة الربّانية التي كانت في قصَّة أصحاب الكهف.

أما أسباب النزول: ذُكر لها (٠٥) أسباب منها- قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ قيل: نزلت في أمية بن خلف الجمحي. حيث تكرّر الحديث عن البعث، وقصَّة صاحب الجنتين الذي أنكر البعث، قصة ذي القرنين الذي آتاه الله من أسباب القوة والتَّمكين ما آتاه، وقصَّة سيدنا موسى والعبد الصَّالح. قصَّة آدم -عليه السلام- وإبليس.

أما قصَّة أصحاب الكهف فقد كان لها نصيبا في السورة الكريمة. قوله تعالى: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا﴾- أغلب التَّفاسير تشير إلى أنَّ أصحاب الكهف هم من أتباع نبي الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، عاشوا على أرض فلسطين التي احتلها الإمبراطور الروماني الطَّاغية (تراجان) وحكم في الفترة من ٩٨ الى ١١٧م، وطرد أتباع المسيح

[٣١٢] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٩٨٦، ٥١١، ١٠٥، ٦٠٢.

لرفضهم لعبادة الأصنام وفرَّ الفتية إلى الكهف، فأنزل الله عليهم معجزة النَّوم في هذا الكهف الواقع في صحراء البلقاء والذي يبعد عن عمان ببضع الكيلومترات. وقد أوقف سبحانه وتعالى جميع الوظائف الحيوية في أجسادهم، وحفظ تلك الأجساد من التَّحلل لمدة ثلاثمائة من السّنين الشَّمسية وهي تساوي ثلاثمائة وتسعا من السَّنوات القمرية. قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ لأنَّ هناك ارتباط وثيق بين النَّوم ووظائف السَّمع، السَّمع هو الجهاز الوحيد الذي يبقى مفتوحا لاستقبال عن بعد أثناء فترة النَّوم، لذَلك فإنَّ الضَّرب على الآذان يلغي كل الاستقبالات. "الالتواء الخارجي للأذن على هيئة هوائي مستقبل لتجميع الموجات الصَّوتية الهوائية ونقلها وترجمتها إلى أصوات تؤثر في الطَّبلة ثم في العصب السَّمعي."[٣١٣] يضرب الله على الأذن لكي لا تنتقل الموجات الصَّوتية إلى الطَّبلة. وبُعثوا في فترة الامبراطور (تيودوسيوس) ما بين ٤٠٨و ٤٥٠م. "وكان أول من كتب قصة أصحاب الكهف بالسريانية هو العراقي جيمس الساروغي (James of Sarus) المتوفى سنة ٥١٨م."[٣١٤]

[٣١٣] - السيد الجميلي، المرجع السابق، ص٩٥.

[٣١٤] - زغلول النجار، تفسير الآيات الكونية في القرآن، المرجع السابق، ص٥١.

موقع كهف الرقيم

من أقوال المفسرين

"وهذا الاستفهام بمعنى النَّفي، والنَّهي.- أي: لا تظن أنَّ قصَّة أصحاب الكهف، وما جرى لهم، غريبة على آيات الله، وبديعة في حكمته، وأنَّه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير، من جنس آياته في أصحاب الكهف وأعظم منها."[٣١٥]

"قوله: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾ يخبر تعالى عن أولئك الفتية، الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يفتنوهم عنه، فهربوا منه فلجئوا إلى غار في جبل."[٣١٦]

✓ **البيوت:**

***قال تعالى: ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر:٨٢].**

معاني الكلمات: "يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا: تقشرون وتبرون."[٣١٧]

تتحدث الآية الكريمة عن قبيلة من العرب البائدة وهي قبيلة: ثمود، قبيلة مشهورة، جدهم الأكبر ثمود ابن عاتر بن إرم بن سام بن نوح، مسكنهم بالمكان المسمَّى (الحِجر) يقع بين الحجاز وتبوك، وهي القبيلة التي جاءت بعد قوم عاد، يرجع تاريخها إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد (٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ ق. م)، يعملون بالتجارة ويحرسون الطَّريق التّجاري بين الشَّام واليمن، ويعبدون الأصنام، فبعث الله فيهم نبي الله (صالح) عليه السلام،

---

[٣١٥] - السعدي، المرجع السابق، ص٥٤٧.

[٣١٦] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٤٤٦.

[٣١٧] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٨١.

فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وأن يخلعوا الأصنام، هيأ الله لهم الأرض يبنون فيها القصور، وهم أول من نحت الجبال والصور والرخام، فبنوا من المدائن ألفاً وسبع مئة مدينة كلها من الحجارة، ومن الدور والمنازل ألفي ألف وسبع مئة ألف كلها من الحجارة، واتخذوا منها بيوتاً فارهة، حاذقين في صنعتها وإتقانها وإحكامها. قال تعالى: ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾. ولا تزال مدائنهم قائمة إلى الآن، حيث برعوا في نحت الصّخور والإبداع في تشكيلها، وصنعوا منها البيوت والقصور العظيمة، وأعطاهم الله نعما ورزقاً كثيراً.

من أقوال المفسرين

"﴿وَكَانُوا﴾ من كثرة إنعام الله عليهم ﴿يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ من المخاوف مطمئنين في ديارهم."[٣١٨] "وذكر تعالى: أنهم كانوا ﴿يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾أي: من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشرا وبطرا وعبثا، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر."[٣١٩]

***قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل:٦٨].**

ومن فوائد الجبال ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ نظرا لما في هذه المخلوقات من فوائد عظيمة تعود في الأساس على الإنسان بطبعه سيد الأرض والنَّحل من مخلوقات الله تعمل بالفطرة التي أودعها إياها الخالق، فهو نوع من أنواع الوحي تعمل بمقتضاه. وهي تعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء خلاياها، أو في تقسيم العمل بينها، أو في طريقة إفرازها للعسل المصفىَّ. وهي تتَّخذ بيوتها- حسب فطرتها- في الجبال والشَّجر وما يعرشون أي ما يرفعون من الكروم وغيرها- وقد ذلَّل الله لها

---

[٣١٨] - السعدي، المرجع السابق، ص٥١٧.

[٣١٩] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٥٠.

سبل الحياة بما أودع في فطرتها وفي طبيعة الكون حولها من توافق، لتستقر وتفرز عسلها في هذه الأماكن التي سخَّرها الله لها.

من أقوال المفسرين

"المراد بالوحي هاهنا: الإلهام والهداية والإرشاد إلى النَّحل أن تتَّخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها." [٣٢٠]

"فهذا دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنَّه الذي لا ينبغي أن يحب غيره ويدعي سواه."[٣٢١]

✓ **الجبال متاع:**

***قال تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا مَتَٰعًا لَّكُمْ وَ لِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات:٣٢-٣٣].**

معاني الكلمات: "مَتَٰعًا: ما تتمتعوه به."[٣٢٢]

الآيتان الكريمتان من سورة النازعات، وهي سورة مكية، وعدد آياتها(٤٦) آية بعد البسملة، وهذه السورة تعنى بالعقيدة والقضايا الغيبية، وتبدأ بقسم منه سبحانه وتعالى- وهو الغني عن القسم، ثم تعرض السورة شيء من أهوال الآخرة.

تستهل الآية الأولى بدور الجبال في إرساء الأرض، و (المرسى) بمفهومه اللغوي هو مكان الرَّسو(والمرساة الآلة التي ترسى بها السَّفينة) و(الرَّواسي) هي الجبال الثَّوابت الرَّاسخة.

وأما دور الجبال في إرساء ألواح الغلاف الصَّخري للأرض وتثبيتها، حتى تستقيم الحياة على سطح الأرض، فهذه الألواح في بداية خلق الأرض كانت في بدء الأمر على سرعة فائقة حيث لا تسمح هذه السرعة لتربة الأرض أن تتجمَّع، ولا لنبتة أن تنبت، ولا لمخلوق أن يعيش،خاصَّة وأن دوران الأرض حول محورها كانت في القديم أعلى من معدلاتها الحالية،

---

[٣٢٠] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٦٧.

[٣٢١] - السعدي، المرجع السابق، ص٥١٥.

[٣٢٢] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٣١.

لدرجة أنَّ طول الليل والنهار معا يساوي ٠٤ ساعات عند بدء خلق الأرض، وعدد الأيام في السَّنة تساوي ٢٢٠٠ يوم، وهذه الدَّورة الفائقة لا شك أنها تزيد في انزلاق ألواح الغلاف الصَّخري للأرض، ونظرا لنتيجة دوران الأرض حول محورها، فإنَّ القوة الطَّاردة النَّاشئة عن هذا الدَّوران تبلغ ذروتها عند خط الاستواء، مما يؤدي إلى التَّقليل من دور الجاذبية، فتنبعج الأرض قليلا عند خط الاستواء حيث تقل قوة الجاذبية، ولأنَّ الانبعاج الاستوائي للأرض يجعل محور دورانها يغير اتجاهه قليلا، فتنشأ على هذا حركة بدارية أو ما يسمىَّ بحركة التَّرنح. وتبعا لترنح الأرض حول مدارها مسارا منعرجا بسبب جذب كل من الشَّمس والقمر للأرض، ووجود الجبال ذات الجذور الغائرة في الغلاف الصَّخري للأرض، يقلل من شدة ترنح الأرض في دورانها حول محورها، ويجعل حركتها أكثر انتظاما وسلامة. فسبحانه القائل: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾- أي: ثبتها في الأرض."[٣٢٣]

"وقوله ﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَ لِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾أي: دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها، لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعا لخلقه ولما يحتاجون إليه."[٣٢٤]

***

٣-الفصل الثالث: الأودية والأنهار والبحار في القرآن الكريم

٣-١ المبحث الأول: الأودية في القرآن الكريم

٣-٢ المبحث الثاني: الأنهار والبحار

[٣٢٣] - السعدي، المرجع السابق، ص١٠٧٣.

[٣٢٤] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٥٨.

٣-الفصل الثالث: الأودية والأنهار والبحار في القرآن الكريم

٣-١ المبحث الأول: الأودية في القرآن الكريم

***قال تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ..﴾ [من الآية ١٧:الرعد].**

معاني الكلمات: "فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ: فجرت مياه الاودية." [٣٢٥]

وبمشيئة العلي القدير وبأمره ينزل الماء من السَّماء، لتمتلي الأودية حتى تسيل به، ويتناسق المشهد الرَّائع مع جو البرق والرَّعد والسَّحاب الثّقال؛ ويؤلف جانبا من المشاهد الكونية، وهو يسير بقدرة الواحد القهار. وأن تسيل هذه الأودية بقدرها، كل بحسبه، وكل بمقدار طاقته ومقدار حاجته يشهد بتدبير الخالق وتقديره لكل شيء. وهي إحدى القضايا التي تعالجها السورة. ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

من أقوال المفسرين

شبَّه القلوب الحاملة للهدى وتفاوتها بالأودية التي تسيل فيها السيول، فواد كبير يسع ماء كثيرا، كقلب كبير يسع علما كثيرا، وواد صغير يأخذ ماء قليلا، كقلب صغير، يسع علما قليلا."[٣٢٦]

الأودية المذكورة في القرآن الكريم

✓ **واد غير ذِي زرع:**

***قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ..﴾ [من الاية٣٧ : إبراهيم].**

دعاء ونداء نبي الله إبراهيم الخليل ﴿رَّبَّنَآ﴾ فهذا هو الذي من أجله أسكنهم هناك، ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ وهذا هو الذي من أجله يحتملون الجدب والحرمان. ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ واجعل أفئدة من الناس تهوى

---

[٣٢٥] - محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٩٧.

[٣٢٦] - السعدي، المرجع السابق، ص٤٨٠.

إليهم. وفي هذا التَّعبير رقَّة وتضرّع لله الواحد الأحد، والقلوب تهوي إلى ذلك البيت وأهله في ذلك الوادى الجديب.

من أقوال المفسرين

"﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾- أي: لا كل ذريتي لأنَّ إسحاق في الشَّام وباقي بنيه كذلك وإنَّما أسكن في مكة إسماعيل وذريته."[٣٢٧]

✓ **الواد المقدس (طوى):**

***قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗىٰ﴾ [طه:١٢].**

معاني الكلمات: "طُوًى: اسم للوادي."[٣٢٨]

تستهل الآية الكريمة بقصَّة سيدنا موسى عليه السلام وحدَّدت الآية المكان المتواجد فيه إنَّه الواد المقدَّس طوى يعتبر هذا الوادي من أكثر الأماكن المقدَّسة العظيمة، وهذا المكان لا يزال محل تمحيص وتدقيق في مكانه، ومن المؤكد أنَّه يقع في مصر في شبه جزيرة سيناء، وقالوا أنَّ هذا الوادي كانت بدايته وادي أسيل، وكان موسى قد مكث مدَّة تقريبًا ١٠ سنوات. وبعد أن تزوج بنت النبي شعيب، انطلق إلى مكان غير معلوم حتى وصل إلى وادي نبق الموجود في سيناء، ثم بعد ذلك تحرَّك إلى وادي الكيت ثم بعد ذلك إلى وادي أسلا حتى وصل بعد ذلك إلى الوادي المقدَّس (طوى).

من أقوال المفسرين

"﴿طُوًى﴾: بالضَّم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة، وقيل: مرتين نحو ثنى، أي: نودي ندائي قدس الوادي كرة بعد كرة."[٣٢٩]

---

[٣٢٧] - السعدي، المرجع السابق ، ص٤٩٤.

[٣٢٨] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٢٠.

[٣٢٩] - الكشاف، المرجع السابق، ص٧١.

"﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ أخبره أنَّه ربه، وأمره أن يستعد ويتهيأ لمناجاته، ويهتم لذلك، ويلقي نعليه، لأنَّه بالوادي المقدَّس المطهَّر المعظَّم، ولو لم يكن من تقديسه، إلاَّ أنَّ الله اختاره لمناجاته كليمه موسى لكفى، وقد قال كثير من المفسرين: "إنَّ الله أمره أن يلقي نعليه، لأنهما من جلد حمار" فالله اعلم بذلك." [٣٣٠]

***قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ...﴾ [القصص:٣٠].**

معاني الكلمات: "شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ: طرفه. ٱلْبُقْعَةِ: القطعة من الأرض."[٣٣١]

الآية (٣٠) من سورة القصص، وهي سورة مكية، إلاَّ من آية (٥٢ إلى غاية آية ٥٥) فمدنية، وآية (٨٥) فبالجحفة أثناء الهجرة، وعدد آياتها (٨٨) بعد البسملة نزلت بعد النمل.

فبعد ما قطع مسافة شاقة، آنس نارا، وها هو ذا يقصد إلى النَّار التي آنسها، وها هو ذا في شاطىء الوادي إلى جوار جبل الطّور، الوادي إلى يمينه، في البقعة المباركة، منذ وطأت قدماه المكان. وها هو النّداء العلوي الآتي لموسى (من الشَّجرة) ومن الممكن أن تكون الشَّجرة الوحيدة في هذا المكان.

من أقوال المفسرين

"فلما أتاها نودي ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فأخبر بألوهيته وربوبيته، ويلزم من ذلك، أن يأمره بعبادته، وتألهه."[٣٣٢]

✓ **وادي النمل:**

***قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:١٨].**

---

[٣٣٠]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٨٤.

[٣٣١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٦٢٩، ١٥٥.

[٣٣٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٧٢٢.

معاني الكلمات: "وَادِ ٱلنَّمۡلِ: قيل إنَّه بالشَّام، وقيل بالطَّائف. لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ: لا تمكنوهم من إهلاككم."[٣٣٣]

تستهل الآية الكريمة بذكرها لوادي النَّمل، وللنَّمل ملكة وهي المخصبة التي تضع بيضها في مكان آمن وترعاه إلى التَّفقيس، وإلى أن يتم نمو الحشرة الكاملة، وبعد التَّكاثر تبدأ الشغالات القيام بمسئولية مستعمرة النَّمل، ومن المعلوم أنَّ للنَّمل مجتمع مترابط، يمتاز بقيامه بمشروع جماعي مثل إقامة الطّرق الطَّويل تثير الدَّهشة، وتعمل هذه المجموعة حتى في الليالي القمرية، وتلتزم مستعمراتها في الليالي المظلمة. ويقوم أعضاء المجموعة في جمع المواد الغذائية وتخزينها، ومن الحكم أنَّ النَّملة تجزي البذرة الكبيرة لكي يسهل تخزينها وإذا ما مسَّها البلل تخرجها إلى الهواء لتجفيفها ثم تدخلها مرة أخرى. وللنَّمل منطق خاص به وثبت ذلك بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ..﴾- وقد سمع سليمان عليه السلام منطق النَّملة لرفاقها، وفهم منطقها بفضل من الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾، ولكل مستعمر من المستعمرات منطق خاص به يفهم به بعضه، بحيث أنَّ للنَّمل غرائز فطرية تعطيه قدرا من الذَّكاء والوعي، ويمكنها معرفة الأشياء والأماكن.

أما بالنّسبة للوادي المذكور وهو وادي النَّمل واد صغير جنوب شرق الطَّائف في المملكة العربية السعودية، يأخذ سيله من أشعب جبال الصَّلايخ من شرق الطَّائف ومن شمال هضبة الوشحاء ويتَّجه صوب وادي نخب، وورد أن ياقوت الحموي ذُكر أنَّ هذا الوادي هو وادي النَّمل.

من أقوال المفسرين

"﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ منبهة لرفقتها وبني جنسها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ فنصحت هذه النَّملة وأسمعت النَّمل إما بنفسها ويكون الله

[٣٣٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١١٧١، ٣٠١.

قد أعطى النَّمل أسماعا خارقة للعادة، لأنَّ التنبيه للنَّمل الذي قد ملأ الوادي بصوت نملة واحدة من أعجب العجائب."[٣٣٤]

٣-٢ المبحث الثاني: الأنهار والبحار

*** - البحر**

١- البحر المسجور:

***قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [الطور:٦].**

معاني الكلمات: "ٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ: والسَّجرُ: إيقادك في التنور تسجره بالوقود سجرا."[٣٣٥]

الآية (٦) من سورة الطور، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٤٩) آية بعد البسملة.

سميت هذه السورة بسورة الطور من دون واو، وقد جاءت تسميتها كذلك عند البخاري في الصَّحيح.

بدأت بالحديث عن أهوال الآخرة وشدائدها، وعما يلقاه الكافرون في ذلك الموقف الرَّهيب، وأقسمت على أنَّ العذاب نازل بالكفَّار لا محالة، لا يمنعه مانع، ولا يدفعه دافع، وبيَّنت حال المتَّقين في جنَّات النَّعيم، على سرر متقابلين، وقد جمع الله لهم أنواع السَّعادة: الحور العين، واجتماع الشَّمل بالذرية والبنين، والتَّنعم والتَّلذذ بأنواع المآكل والمشارب، من فواكه وثمار، ولحوم متنوعة مما يشتهى ويستطاب، إلى غير ما هنالك من أنواع النَّعيم، مما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأمرت الرسولﷺ بمتابعة التَّذكير وتبليغ الرسالة وإنذار الكفرة، وأثبتت بالأدلة صدق رسالة النبيﷺ، كما أقامت البراهين القاطعة على الإلوهية الحقة، وختمت بأمر النبيﷺ بتركهم، وأن لا يحزن لذلك، فإنَّ الوعيد حالٌ بهم في الدنيا والآخرة، وأمرت رسول اللهﷺ بالصَّبر، ووعدته بالتَّأييد

---

[٣٣٤] - السعدي، المرجع السابق، ص٧٠٦.

[٣٣٥] - لسان العرب، المرجع السابق، ص١٩٦٨.

والنَّصر، وأمرته بشكر ربه في جميع الأوقات.

تتحدث الآية الكريمة عن البحر المسجور وكلمة سجر والسَّجرُ: إيقادك في التَّنور تسجره بالوقود سجرا. لقد كان العقل البشري قديما لا يستوعب هذه الحقيقة لأنَّ الماء والنَّار شيئان متناقضان فكيف يحدث هذا؟ ولكن نظرا للتَّطور العلمي إنَّ الصَّهارة الصَّخرية في درجات حرارة عالية، تستطيع أن تبخر الماء.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾، في سنة ١٩٧٤ اكتشف العلماء أنَّ قاع البحر ينشطر من منتصفه، وهذَا في وادي الخسف بالمحيط الأطلسي، وحتى يأتيها أمر الله فتنفجر قال: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ [التكوير٦]. وقال: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ [الاتفطار٣]. وحينها ستمد الأرض مدا، وتصعد الحمم فتملأ البحر نارا، وتسجر البحار ويكتمل المشهد. بإخراج الأرض أثقالها قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ (٣) وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشقاق٣-٥].

حيث أثبت العلم في سنة ١٩٦٢ أنَّ قاع البحر يتَّسع من منتصفه، ونظرا للتَّباعد النَّاتج بين القطعتين المتجاورتين يؤدي هذا التَّباعد إلى سجر قاع البحر بالحمم النَّارية، فسبحانه علاَّم الغيوب الذي أقسم: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾- أي: المملوء ماء."[٣٣٦]

***قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦].**

معاني الكلمات: "الْبِحَارُ سُجِّرَتْ: مُلئت."[٣٣٧] "وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ: أي وَإِذَا البحار تأجَّجت نارا، وصارت نيرانا تضطرم وتلتهب."[٣٣٨]

---

[٣٣٦]- السعدي، المرجع السابق، ص٩٥٩.

[٣٣٧]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٥٨.

[٣٣٨]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٥٢٤.

عندما تنتفخ الشَّمس وتتحوَّل إلى عملاق أحمر وتبلغ درجة حرارتها ٣٠٠٠ درجة مئوية بالقرب من سطح الأرض مما يؤدي إلى تفجير البحار وتسجيرها (إشعالها) نظرا إلى تحلل الماء إلى عنصريه الإيدروجين القابل للاشتعال والأكسجين المساعد على الاشتعال، وهروب الغلاف الجوي نظرا لارتفاع درجة الحرارة.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾- أي: أوقدت فصارت- على عظمها- نارا تتوقد."[٣٣٩]

"قوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾- قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم قال البحر. فقال ما أراه إلاَّ صادقا."[٣٤٠]"

٢- البحر العذب والبحر الفرات:

***قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ [الفرقان:٥٣].**

معاني الكلمات: "مَرَجَ: خلط. عَذْبٌ: سائغ. مِلْحٌ أُجَاجٌ: شديد الملوحة. حِجْرًا مَّحْجُورًا: حاجزا مانع وممنوعا أن يُجتاز. "[٣٤١]

تستهل الآية الكريمة بمرج البحرين، "و(مَرَجَ) بمعنى أنَّ المرج الخلط. ومرج الله البحرين العذب والمالح خلطهما حتى التقيا. قوله تعالى: "مَرَجَ البَحرَينِ يَلتقِيَانِ"، يقول: أرسلهما ثم يلتقيان بعد، وقيل خلاَّهما ثم جعلهما لا لْتَبس ذا بذا. "[٣٤٢] (ملح أجاج) هو الماء شديد الملوحة والمرارة. (برزخ) هو الحاجز كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ﴾ [النمل٦١].

---

[٣٣٩]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٧٦.

[٣٤٠]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٦٤.

[٣٤١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٣٩، ٢٢،٧٥٤، ٧٧١.

[٣٤٢]- لسان العرب، المرجع السابق، ص٤١٨٩.

كما سماه علماء البحار ب (الجهة) تبها بالجهة التي تفصل بين جيشين. قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ (١٩) بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الرحمن١٩-٢٠]. ولقد ذهب أغلب المفسرين إلاَّ أنَّ الحاجز من قدرة الله العلي القدير. والحد بين الشَّيئين. (الحجر المحجور) هو المانع الممنوع أن يُجتاز.

البحرين: ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ﴾- لأنَّ الأنهار تفيض من تضاريس القارات المرتفعة فوق مستوى سطح البحر فتلقي بمائها العذب في هذَا البحر، ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾- لأنَّ الأنهار تفيض من تضاريس القارات المرتفعة فوق مستوى سطح البحر فتلقي ما تحمله من رسوبيات في هذَا الخضم المالح. وسبحانه خالق كل شيء بقدر ، لولا هذَا النّظام المحكم والمبهر في ترتيب مستويات كل من اليابسة وقيعان البحار والمحيطات لطغى ماء البحر المالح على اليابسة بما فيها الماء العذب وأفسدها إفسادا كاملا مع تدمير كل صور الحياة فيها، وسبحان القادر المقتدر جعل ألواح الغلاف الصَّخري للأرض تتحرَّك، ومع البراكين ومتداخلات نارية، تكوَّنت السَّلاسل الجبلية التي أعطت تضاريس شامخة لسطح الأرض، وهذه التَّضاريس تعمل على الحماية الكاملة لفصل الماء العذَب عن الماء المالح.

من أقوال المفسرين

"أي: وهو وحده الذي مرج البحرين يلتقيان البحر العذب وهي الأنهار السَّارحة على وجه الأرض والبحر المالح وجعل منفعة كل واحد منهما مصلحة للعباد، ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا﴾- أي: حاجزا يحجز من اختلاط أحدهما بالآخر فتذهب المنفعة المقصودة منها ﴿وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾- أي: حاجزا حصينا."[٣٤٣]

٣- البحر الساكن:

***قال تعالى: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ﴾ [الدخان:٢٤].**

---

[٣٤٣] - السعدي، المرجع السابق، ص٦٨٤.

معاني الكلمات: "رَهْوًا: ساكنا."[٣٤٤]

الآية (٢٤) من سورة الدخان، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٥٩) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة الزخرف.

سُميت سورة الدخان لأنَّ الله تعالى جعله آية لتخويف الكفار، حيث أصيبوا بالقحط والمجاعة بسبب تكذيبهم الرسول، وبعث الله عليهم الدخان حتى كادوا يهلكون، ثم نجاهم بعد ذلك ببركة دعاء النبي ﷺ.

أما أسباب النزول: ذُكر لها سبب واحد وهو قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ قيل أنها نزلت في أبي جهل.

أي واترك البحر ساكنا. ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾- أي: بحاله وذلك أنَّه لما سرى موسى ببني إسرائيل كما أمره الله ثم تبعهم فرعون فأمر الله موسى أن يضرب البحر فضربه فصار اثنى عشر طريقا وصار الماء من بين تلك الطّرق كالجبال العظيمة فسلكه موسى وقومه.فلما خرجوا منه أمره الله أن يتركه رهوا- أي: بحاله ليسلكه فرعون وجنوده ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ فلما تكامل قوم موسى خارجين منه وقوم فرعون داخلين فيه أمره الله تعالى أن يلتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم."[٣٤٥]

٤ - البحر اللجي:

***قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...﴾ [من الآية ٤٠ : النور].**

معاني الكلمات: "لُّجِّيٍّ: متلاطمة أمواجه. يَغْشَىٰهُ- يَغْشَىٰ: يغطي ويحتوي."[٣٤٦]

---

[٣٤٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥١٧.

[٣٤٥]- السعدي، المرجع السابق، ص٩١١.

[٣٤٦]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٠٥، ٨١٤.

الآية (٤٠) من سورة النور، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها(٦٤) آية بعد البسملة.

أما أسباب النزول: ذُكر لها (١١) سببا منهم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ﴾ نزلت في غلام لحويطب بن عبدالعزي يقال له (صبيح).

بدأت هذه السورة بتنبيه العباد إلى فضلها، وعلو مكانها ومنزلتها.

ومن المقاصد التي بينتها هذه السورة، الأسرة المؤسسة الأولى في المجتمع المسلم التي تتكون منها عُرى المجتمع والروابط الاجتماعية فتُربي المجتمع على العفاف والطهر وعدم تعدي حدود الله وإلاَّ لن يجد إلاَّ الظلمة لذلك.

تستهل الآية الكريمة بالظّلمة التَّامة فوق قيعان البحار العميقة والمحيطات، والتي يلعب كل من السّحب، والأمواج السَّطحية والأمواج الدَّاخلية دورا أساسيا في إحداث هذه الظلمة المركَّبة، وهذه الحقيقة أدركها الإنسان إلاَّ في مطلع القرن العشرين.

أما البحر اللّجي وهي البحار شديدة العمق، والأمواج الدَّاخلية لا تتكون إلاَّ في مثل تلك البحار العميقة، ومن هنا كان التَّحديد ألقرآني ﴿فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ إعجازا غير مسبوق.

"حيث تمتص السّحب وما بها من بخار الماء وجزئيات الهواء وهباءات الغبار وغيرها من نوى التَّكثيف الأخرى حوالي ١٩% من تلك الأشعة الشَّمسية المارة من خلالها، تحجب السّحب بالانعكاس والتَّشتيت والامتصاص حوالي ٤٩% من أشعة الشَّمس، فتحدث قدرا من الظّلمة النّسبية.[٣٤٧]".

وأما القول الآخر والذي يسبب الظلمة في البحار والمحيطات هو أن ما

---

[٣٤٧]- زغلول النجار: تفسير الآيات الكونية في القرآن، مكنبة الشروق الدولية، ج٢، ط١،(١٤٢٨-٢٠٠٧،) ص٢٨٠.

يصل إليها من الأشعة المرئية أو ما يسمَّى ب (الضَّوء الأبيض)، فإنَّ الأمواج السَّطحية للبحار تقوم بعكس ٥% منها فتحدث الظلمة النّسبية. قوله: ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۢ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ "من فوق هذه الأمواج الدَّاخلية تأتي الأمواج السَّطحية وما يصاحبها من العواصف البحرية والتي يحركها كل من الرياح والجاذبية والهزَّات الأرضية، ودوران الأرض حول محورها، وحركات المد والجزر. عوامل من أسباب الظّلمة."[٣٤٨]

من أقوال المفسرين

"والمثل الثاني، لبطلان أعمال الكفار ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ بعيد قعره، طويل مداه ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر اللّجي، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتراكمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السّحب المدلهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم، فاشتدَّت الظلمة جدا، بحيث أنَّ الكائن في تلك الحال."[٣٤٩]

٦ - مجمع البحرين:

***قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف:٦٠].**

معاني الكلمات: "لَآ أَبْرَحُ: لا أفارق. حُقُبًا: مدة طويلة من الدَّهر ثمانون سنة أو أكثر. "[٣٥٠]

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ والأرجح أنَّ مجمع البحرين: بحر الروم وبحر القلزم. أي البحر الأبيض والبحر الأحمر- والله اعلم- ومجمعهما أي مكان التقائهما في منطقة البحيرات المرة وبحيرة التّمساح. أو أنَّه مجمع خليجي العقبة والسويس في البحر الأحمر. فهذه

---

[٣٤٨]- زغلول النجار: تفسير الآيات الكونية في القرآن، المرجع السابق، ص٢٨٣.

[٣٤٩]- السعدي، المرجع السابق، ص٦٦٦.

[٣٥٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٢٧، ٣٠٥.

المنطقة كانت مسرح تاريخ بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر. وعلى أي فقد تركها القرآن مجملة.

من أقوال المفسرين

"يخبر تعالى عن نبيه موسى عليه السلام، وشدَّة رغبته في الخير وطلب العلم، أنَّه قال لفتاه- أي: خادمه الذي يلازمه في حضره وسفره، وهو (يوشع بن نون) الذي نبأه الله بعد ذلك:- ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾- أي: لا أزال مسافرا وإن طالت علي الشّقَّة، ولحقتني المشقَّة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحي إليه أنك ستجد فيه عبدا من عباد الله العالمين، عنده من العلم، ما ليس عندك."[٣٥١]

٧ - تسخير البحار:

***قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [ابراهيم:٣٢].**

معاني الكلمات: "ٱلْفُلْك: سفينة."[٣٥٢]

ذلَّل سبحانه وتعالى السّفن والمراكب لكم؛ لتسير في البحر بأمره لمنافعكم وتحمل تجاراتكم، وذلَّل لكم الأنهار لسقياكم وسقيا دوابكم وزروعكم وسائر منافعكم.

من أقوال المفسرين

"﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾- أي: السفن والمراكب. ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ فهو الذي يسَّر لكم صنعتها وأقدركم عليها، وحفظها على تيار الماء لتحملكم، وتحمل تجاراتكم، وأمتعتكم إلى بلد تقصدونه."[٣٥٣]

***قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ...﴾ [من الآية ٧٩: الكهف].**

---

[٣٥١]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٥٩.

[٣٥٢]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢١١.

[٣٥٣]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٩٣.

وفي كل زمان وفي كل مكان هناك حكماء، تصرفهم حكمة، كلامهم حكمة، هذا الحكيم العبد الصَّالح الذي رافق موسى عليه السلام، خرق سفينة لأيتام ونتيجة هذا العيب نجت السَّفينة من أن يأخذها ذلك الملك الظَّالم غصبا. وكان الضَّرر الصَّغير الذي أصابها اتقاء للضَّرر الكبير الذي يكنّه الغيب لها لو بقيت على سلامتها.

من أقوال المفسرين

"﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾التي خرقتها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ يقتضي ذلك الرقة عليهم، والرأفة بهم."[٣٥٤]

***قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل:١٤].**

معاني الكلمات: حِلْيَةً: زينة من الذَّهب والفضَّة وغيرهما.[٣٥٥] "مَوَاخِرَ: أصل المخْر شق الماء عن يمين وشمال يقال: مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء مع صوت."[٣٥٦]

﴿وَهُوَ﴾ الواحد الأحد لا شريك له خالق الكون وما في الكون، سخَّر وأنعم، ومن نعمه البحر سخَّره للإنسان ليلبي ضرورات حياته اليومية. فمنه اللَّحم الطَّري من السَّمك وغيره للطَّعام. وإلى جواره الحلية من اللؤلؤ ومن المرجان، وغيرهما من الأصداف والقواقع التي يتحلَّى بها أقوام ما يزالون حتى الآن. وسخَّر الفلك لركوبها والانتقال قال: ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾- وهي تشق الماء وتفرق العباب. سعيا إلى الرزق والشكر للذي سخَّر لنا هذا وأنعم، وسخَّر من الطَّعام والزّينة والجمال في ذلك الملح الأجاج: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

---

[٣٥٤]- السعدي، المرجع السابق ، ص٥٦٢.

[٣٥٥]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣١٨.

[٣٥٦]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص١١٩.

من أقوال المفسرين

"أي: هو وحده لا شريك له ﴿الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ وهيأه لمنافعكم المتنوعة. ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السَّمك والحوت الذي يصطادونه منه."[٣٥٧]

***قال تعالى: ﴿رَبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ..﴾ [من الآية ٦٦: الاسراء].**

معاني الكلمات: "يُزْجِي: يدفعه ويسوقه برفق لينساق."[٣٥٨]

الآية (٦٦) من سورة الإسراء، وهي سورة مكية ماعدا الآيات (٣٢،٣٣ ، ٥٧، ومن الآية ٧٣: ٨٠) فمدنية، وعدد آياتها (١١١) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة القصص.

أما أسباب النزول: ذُكر لها (١١) سببا منهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قيل نزلت ورسول اللهﷺ مختف بمكة وكانوا إذا سمعوا القرآن سبوا القرآن ومن أنزله. فأنزل الله تعالى الآية.

محورالسورة يدور حول الدين والعقيدة والوحدانية. تميزت هذه السورة بأنها تتكلم عن القرآن بشكل تفصيلي لم يرد في باقي سور القرآن. وقد تعرّضت السورة لحادثة الإسراء التي كانت مظهراً من مظاهر التَّكريم الإلهي لـ النبي محمدﷺ.

أي ربكم الذي يدفع الفلك ويسوقه لينساق.

من أقوال المفسرين

"يذكر تعالى نعمته على العباد بما سخر لهم من الفلك والسفن والمراكب وألهمهم كيفية صنعتها، وسخَّر لها البحر الملتطم يحملها على ظهره لينتفع العباد بها في الركوب والحمل للأمتعة والتجارة. وهذا من

---

[٣٥٧]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٠٧.

[٣٥٨]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٢٥.

رحمته بعباده فإنه لم يزل بهم رحيما رؤوفا يؤتيهم من كل ما تعلقت به إرادتهم ومنافعهم."[٣٥٩]

***قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ [الشورى: ٣٢].**

معاني الكلمات: "كَٱلۡأَعۡلَٰمِ: جمع علم: ما يهتدى به، كالرَّاية والجبل."[٣٦٠]

ومن آياته سبحانه السّفن الجواري في البحر كالجبال. آية حاضرة مشهودة. آية تقوم على آيات كلها من صنع الله دون جدال.

من أقوال المفسرين

"أي: ومن أدلة رحمته وعنايته بعباده ﴿الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ﴾ من السفن، والمراكب النارية والشراعية."[٣٦١]

***قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [من الآية ٦٣: الكهف].**

معاني الكلمات: "أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ: التجانا الى الصخرة."[٣٦٢]

أراد سبحانه علاَّم الغيوب أن يبين من آياته لنبيه موسى عليه السلام قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبًا﴾ كانت آية من آيات الله لموسى، يعرف بهما موعده، بدليل عجب فتاه من اتخاذه سبيله في البحر، ولو كان يعني أنه سقط منه فغاص في البحر ما كان في هذا عجب. ويرجح هذا أنَّ الرحلة كلها مفاجآت غيبية.

من أقوال المفسرين

"﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾- أي: لما انسرب في البحر ودخل فيه، كان ذلك من العجائب."[٣٦٣]

---

[٣٥٩]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٣٨.

[٣٦٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٨٣.

[٣٦١]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٩٥.

[٣٦٢]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص١٩٨.

***قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ..﴾ [من الآية ٩٠ :يونس].**

معاني الكلمات: "بَغْيًا: ظلما وفسادا ومجاوزة للحد."[٣٦٤]

برحمة من الله ولطفه أنقذ بني إسرائيل من جبروت فرعون وملئه فشقَّ لهم البحر؛ وأنجاهم من العذاب الوحشي الفظيع. قال: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٠]

من أقوال المفسرين

"﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ وذلك أنَّ الله أوحى إلى موسى، لما وصل البحر، أن يضربه بعصاه، فضربه، فانفلق اثني عشر طريقًا، وسلكه بنو إسرائيل."[٣٦٥]

***قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه:٧٧].**

معاني الكلمات: "دَرَكًا:لحاقا وإدراكا."[٣٦٦]

﴿أَوْحَيْنَا﴾ أي أوحى سبحانه وتعالى إلى نبيه موسى أن يخرج بعباد الله- بني إسرائيل- ليلا. فيضرب لهم طريقا في البحر يبسا ويكون مطمئنا إلى أنَّ عناية الله ترعاهم فلا يخاف أن يدركه فرعون وجنوده، ولا يخشى من البحر الذي اتَّخذ له طريقا يابسا فيه! ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ ويد القدرة التي أجرت الماء وفق الناموس الذي أرادته قادرة على أن تكشفه بعض الوقت عن طريق يابس فيه.

من أقوال المفسرين

"﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ فضرب البحر بعصاه ، وقال: "

---

[٣٦٣]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٦٠.

[٣٦٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٥٤.

[٣٦٥]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٢٨.

[٣٦٦]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٤٠٢.

انفلق بإذن الله ""[٣٦٧]

***قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ﴾ [الشعراء:٦٣].**

معاني الكلمات: "فَانفَلَقَ- انفلق: انشقَّ."[٣٦٨]

الآية (٣٦) من سورة الشعراء، وهي سورة مكية، ماعدا الآية (١٩٧، ومن الآية ٢٢٤) إلى آخر السورة فمدنية، وعدد آياتها (٢٢٧)آية بعد البسملة، وكما تبين أن رسالة الأنبياء واحدة، حيث أخبر الله أنَّ الأنبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في مواضع متفرقة من السورة.

وتتحدث أيضا عن الإعلام والشعراء الذين هم رمز الإعلام خاصة في عصر النبي. كان شعراء الإسلام وسيلة تأثير هامّة في المجتمع آنذاك خاصَّة أنَّ العرب كانوا أهل شعر وفصاحة فكانت هذه الوسيلة تخاطب عقولهم بطريقة خاصَّة. فتحدثت السورة في نهايتها عن الشعراء الذين يستخدمون شعرهم في الغواية والشعراء الذين يستخدمون شعرهم في الهداية.

إنها اللَّحظة الأخيرة للنَّجاة من الطَّاغية فرعون والله هو المنقذ. وهاهو الشعاع المنير ينبثق في ليل اليأس والكرب، وينفتح طريق النَّجاة من حيث لا يحتسبون ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ﴾.

من أقوال المفسرين

"فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فضربه فَانْفَلَقَ."[٣٦٩]

***قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٠].**

معاني الكلمات: "فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ: قسَمناه."[٣٧٠]

---

[٣٦٧]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٢١.

[٣٦٨]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٦٥.

[٣٦٩]- السعدي، المرجع السابق، ص٦٩٤.

[٣٧٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٤٨.

لقد وردت في عدة آيات تفصيل هذه النَّجاة في السور المكية التي نزلت من قبل. أما في هذه الآية فهي للتَّذكير لقوم يعرفون القصَّة. ويذكرهم بها في صورة مشهد، ليستعيدوا تصورها، ويتأثروا بهذا التَّصور، وكيف كانت نجاة بني إسرائيل مع نبيهم موسى- عليه السلام- وهذه من أبرز خصائص التَّعبير القرآني العجيب.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ قيل: معناه فرقنا لكم. وقيل: فرقنا البحر بدخولكم إياه، وسمي البحر بحراً لاتساعه ."[٣٧١]

***قال تعالى: ﴿...وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ...﴾ [البقرة:١٦٤].**

من آيات الله الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وهي تجري في وسط الموج المتلاطم والزّرقة المطلقة من حولنا. والفلك سابحة متناثرة هنا وهناك. ولا شيء إلا بقدرة الله ورعايته، وإلا قانون الكون الذي جعله الله، يحمل تلك النقطة الصَّغيرة على ثبج الأمواج وخضمها الرَّعيب. إلا بإذنه ومشيئته.

من أقوال المفسرين

"﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ وهي السّفن والمراكب ونحوها، مما ألهم الله عباده صنعتها، وخلق لهم من الآلات الدَّاخلية والخارجية ما أقدرهم عليها."[٣٧٢]

"﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ أي: في تسخير البحر لحمل السفن من جانب إلى جانب لمعاش الناس ، والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ، ونقل هذا إلى هؤلاء وما عند أولئك إلى هؤلاء."[٣٧٣]

---

[٣٧١]- البغوي، المرجع السابق، ص٥٨.

[٣٧٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٧٦.

[٣٧٣]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٢٢٥.

***قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة:٩٦].**

معاني الكلمات: "وَلِلسَّيَّارَةِ: المسافر."[٣٧٤]

الآية (٩٦) من سورة المائدة، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (١٢٠) آية بعد البسملة. بدأت سورة المائدة بأسلوب نداء. نزلت زمنياً بعد سورة الفتح.

سُميت بهذا الاسم لأنها إحدى معجزات سيدنا عيسى إلى قومه عندما طلبوا منه أن ينزل الله عليهم مائدة من السَّماء ليأكلوا منها وتطمئن بها قلوبهم.

أما أسباب النزول: ذُكر لها (٢٤) سببا منهم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول اللهﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ "فأنزل الله تعالى الآية."[٣٧٥]

أما محور السورة الكريمة فقد تناولت كسائر السور المدنية جانب التَّشريع.

ذكر سبحانه وتعالى بأنَّ حيوان البحر حلال صيده وحلال أكله للمحرم ولغير المحرم سواء.

من أقوال المفسرين

"قال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾- أي: أُحلَّ لكم -في حال إحرامكم- صيد البحر، وهو الحي من حيواناته، وطعامه، وهو الميت منها، فدل ذلك على حل ميتة البحر."[٣٧٦]

***قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ..﴾ [من**

---

[٣٧٤]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٣٦٥.

[٣٧٥]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٢١١.

[٣٧٦]- السعدي، المرجع السابق، ص٢٧١.

الاية١٣٦ :الأعراف].

معاني الكلمات: "حَاضِرَةَ الْبَحْرِ: قريبة منه." [٣٧٧]

أي اسأل بني اسرائيل عن القرية التي كانت قريبة من البحر.

من أقوال المفسرين

"﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ أي: اسأل بني إسرائيل عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ- أي: على ساحله في حال تعديهم وعقاب اللّه إياهم."[٣٧٨]

***قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ..﴾ [من الآية ٦٧ :الإسراء].**

معاني الكلمات: "الضُّرُّ: سوء حال، أو فقر، أو شدة في بدن."[٣٧٩]

أي إِذَا مسَّكم سوء الحال ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

من أقوال المفسرين

"إذا مسَّهم الضر في البحر فخافوا من الهلاك لتراكم الأمواج ضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في حال الرَّخاء من الأحياء والأموات. [٣٨٠]"

***قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].**

معاني الكلمات: "مِدَادًا: سائلا يُكتَب به. لَنَفِدَ الْبَحْرُ: فَني مَاؤُه. جِئْنَا: أتينا."[٣٨١]

لن يخطر على بال إنسان أنَّ البحر بسعته وشساعته وعمقه أن يكون مدادا يكتب به ويسجل به عمله الذي يعتقد أنَّه غزير! يكتب به كلمات الله الدَّالة على علمه؛ فإذا البحر ينفد وكلمات الله لا تنفد. ثم إذا

---

[٣٧٧]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٩٩.

[٣٧٨]- السعدي، المرجع السابق، ص٣٤٧.

[٣٧٩]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٦٩٥.

[٣٨٠]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٣٨.

[٣٨١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٣٨، ١١١٣، ٢٦٢.

هو يمدهم ببحر آخر مثله، ثم إذا البحر الآخر ينفد كذلك وكلمات الله تنتظر المداد.

من أقوال المفسرين

"أي: قل لهم مخبرا عن عظمة الباري، وسعة صفاته، وأنها لا يحيط العباد بشيء منها: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾- أي: هذه الأبحر الموجودة في العالم ﴿مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾- أي: وأشجار الدنيا من أولها إلى آخرها، من أشجار البلدان والبراري، والبحار، أقلام، ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ وتكسرت الأقلام.[٣٨٢]"

***قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..﴾ [من الاية٦٣ : الأنعام].**

معاني الكلمات: "يُنَجِّيكُم: ينقذكم."[٣٨٣]

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ كل إنسان مخلوق يعي فوق الأرض يقع في ضيقة، أو رأى من وقع في كرب وضيق وظلمات البر والبحر كثيرة. وليس ظلمات الليل. فالمتاهة ظلام، والخطر ظلام، والغيب الذي ينتظر الخلق في البر والبحر حجاب. وحيثما وقع الناس في ظلمة من ظلمات البر والبحر لم يجدوا في أنفسهم إلاَّ الله يدعونه متضرعين أو يناجونه صامتين.

من أقوال المفسرين

"﴿قُلْ﴾ للمشركين بالله، الدَّاعين معه آلهة أخرى، ملزما لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، على ما أنكروا من توحيد الإلهية ﴿مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾- أي: شدائدهما ومشقاتهما."[٣٨٤]

***قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٩٧].**

معاني الكلمات: "فَصَّلْنَا: بيَّنا ووضَّحنا."[٣٨٥]

---

[٣٨٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٦٨.

[٣٨٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٧٩.

[٣٨٤]- السعدي، المرجع السابق، ص٢٨٩.

﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ سبحانه عالم الغيب ﴿جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا﴾ الظلمات والمتاهات وعدم القدرة في البر والبحر وبالنجوم يهتدي فيها البشر. وتضيء له الأماكن المظلمة بفضل تسخيرا ته سبحانه.

من أقوال المفسرين

"﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حين تشتبه عليكم المسالك، ويتحير في سيره السَّالك، فجعل الله النجوم هداية للخلق إلى السُّبل، التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم، وتجاراتهم، وأسفارهم."[٣٨٦]

✓ **اليم:**

***قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه:٧٨]. وقال: ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٣٦]. وقال: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ..﴾ [من الآية٤٠ القصص].**

معاني الكلمات: "فَغَشِيَهُم: غطاهم وغمرهم. الْيَمِّ: البحر مِلْحا كان ماؤه أم عذبا. فَنَبَذْنَاهُمْ- نَبَذ: طرح."[٣٨٧]

أما اليم فهو الجزء من ماء البحر والقريب من الساحل الذي غرق فيه الطَّاغية فقد اتَّبع موسى ومن معه لكن قدرته سبحانه هكذا غشي ما غشي فرعون وقومه. وهذا آخر كلام ضربة واحدة، فإذا هم هالكون. ومن التَّعالي والتَّطاول والاستكبار، إلى الهويّ في الأعماق والأغوار. وهو الجزاء لمن كذَّب الرسل. فأخذناه وجنوده أي فرعون وطرحناهم في اليم.

من أقوال المفسرين

"قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ﴾ أي: البحر

---

[٣٨٥]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ٨٥٥.

[٣٨٦]- السعدي، المرجع السابق، ص٢٩٧.

[٣٨٧]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٨١٤، ١٢٢٠، ١٠٧٧.

﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: الذي هو معروف ومشهور . وهذا يقال عند الأمر المعروف المشهور."[٣٨٨]

"﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: حين جاء الوقت المؤقت لهلاكهم."[٣٨٩]

"﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ﴾ عندما استمر عنادهم وبغيهم."[٣٩٠]

***قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي..﴾ [من الآية ٧ :القصص]. وقال: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ.. ﴾ [من الآية ٣٩:طه].**

معاني الكلمات: "أَوْحَيْنَا: ألهمنا.اقْذِفِيهِ: القيه. التَّابُوتِ: الصندوق."[٣٩١]

وهنا يبدأ الحنان الفطري للأم وعطفها على ابنها الرَّضيع وها هي خائفة حائرة به، خائفة عليه، تخشى أن يصل نبؤه إلى الذين قال فيهم جل وعلا: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، ترتجف، والخوف يسكن قلبها، عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن كتم صوته الفطري، وهنا تتدخَّل يد القادر المقتدر، وتلقي في روعها كيف تعمل، وتوحي إليها بالتَّصرف. ياأم موسى لا تخافي ولا تحزني أرضعيه. فإذا خفت عليه وهو في حضنك. ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾! ! وهنا تبدأ الغرابة! ولكنها تطمئن لأنَّه في رعاية اليد التي لا أمن إلاَّ في جوارها، اليد التي لا خوف معها ولا حزن.

﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ قُذف التَّابوت بالطّفل الرَّضيع في اليم. ثم بعد هذا العمل الشَّاق المُخيف إلقاء التَّابوت على السَّاحل سبحانك علاَّم الغيوب.؟ وأين يذهب التَّابوت المقذوف فيه طفل

---

[٣٨٨]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٢١.

[٣٨٩]- السعدي، المرجع السابق، ص٣٤١.

[٣٩٠]- المرجع نفسه، ص٧٢٣.

[٣٩١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١١٦٨، ٨٨٨، باب التاء.

رضيع ومن يتسلمه؟ وتظهر هنا قوة الخالق وعزته وكرمه ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾.

من أقوال المفسرين

"وكان في وقت تلك المخافة العظيمة، التي يذبحون بها الأبناء، أوحى إلى أمه أن ترضعه، ويمكث عندها. ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ بأن أحسست أحدا تخافين عليه منه أن يوصله إليهم، ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ أي نيل مصر، في وسط تابوت مغلق."[٣٩٢]

***قال تعالى: ﴿.. لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [من الآية ٩٧:طه].**

معاني الكلمات: "لَنَنسِفَنَّهُ- نسفا: تذرية."[٣٩٣]

أما على عجل (السَّامري[٣٩٤]) ، فيحرق وينسف ويلقى في الماء.

من أقوال المفسرين

"﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ ففعل موسى ذلك، فلو كان إلها، لامتنع ممن يريده بأذى ويسعى له بالإتلاف، وكان قد أشرب العجل في قلوب بني إسرائيل، فأراد موسى عليه السلام إتلافه وهم ينظرون، على وجه لا تمكن إعادته بالإحراق والسَّحق وذريه في اليم ونسفه."[٣٩٥]

***

[٣٩٢] - السعدي، المرجع السابق، ص١٣٤.

[٣٩٣] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٩٣.

[٣٩٤] - السَّامري: رجل ينتمي إلى السامرة: إحدى قبائل بني إسرائيل، من قوم موسى، فتن قوم موسى أثناء غيبته، وصنع لهم عجلا تصدر منه أصوات غريبة بفعل الرياح، ودعاهم إلى عبادته فعبدوه، ولما رجع موسى كشف عن حيلته ونفاه.(انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٩٠.)

[٣٩٥] - السعدي، المرجع السابق، ص ٥٩٦.

٤-الفصل الرابع: الظواهر الفلكية في القرآن الكريم
٤-١ المبحث الأول: الكواكب والنُّجوم والشَّمس والقمر
٤-٢ المبحث الثَّاني: اللَّيْل وَالنَّهَار
٤-٣ المبحث الثالث: الكُسُوف و الخُسُوف
٤-٤ المبحث الرابع: الشُّهب والنَّيازك
٤-٥المبحث الخامس: الزَّمان والمكان في القرآن الكريم

٤-الفصل الرابع: الظواهر الفلكية في القرآن الكريم

٤-١ المبحث الأول: الكواكب والنُّجوم والشَّمس والقمر

✓ **الكواكب**

***قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].**

الآية (٦) من سورة الصافات، وهي سورة مكية إلاَّ الآيات (٢٣) حتى (٢٧) فهي مدنية، وعدد آياتها (١٨٢) آية بعد البسملة، والصَّافات هم جموع الملائكة الذين يعبدون الله في صفوف، نزلت بعد سورة الأنعام وتسمَّى سورة الزّينة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾. أي زيَّنها سبحانه وتعالى بضوئها، وهذا الضَّوء سمَّاه سبحانه (زينة)، والزّينة في هذا ليست صفة لازمة للأجسام، محلها السّطوح، وليست باطنها، فقال سبحانه: ﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾. ولم يقل بالكواكب، فيعني هذا أنَّ ضوء الكواكب الذي هو زينتها وليس من ذاتها ولا جزءا منها، بل هو عارض عليها، تفيد هذه الإشارة أنَّ الكواكب مظلمة تضيء بضياء غيرها. (النجوم).

تستهل الآية الكريمة لتخبرنا عن زينة السَّماء؛ لندرك نحن البشر أنَّ الجمال عنصر مقصود في بناء هذا الكون الممدود؛ وأن صنعة الصَّانع فيه بديعة التكوين جميلة التَّنسيق؛ وأنَّ الجمال فيه فطرة عميقة لا عرض سطحي؛ وأنَّ تصميمه قائم على جمال التَّكوين كما هو قائم على كمال

الوظيفة سواء بسواء. فكل شيء فيه بقدر، وكل شيء فيه يؤدي وظيفته بدقَّة. والكواكب: السَّماوية التي تلمع في الليل وهي أقسام: منها العظيم، ومنها دونه، فمنها الكواكب السيارة، ومنها الثَّوابت، ومنها قطع تدور حول الشَّمس. وفي الكواكب حكم؛ منها أنها تكون زينة للسَّماء في الليل.

١- **كوكب عطارد:** وهو أقرب الكواكب إلى الشَّمس ويبعد عنها ٣٦ مليون ميل، ويدور حولها مرة كل ٨٨ يوما أرضيا -السَّنة العطاردية- ويدور حول نفسه مرة كل ٢٩ يوما.

٢- **كوكب الزهرة:** الزهرة أو قينوس رمز الجمال لأنها أكثر الكواكب تألقا ولمعانا، حجمه تقريبا يساوي حجم الأرض وكثافته ٠.٨١ من كثافة الأرض وكتلته ٠.٨١ من كتلة الأرض، يدور حول الشَّمس في مدة ٢٢٥ يوما أرضيا وعلى بعد قدره ٦٨مليون ميل.

عالمان شقيقان: الأرض مجردة من المحيطات والزهرة بغلافها الجوي الكثيف. ربما بدأ العالمان في ظروف متشابهة ولكنهما تطورا في اتجاهين مختلفين.

ك.ك الأرض

٣- **كوكب المريخ:** يدور في فلكه خارج نطاق فلك الأرض ويبعد عن الشَّمس ١٤٢ مليون ميل ويتم دورته في ٦٨٧ يوما أرضيا، أي أنَّ السَّنة المريخية تساوي سنتين من سنوات الأرض.

٤- **كوكب المشتري:** هو عملاق الكواكب في المجموعة الشَّمسية، كتلته ٢٠٥ مرة قدر كتلة الكواكب كلها ٣١٧٠ مرة قدر كتلة الأرض وحجمه يسع حجم جميع الكواكب.

٥- **كوكب زحل:** حجمه ٧٦٠ مرة حجم الأرض وكتلته ٩٥ مرة قدر كتلة الأرض كثافته ٠.٧١٥ جم/سم٢. يدور ومعه حلقاته حول الشَّمس.

الحلقات المتعددة لزحل في ألوان زائفة مبالغ فيها. مع إدخال كوكب الأرض إلى المقياس. لاغراض المقارنة. صورة من فويجر. -من ك.ك الأرض-

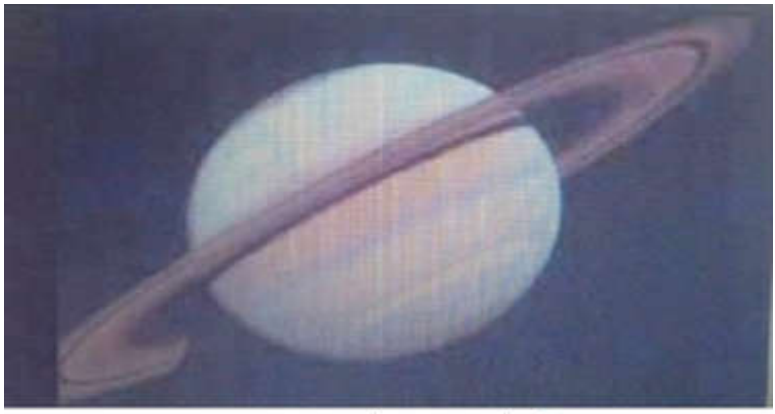

كوكب زحل بألوان زائفة مبالغ فيها. كما شاهدته فويجر

٧- **كوكب أورانوس:** اكتشف بعد اختراع التليسكوب عام ١٧٨١ كتلته ١٥ مرة كتلة الأرض ويبعد عن الشَّمس ١٧٨٠ مليون ميل، ويدور حولها مرة كل ٤٨ سنة أرضية كما يدور حول محوره مرة كل ١١ ساعة.

كوكب اورانوس مع أقماره الخمسة الكبيرة. صورة بطريقة المونتاج. عن طريق السفينة فويجر سنة ١٩٨٦. الأقمار من اليمين إلى اليسار/ تيتانيا- ميراندا- اوبرون- ك.ك الارض

٨- **كوكب نيبتون:** تم اكتشافه عام ١٨٤٦م كتلته أكثر من كتلة الأرض ب١٧ مرة ويبعد عن الشَّمس ٢٧٩٠ مليون ميل ويدور حولها مرة كل ١٦٥ سنة أرضية، ويدور حول نفسه مرة كل ١٦ ساعة أرضية.

٩- **كوكب بلوتو:** تم اكتشافه عام ١٩٣٠م وهو صغير الحجم كتلته ٠.١٨ من كتلة الأرض ويبعد عن الشَّمس ٣٦٧٠ مليون ميل ويدور حولها في ٢٤٨ سنة أرضية، ويدور حول نفسه ٦ أيام أرضية. "وصنفه الاتحاد الفلكي عام ٢٠٠٦ بأنَّه أحد الكواكب القزمة، ويقدر قطره ب٢٥٠٠كم، وله ٥ أقمار."[٣٩٦]

١٠- **الكوكب المجهول اكس:** توقع العالم الفلكي جوزيف برادي عام ١٩٧٢ بإجراء حسابات بالعقل الالكتروني بعد ٦٢٠٠ مليون من الشَّمس ويدور حولها في ٤٦٤ سنة أرضية وكتلته تساوي كتلة زحل ٣ مرات.

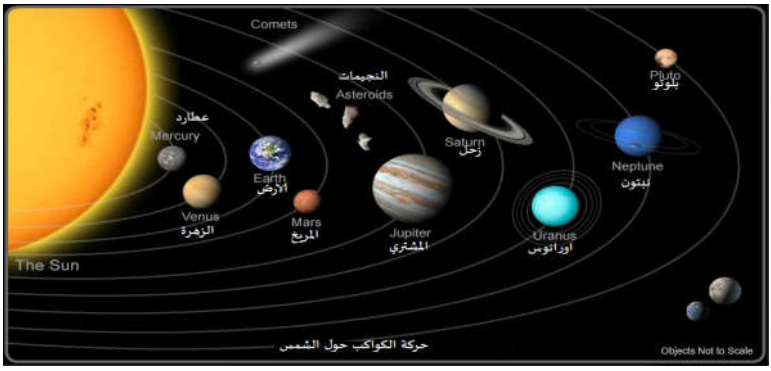

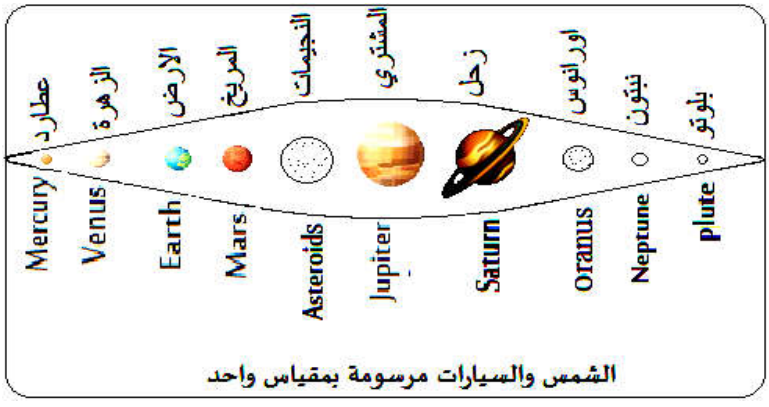

[٣٩٦] - حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص٦٣.

من أقوال المفسرين

"﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ ذكر اللّه في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين: إحداهما: كونها زينة للسَّماء، إذ لولاها، لكانت السَّماء جرما مظلما لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير أرجاؤها."[٣٩٧]

"﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾، قرئ بالإضافة وبالبدل، وكلاهما بمعنى واحد، فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوءها جرم السَّماء الشفاف، فتضيء لأهل الأرض."[٣٩٨]

"خمسة من السَّيَّارات كان يعرفها القدماء- عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل. ولا شك في أنهم كانوا يجهلون أنَّ الأرض سيَّارة سادس. هذَا وقد اكتشف في الأزمنة الحديثة ثلاثة سيَّارات أخفى كثيرا من السَّابقة هي أورانوس وقد اكتشف سنة ١٧٨١، ونبتون سنة ١٨٤٦، وبلوتو سنة ١٩٣٠."[٣٩٩]

- الكواكب في الآيات القرآنية

***قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير:١٥-١٦].**

معاني الكلمات: "بِٱلۡخُنَّسِ: الكواكب السَّيَّارة لأنها تختفي وتغيب. ٱلۡكُنَّسِ: الكواكب التي تختفي أحيانا في مدارها." [٤٠٠]

تستهل هذه الآية بالإشارة إلى الكواكب التي تمتاز باختفائها وظهورها وتواريها وسفورها فالخنَّس لغويا الرجوع والكنَّس الاختفاء، فالكواكب هي

---

[٣٩٧] - السعدي، المرجع السابق، ص٨٢٣.

[٣٩٨] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٥٨٠.

[٣٩٩] - سير جيمس جينز: النجوم في مسالكها- ترجمة عبدالسلام الكرداني- مطبعة دار الكتب المصرية- القاهرة ط١- ١٩٣٣- ص٢٠. (سير جيمس جينز (بالإنجليزية: James Hopwood Jeans): هو عالم فلك بريطاني (ولد في ١١ سبتمبر ١٨٧٧ في مقاطعة لانكشير، عمل في مجالات الفيزياء والرياضيات وعلم الفلك. من أشهر إنجازاته تعيين كتلة جينس وهي أقل كتلة لسحابة من الغاز و الغبار الكوني يمكن أن يتكون منها نجم. توفي في سبتمبر عام ١٩٤٦ بمدينة دوركينج).

[٤٠٠] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٨١، ٩٨٥.

(الجواري) التي تجري حول الشَّمس وهي (الخنَّس والكنَّس).

من أقوال المفسرين

"﴿ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ والكنَّس هنا من الكنس، لأنها حقا مكانس السَّماء. وأذهلني أن أحدا عالما أمريكيا يصف الثقوب السود بقوله: -هذه مكانس السَّماء (الشَّاقطة العملاقة)، وتعبير القرآن الكريم لهذه الحالة من حالات النجوم بوصف –نجم خانس كانس- أبلغ ألف مرة."[٤٠١]

"أقسم تعالى: ﴿بِالْخُنَّسِ﴾ وهي الكواكب التي تخنس- أي: تتأخر عن سير الكواكب المعتاد إلى جهة المشرق."[٤٠٢]

"قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ قال هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل."[٤٠٣]

***قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الانعام:٧٦].**

معاني الكلمات: "جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ: ستره. ٱلۡأٓفِلِينَ: الغائبين."[٤٠٤]

تستهل الآية الكريمة لتحكي عن النبي إبراهيم عليه السلام، وقد راوده الشَّك- بل الإنكار الجازم- لما يعبد أبوه وقومه من الأصنام. وقد باتت قضية العقيدة هي التي تشغل باله،صورة يزيدها التَّعبير القرآني شخوصا بقوله سبحانه جل وعلا: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ أي: ستره كأنَّما الليل يحتويه وحده، وكأنَّما يعزله عن الناس حوله، ليعيش مع نفسه وخواطره وتأمّلاته، ومع همه الجديد الذي يشغل باله ويزحم خاطره. إنَّه التَّفكير في خالق هذا الكون العجيب، الذي تدور أجرامه في أفلاكها، فدورانها وغيابها هو الذي جعل الخليل يتأكَّد أنَّ خالق هذا الكون الدَّوار لا يغيب. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ

---

[٤٠١] - زغلول النجار: من آيات الإعجاز العلمي (السماء) ، المرجع السابق، ص٦٦.

[٤٠٢] - السعدي، المرجع السابق، ص١٠٧٦.

[٤٠٣]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٦٧.

[٤٠٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٤٦، ٥٥.

لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾.

جعل الخليل يتأكَّد أنَّ خالق هذا الكون الدَّوار لا يغيب. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ أي : تغشَّاه وستره ﴿رَءَا كَوۡكَبٗاۖ﴾ أي: نجما."[٤٠٥]

***قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤].**

الآية (٤) من سورة يوسف، وهي سورةمكية، وعدد آياتها (١١١) آيةً بعد البسملة، نزلت بعد سورة هود.

سميت باسم نبي الله يوسف لاشتمالها على قصَّته، وهو الاسم الوحيد لها، قيل أنها أول سورة نقلت من مكة إلى المدينة.

أما أسباب النزول: فقد قيل في قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ أنزل القرآن على رسول اللهﷺ فتلاه عليهم زمانا، فقالوا يا رسول الله لو قصصت، فأنزل الله: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾.

ومن مقاصد السّورة إجمالاً عَرْض العجائب الَّتي تتضمّنها: من حديث يوسف ويعقوب، والوقائع الَّتي في هذه القصّة.

من أقوال المفسرين

"قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ فكانت هذه الرؤيا مقدمة لما وصل إليه يوسف عليه السلام من الارتفاع في الدنيا والآخرة."[٤٠٦]

---

[٤٠٥]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٦٩٩.

[٤٠٦]- السعدي، المرجع السابق، ٤٥٣.

***قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار:٢].**

معاني الكلمات: "ٱنتَثَرَتْ: تفرقت."[٤٠٧]

الآية (٢) من سورة الانفطار، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (١٩) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة النَّازعات.

تستهل الآية الكريمة بانتثار الكواكب أي تفرقت وتساقطت.

من أقوال المفسرين

"﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ أي تساقطت."[٤٠٨]

✓النجوم

"تجمعت سحب الهيليوم والهيدروجين وتحولت إلى نجوم لها قوة جاذبية." [٤٠٩]

وصف سبحانه وتعالى النجوم بالثَّواقب، وهذا يدل على أنها أجرام نارية مضيئة بذاتها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾ [الانعام٩٧]. وقال: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل١٦]. بما يشير بأن ضيائها من ذاتها، وكما وصفها بالطَّارق أي المتحرك ليلا ونهارا في السَّماء، وأن بعدها عن الأرض ساحق، ولهذا تُرى ثابتة.

وذكر سبحانه النجوم في ثلاث عشرة آية. وتكوين النجوم مختلف عن تكوين الكواكب.

وقسم أهل الاختصاص النجوم حسب خصائصها إلى:

أولا- نجوم التَّتابع الرئيسى أو النجوم العادية:

من هذه النجوم ما يمتاز باحمرار اللَّون وبانخفاض درجة حرارة سطحه، ويكون ضعيف اللَّمعان وضئيلا في القدرة الشَّمعية وصغيرا في الحجم والوزن عن الشَّمس.

---

[٤٠٧]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٧٧.

[٤٠٨]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٦٩.

[٤٠٩]- عبدالله فؤاد، المرجع السابق، ص١٥.

ثانيا- النجوم الحمراء الماردة والأقزام البيضاء:

أما المردة الحمر: له قدرة شمعية عظيمة تقدر بآلاف المرَّات قدر قدرة الشَّمس وترى لامعة في السَّماء ولكن درجة حرارتها ضعيفة. أما الأقزام البيضاء: صفاتها على عكس صفات المردة الحمر، حيث تكون القدرة الشَّمعية ضئيلة، وهي تُرى ضعيفة اللَّمعان. وتكون درجة سطوحها كبيرة.

***قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٦].**

معاني الكلمات: "بِمَوَٰقِعِ: جمع موقع، وهو مكان الوقوع. عَظِيمٌ: مبالغة في العظم.[٤١٠]"

الآيتان (٧٥و ٧٦) من سورة الواقعة، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٩٦) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة طه.

أما أسباب النزول: ذُكر لها (٠٣) أسباب منهم قوله تعالى: ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾ نظر المسلمون إلى وجّ- وهو واد مخصب بالطَّائف- فأعجبهم سدرة، فقالوا: يا ليت لنا مثل هذا، فأنزل الله تعالى الآية.

ومن موضوعات السورة البعث. ثم خلق الإنسان من مني يمني. ويعرض موتهم ونشأة آخرين مثلهم من بعدهم في مجال التَّدليل على النَّشأة الأخرى، التي لا تخرج في طبيعتها ويسرها عن النَّشأة الأولى، التي يعرفونها جميعا. ثم صورة الحرث والزَّرع، ثم صورة الماء العذب الذي تنشأ به الحياة كلها. وتعرض صورة النَّار التي يوقدون، وأصلها الذي تنشأ منه الشَّجر. ثم تختم في النهاية بمشهد الاحتضار.

"مما يدل على عظمة السّر المودع في هذا القسم مواقع النجوم، تحدد المسافات الشَّاسعة بينها، وبهذِا فإنَّ القسم يقصد بالتَّأكيد عظمة هذِه المسافات من ناحية، وأهمية المسافة الفاصلة بن النجوم التي تحدّد

---

[٤١٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١١٩٤، ٧٧١.

قوة التَّجاذب بينها من ناحية أخرى." [٤١١] اتَّفق العلماء وبعد أبحاث معمَّقة على قياس المسافات الفلكية بالسَّنة الضَّوئية وهي المسافة التي يقطعها الضَّوء بسرعة ٣٠٠.٠٠٠ كيلو / الثانية. وعلما بأنَّ الشَّمس تبعد عن الأرض ب ٩٣ مليون ميل، وأقرب النجوم إلى الشَّمس يبعد ب ٢٦ مليون ميل. وقلب العقرب ب ٢٧٠ سنة ضوئية، والنجم القطبي ٤٠٠ سنة ضوئية، وأما نجم الشّعري، فيبعد عنا ب ٩ سنوات ضوئية، ومنكب الجوزاء ١٦٠٠ سنة ضوئية. ولقد ثبت علميا أنَّ أقرب النجوم إلينا هو نجم قنطوروس الذي يبعد عنَّا بحوالي ٢٥.٨ مليون مليون ميل، أي ما يساوي ٤.٣ سنة ضوئية. فالقسم القرآني العظيم بمواقع النجوم يشير إلى حقائق كونية مبهرة، فإنَّ الأبعاد الشَّاسعة التي تفصل النجوم على أرضنا، فنحن لا نرى النجوم بحد ذاتها وإنما نرى مواقعها، فهي تتحرَّك في خطوط منحنية ونحن نرى آخر نقطة انحنى إليها ضوءه، فنرى موقعا وهميا غير الذي انبثق منه الضَّوء. أليس هذا: ﴿قَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾؟.

من أقوال المفسرين

"ويعجب الإنسان من هذا القسم المغلظ بمواقع النجوم، والنجم من أعظم خلق الله في الكون، فالنجم عبارة عن كتلة من الغاز، ملتهبة، مشتعلة، مضيئة بذاتها، تظل شعلتها لملايين السنين دون أن تنطفئ بسبب عدد من التَّفاعلات النَّووية المعروفة باسم- عملة الاندماج النَّووي- تتَّحد فيها نوى العناصر الخفيفة مثل غاز الإيدروجين مع بعضها البعض لتكون نوى العناصر الأثقل بالتَّدرج... لأنَّ مواقعها عظيمة." [٤١٢]

***قال تعالى: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطَّارق:٣].**

معاني الكلمات: "ٱلثَّاقِبُ- ثاقب: مضيء نافذ في الظلمات بضوئه." [٤١٣]

---

[٤١١] - منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٦٠.

[٤١٢] - زغلول النجار: من آيات الإعجاز العلمي (السماء)، المرجع السابق، ص٤٠.

[٤١٣] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٠٣.

الآية (٣) من سورة الطَّارق، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (١٧) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة البلد.

ومن مشاهدها: الطَّارق، والثَّاقب، والدَّافق، والرَّجع، والصَّدع، سُمّيت بهذا الاسم، لورود لفظ (الطَّارق) في مستهلها.

ومن مقاصدها الإيمان بالملائكة. الإيمان بالبعث. الإيمان بالقرآن. وتشير الآية الكريمة إلى آية من الآيات الكونية، ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ (الثاقب[٤١٤]) والذي له ميزتان، الأولى أنه قادر على الطرق والثانية على أنّه قادر على إحداث ثُقب بما عُطف عليه، وحيث أنَّ الطَّارق عُطِف على السَّماء، فإنَّ هذا النجم يجب أن يكون قادراً على إحداث ثقب في السَّماء! ولكن كيف يستطيع النجم أن يثقب السَّماء؟ وهو النجم المضيء الذي يثقب الظَّلام بضيائه.

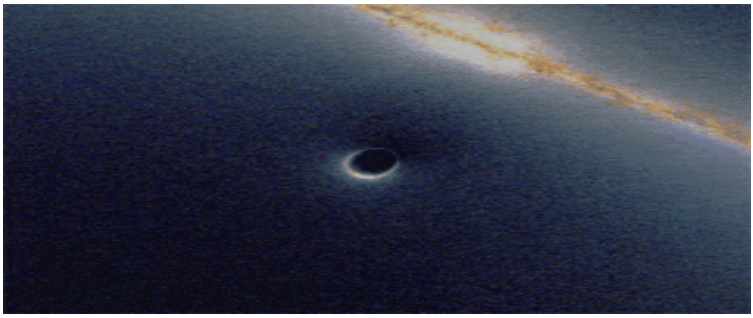

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ أي: المضيء، الذي يثقب نوره، فيخرق السَّماوات."[٤١٥]

"وقوله تعالى: ﴿الثَّاقب﴾ قال ابن عباس المضيء وقال السدي يثقب الشَّياطين إذا أرسل عليها وقال عكرمة هو مضيء ومحرق للشَّيطان."[٤١٦]

---

[٤١٤] - الثَّاقب: قال الزمخشري: ثقب الشيء بالمثقب، ودر مثقب، ومن المجاز كوكب ثاقب، دري: شديد الإضاءة والتَّلألؤ، كأنه يثقب الظلمة. (انظر حنفي احمد، المرجع السابق- ص١٣٩.).

[٤١٥] - السعدي، المرجع السابق، ص١٠٨٥.

***قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١].**

معاني الكلمات: "هَوَىٰ: سقط في مغربه.[٤١٧]"

الآية (١) من سورة النجم، وهي سورة مكية، وعدد آياتها(٦٢) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة الإخلاص.

أما أسباب النزول: ذُكر لها (٠٣) أسباب منها قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل: كانت اليهود تقول اذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق فبلغ ذلك النبيﷺ فقال: «كذبت اليهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنَّه شقي أو سعيد». فأنزل الله تعالى: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾.

تعالج هذه السورة القرآنية مسألة الإيمان بالوحي وتبين الفرق الجلي بين الرسالات السَّماوية والأفكار التي يبتدعها عباقرة الفكر منال البشر.

وموضوع السورة الذي تعالجه هو موضوع السور المكية على الإطلاق: العقيدة بموضوعاتها الرئيسية.

وتستهل الآية الكريمة بدوران الكواكب حول النجم، وتبين دوران كواكب المجموعة الشَّمسية القريبة من الشَّمس ودورانها حولها بسرعة حتى لا تسقط فيها، وأما الكواكب البعيدة فتدور حول الشَّمس ببطء حتى لا تفلت منها، ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾.

من أقوال المفسرين

"قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أي اقسمُ بالنجم وقت سقوطه من علو."[٤١٨]

***قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام:٩٧].**

---

[٤١٦]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٨٣.

[٤١٧]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١١٥٥.

[٤١٨]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٢٧٢.

معاني الكلمات: "فَصَّلْنَا: بيَّنا ووضَّحنا."[٤١٩]

تستهل الآية الكريمة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي﴾ أي سبحانه وتعالى القادر المقتدر خالق كل شيء الذي خلق لكم النجوم في السَّماء لتهتدوا بها وتنير لكم المسالك والطرق والفجاج في أسفاركم إذا اشتبهت عليكم في البر والبحر، ولقد بيَّنا الأدلة والبراهين الدَّالة على قدرتنا، لقوم يتدبَّرون تلك الأدلة والبراهين فيستفيدون منها.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ قال بعض السَّلف : من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله: أن الله جعلها زينة للسَّماء، ورجوما للشَّياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر."[٤٢٠]

***قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ ..﴾ [من الآية ١٨ :الحج].**

ألم تعلم- أيها الرسول- أن الله سبحانه عالم الغيب والشَّهادة وخالق الكون. يسجد له خاضعًا منقادًا مَن في السَّموات من الملائكة ومَن في الأرض من المخلوقات والشَّمس والقمر والنجوم والجبال والشَّجر والدَّواب؟ ولله يسجد طاعة واختيارًا كثير من الناس، وهم المؤمنون، وكثير من الناس حق عليه العذاب فهو مهين، وأيُّ إنسان يهنه الله فليس له أحد يكرمه. إن الله يفعل في خلقه ما يشاء وَفْقَ حكمته.

من أقوال المفسرين

"﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: من الملائكة في أقطار السَّماوات، والحيوانات في جميع الجهات، من الإنس

---

[٤١٩] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٥٥.

[٤٢٠] - ابن كثير، المرجع السابق، ص٧٠٦.

والجن والدَّواب والطَّير."[٤٢١]

***قال تعالى: ﴿..وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [من الآية ٥٤الاعراف]. وقال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل :١٥]. وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ ..﴾ [من الآية ١٢:النحل]. وقال: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن:٦].**

معاني الكلمات: "وَعَلَٰمَٰتٖۚ: أمارات تعرف بها الأشياء."[٤٢٢]

عن النبي ﷺ، أنَّه قال: «يُؤتى بالعبد يوم القيامة، فيقول الله له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخّرت لك الأنعام والحرث، وتركتك ترأس وتربع، فكنت تظنّ أنّك ملاقي يومك هذا؟ فيقول: لا، فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني».[٤٢٣]

وهذا يعني أنَّ السّؤال يشمل ما سخّره الله للإنسان ولم يستفد منه؛ فالتقصير في الانتفاع مما سخّر الله تعالى صفة من يكذّب بلقاء الله يوم القيامة ولا يهتدي إلى وحدانيته. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧].

من أقوال المفسرين

"﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾- أي: بتسخيره وتدبيره، الدَّال على ما له من أوصاف الكمال، فخلْقُها وعظَمُها دالٌّ على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضَّرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنَّه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلاَّ له."[٤٢٤]

---

[٤٢١] - ابن كثير، المرجع السابق، ص ١٢٦٥

[٤٢٢] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٨٤.

[٤٢٣] - روى الحديث الترمذي وقال حديث صحيح ٦١٨/٤ رقمه: ٢٤٢٨.

[٤٢٤] - السعدي، المرجع السابق، ص٣٢٨.

***قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩].**

معاني الكلمات: "وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ: وقت إدبارها وغروبها.[٤٢٥]"

تستهل الآية الكريمة لتبين أمره سبحانه وتعالى لرسول اللهﷺ بالتَّسبيح وقت غروب النجوم لحكمة يعلمها علاَّم الغيوب.

من أقوال المفسرين

"ففيه الأمر بقيام الليل، أو حين تقوم إلى الصَّلوات الخمس، بدليل قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾- أي: آخر الليل، ويدخل فيه صلاة الفجر، والله أعلم."[٤٢٦]

***قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير:٢]. وقال: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ [المرسلات:٨].**

معاني الكلمات: "ٱنكَدَرَتۡ: تساقطت. طُمِسَتۡ: ذهب ضوؤها.[٤٢٧]

تستهل الآية الأولى انكدار النجوم، وفي الآية الثانية طمس النجوم. فالنجم كما هو معروف جرم سماوي، مضيء، ومن أسباب الاشتعال الاندماج النَّووي بداخله، يتحول لب هذَا النجم إلى حديد ويسلك مسلكا من اثنين حسب كتلته، فأما الانفجار آو يتكدس على ذَاته، ونتيجة لعملية التَّكديس يبلغ مبلغا لا سمح فيه للضوء أن ينفلت منه فلا يرى، ويمر بمرحلة انكدار، وينطفئ ثم ينطفئ إلى أن يختفي بالكامل. والله يقول: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ ويقول:﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾.

من أقوال المفسرين

"إذا انكدر النجم خبت جذوته، وإذا طمس فإنَّه لا يُرى له ضوء على الإطلاق."[٤٢٨]

---

[٤٢٥]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٩٢.

[٤٢٦]- السعدي، المرجع السابق، ص٩٧٤.

[٤٢٧]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٩٥٦، ٧١٣.

[٤٢٨]- زغلول النجار: من آيات الإعجاز العلمي (السماء)، المرجع السابق، ص٦٢.

✓ **النجيميات:**

"بين المريخ والمشترى توجد آلاف من أجسام صغيرة تسمَّى (بالنّجيميات) أو (السَّيَّارات الصّغرى) تسير حول الشَّمس باستمرار بالطَّريقة العادية لحركة المرور ذات الاتجاه الواحد المعروفة في المجموعة الشَّمسية. وهذه النّجيميات أيضا يرجَّح أن تكون القطع التي تناثر إليها جسم كبير واحد."[٤٢٩]. يقول الفلكيون أنَّ النّجيمات تدور حول الشَّمس بين مداري المريخ والمشتري بعضها يكمل دورته في مدة ثلاث سنين والبعض الآخر في ست سنين، ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة. وهي ليست بكواكب سيَّارة وهي توابع للكواكب السَّيَّارة.

٢- اختلاف الكواكب والنّجوم في التَّكوين والصّفات:

تختلف الكواكب والنّجوم في التَّركيب، إذ أنَّ النّجوم يذهب ضياؤها، وتتشقَّق فتتفرَّق أجزائها ثم تجتمع على نفسها، لأنَّ النّجوم أجرام نارية ملتهبة مضيئة، بحسب ما توصَّل إليها علماء الفلك وأهل الاختصاص، في حين أنَّ الكواكب لا توصف بذهاب الضّياء، لأنَّها أجرام جامدة مظلمة بذاتها.

✓ **البروج:**

قسّمت السَّماء المرئية إلى تشكيلات نجمية أو ما يسمَّى بالتَّجمعات النَّجمية الظَّاهرية، وكل مجموعة يربطها شكل تخيلي يسمَّى كوكبة نجمية أو تشكيلة نجمية، وتحمل هذه التَّشكيلات أسماء مختلفة حسب ظهورها للرَّاصد، فهناك من يسمَّى بأسماء حيوانات كالدّب والعقرب الخ..، أو أسماء أخرى مثل الرَّاعي المرآة أو القوس الميزان، أو أسماء مثل فم الحوت، وقلب العقرب ..

---

[٤٢٩] - سير جيمس جينز، المرجع السابق، ص٦٩.

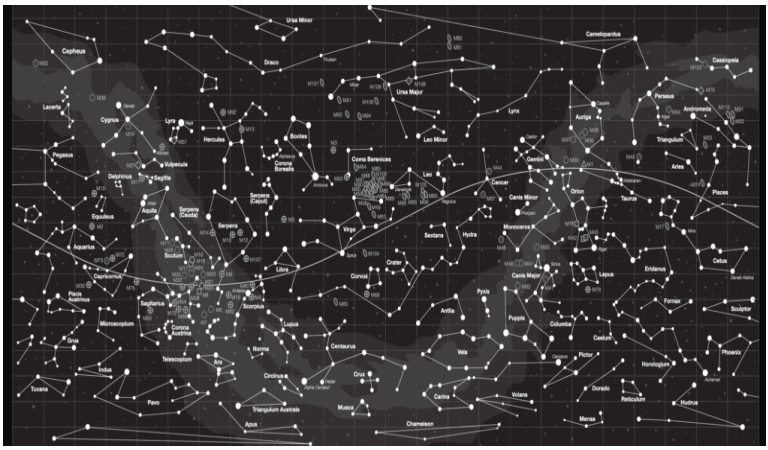

***قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].**

معاني الكلمات: "بُرُوجًا: منازل للشَّمس والقمر والنجوم. سِرَٰجًا: السّراج: المصباح الزَّاهر، ويعبر عن الشَّمس، وعن كل ما هو مضيء."[٤٣٠]

ففي ١٩٢٨ قام الاتحاد الفلكي بتنظيم هذه التَّشكيلات إلى ٨٨ مجموعة مع تثبيت مواقعها وتنسيق الحدود المناسبة لها، وهذه التَّشكيلات هي الحزام الوهمي الذي توجد فيه الشَّمس وكواكبها ويسمَّى بالأبراج. ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ وهي النجوم عمومها أو منازل الشَّمس والقمر التي تنزل منزلة منزلة وهي بمنزلة البروج والقلاع للمدن في حفظها، كذلك النجوم بمنزلة البروج المجعولة للحراسة فإنَّها رجوم للشَّياطين."[٤٣١]

"قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾ وهي الشَّمس المنيرة ، التي هي كالسّراج في الوجود."[٤٣٢]

---

[٤٣٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٢٧.

[٤٣١]- السعدي، المرجع السابق، ص٦٨٥.

[٤٣٢]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٣٦٣.

✓ **الشَّمس:**

دخلت كلمة الشَّمس اسما في ٣٣ نصا قرآنيا دخولا لفظيا مباشرا، فهي ذلك النَّجم الذي يستمد منه الإنسان سيرورة حياته اليومية، ولقد احتلت مكانة خاصَّة عنده، حيث نظر الإنسان إلى هذا النجم نظرة إجلال، لدرجة أنَّ شعوبا كثيرة عبدتها في القدم، وعند مجيء الرسالة ودين الله فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت٣٧]. فلقد أقسم سبحانه وتعالى بالشَّمس.

***قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشَّمس:١].**

أقسم سبحانه وتعالى بالشَّمس فهي مصدر لجميع أنواع الطَّاقة في الأرض، ولولا هذا المسخَّر العجيب من عند رب العالمين الذي سخَّره لحياة النَّباتات أو الحيوان أو الإنسان، فهي أيضا مصدر للطَّاقة كالرياح ومساقط المياه الخ.. فالنهار هو الذي يجعل الشَّمس واضحة جلية بقدرته تعالى، وضوئها لا يرى الاَّ على هيئة النور في نهار الارض، وأنَّ الكون خارج نطاق الارض ظلام دامس.

من أقوال المفسرين

"أقسم تعالى بهذه الآيات العظيمة، على النَّفس المفلحة، وغيرها من النفوس الفاجرة، فقال: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾- أي: نورها، ونفعها الصَّادر منها."[٤٣٣]

***قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبا:١٣].**

معاني الكلمات: "سِرَاجًا وَهَّاجًا: مشيعا الحرارة والضَّوء، والمراد الشَّمس."[٤٣٤]

الآية (١٣) من سُورَةُ النَّبَأ أو سورة النَّبَإِ هي سورة مكية، وآياتها(٤٠) آية بعد البسملة، وترتيبها في المصحف (٧٨)، وهي أول سورة في الجزء

---

[٤٣٣]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٩٢.

[٤٣٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٢١٠.

الثلاثين.

هذه السورة نموذج لاتجاه هذا الجزء بموضوعاته وحقائقه وإيقاعاته ومشاهده وصوره وظلاله وموسيقاه ولمساته في الكون والنَّفس، والدنيا والآخرة، واختيار الألفاظ والعبارات لتوقع أشد إيقاعاتها أثراً في الحس والضَّمير. وهي تفتح بسؤال مثير للاستهوال والاستعظام وتضخيم الحقيقة التي يختلفون عليها، وهي أمر عظيم لإخفاء فيه.

وتستهل الآية الكريمة بجعل من الله سبحانه وتعالى السّراج الوهَّاج أي الشَّمس المضيئة وقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح١٦]. وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ [نوح٥]. سبحانه اجتمعت هنا الكلمات السّراج الوهَّاج، والسّراج، والضّياء، أي جعل سبحانه الشَّمس لهبا متَّقدا مضيئا.

والشَّمس هي تأتي في قمَّة الأهمية لأنَّها المصدر الذي لا ينتهي لبلايين السّنين، وهي أصل الطَّاقة لعالم الإنسان الذي يعيش فيه، فلو نظرنا مثلا إلى الرياح فهي تأتي نتيجة تسخين سطح الكرة الأرضية بدرجات حرارة مختلفة بواسطة أشعة الشَّمس مما يؤدي إلى تغير الهواء من مكان إلى آخر.

ولقد أثبت العلماء أنَّ الشَّمس كرة من الغازات المتَّقدة، حجمها أكثر من حجم الأرض ب مليون مرة، وقطرها حوالي ٨٦٤.٦٠٠ ميل، وكتلتها أزيد من ٢ بليون بليون بليون طن، أي قدر كتلة الأرض ٣٣٣.٤٠٠ مرة، ولقد تبيَّن بالتَّحليل الطيفي الدَّقيق لضوء الشَّمس أنها تتكون من ٧٠% من كتلتها إيدروجين، و ٢٨% هيليوم، ٢٠% عناصر متبخرة مثل العناصر الموجودة في الأرض. حيث تنتج طاقة الشَّمس نتيجة لاحتراق الهيدروجين وهو المكون الأساسي لها وعندما تصل الحرارة إلى ١٥ مليون درجة مئوية. يؤدي إلى تفاعل نووي، وتندمج أربع ذرات هيدروجين إلى ذرة واحدة

هيليوم في باطنها، ويعني أنَّ الشَّمس تستمد طاقتها من باطنها لتمد الأرض النّور والدّفء.

من أقوال المفسرين

"نبَّه بالسّراج على النّعمة بنورها، الذي صار كالضَّرورة للخلق، وبالوهَّاج الذي فيه الحرارة على حرارتها وما فيها من المصالح."[٤٣٥]

***قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨].**

معاني الكلمات: "لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ: لنهايتها."[٤٣٦]

تستهل الآية الكريمة بكلمة (تجري) وهي تعبر عن حركة الشَّمس الظَّاهرية اليومية للإنسان من الشَّرق إلى الغرب ولكن الحقيقة أنَّ الفعل (تجري) عبَّر عن حركة واقعية حيث تنتقل الشَّمس في الفضاء وتجر معها (بالجاذبية) كواكبها التي تدور حولها. بسرعة ٢٢٠ كلم/ثانية حول مركز مجرة التبانة التي تدور حول نفسها مرة كل ٢٥٠ مليون سنة. وبهذا فإنَّ الشَّمس تسبح في فلك دائري خاص بها حول مركز المجرة. ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾. ولقد أثبت العلماء باستخدام ظاهرة دوبلر من تحديد سرعة هذه الحركة للشَّمس ومعها النّظام الشَّمسي بحوالي ١٩ كلم/ثانية في الفضاء الكوني إلى كوكبة (هرقل) مجاورة لنجم (قيجا). وتدور حول نفسها كل ٢٧ يوما في المتوسط. والله اعلم.

"قوله: ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ فمن الواضح أنَّ هذا المستقر الذي ينتهي إليه جري الشَّمس أمر من أمور الغيب لا يعلمها إلا الله العزيز العليم."[٤٣٧]

من أقوال المفسرين

"﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [أي: دائما تجري لمستقر لها] قدره اللّه

---

[٤٣٥] - السعدي، المرجع السابق، ص١٠٦٩.

[٤٣٦] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٩٣.

[٤٣٧] - منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص١١٣.

لها، لا تتعداه، ولا تقصر عنه، وليس لها تصرف في نفسها، ولا استعصاء على قدرة اللّه تعالى."[٤٣٨]

***قال تعالى: ﴿لَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٨].**

معاني الكلمات: "بَازِغَةً: بازغا- مبتدئا في الطلوع."[٤٣٩]"

تستهل الآية الكريمة مع سرد قصَّة نبي الله إبراهيم عليه السلام وتمعّنه في ملكوت الله فالشَّمس تطلع كل يوم وتغيب . ولكنها اليوم تبدو له كأنها خلق جديد. إنَّه اليوم يرى الأشياء بكيانه المتطلع إلى إله يطمئن به ويطمئن إليه؛ ويستقر على قرار ثابت بعد الحيرة المقلقة والجهد الطَّويل والسّؤال المحير يتبادر لذهنه. أهذا هو المعبود؟ ومن هنا تنطلق الشَّرارة، ويتم الاتصال بين الفطرة الصَّادقة والله الحق، ويغمر النور القلب ويفيض على الكون الظَّاهر وعلى العقل والوعي هنا يجد إبراهيم إلهه. يجده في وعيه وإدراكه كما هو في فطرته وضميره. هنا يقع التَّطابق بين الإحساس الفطري المكنون والتَّصور العقلي الواضح، ولا يمكن للخالق أن يغيب، تبين من هنا للخليل أنَّ الإله هو الخالق لكل ما تراه العين، ويحسه الحس ولا تأخذه سنة ولا نوم.

من أقوال المفسرين

"﴿لَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ أي هذا المنير الطَّالع ربي "هذا أكبر" أي جرما من النجم ومن القمر وأكثر إضاءة."[٤٤٠]

***قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد:٢]. وقال: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد:٢].**

معاني الكلمات:"يُدَبِّرُ الْأَمْرَ: ينظر في عواقبه وأدباره ليقع على الوجه

---

[٤٣٨]- السعدي، المرجع السابق، ص٨١٧.

[٤٣٩]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٣١٠.

[٤٤٠]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٧٠٠.

المحمود منه ويقضي حسب ما تقتضيه الحكمة والكمال. يُفَصِّلُ: يبين."[٤٤١]

"إن اقتران الشَّمس بالقمر له نظير في اقتران الليل بالنهار من حيث الوظيفة لا من حيث الشَّكل."[٤٤٢]

من أقوال المفسرين

"أي أنَّ الكل يجري والكل يدور أو يطوف في فلك خاص به، وأنَّ جميع الأجرام تسبح في الغاز الكوني (الإيدروجين) الذي ينتشر في أرجاء الكون."[٤٤٣]

"قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، ويقول في سورة الجاثية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾ ومن الواضح أنَّ تسخير الليل والنهار والشَّمس والقمر للناس في الأرض، معناه تسخير الأرض مع الشَّمس والقمر على أن يعمل بعضها مع بعض في نظام ونوافق فيتعاقب الليل والنهار على الأرض وينتج من هذَا التَّسخير الجماعي العوامل الضَّرورية للحياة في الأرض."[٤٤٤]

***قال تعالى: ﴿.. شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور:٣٥].**

تستهل الآية الكريمة بتشبيه الشَّمس السَّاطعة المضيئة التي حقا هي شجرة الطَّاقة والمادة في هذَا العالم الذي نعيش فيه، فهي شبيهة بالزَّيتونة في شكلها ولونها المصفر فهي لا شرقية ولا غربية وانَّما تنطلق في الفضاء الكوني وكما أنَّ حركتها من الشَّرق الى الغرب حركة خادعة ظاهرية، أما

---

[٤٤١] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٩٢، ٨٥٥.

[٤٤٢] - حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص ١١٧.

[٤٤٣] - منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٦١.

[٤٤٤] - حنفي احمد، المرجع السابق، ص٢١٢.

طاقتها النَّووية فليست طاقة احتراق، أوضح أنَّ التَّشبيه تشبيه مجازي. لوا كانت هذه الشَّجرة على الأرض لكان لها شرقا أو غربا.

من أقوال المفسرين

"﴿مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾- أي: يوقد من زيت الزَّيتون الذي ناره من أنور ما يكون، ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ﴾ فقط، فلا تصيبها الشَّمس آخر النهار، ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ فقط، فلا تصيبها الشَّمس.[٤٤٥]"

***قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ﴾ [الإسراء:٧٨].**

معاني الكلمات: "دُلُوكِ الشَّمْسِ: ميلها عن كبد السَّماء وقت الزَّوال وقبل غروبها. غَسَقِ اللَّيْلِ: ظلمته."[٤٤٦]

أما أسباب النزول: فقد ذُكر لها (١٠) أسباب منهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ قيل: جاء غلام إلى رسول اللهﷺ فقال: إنَّ أمّي تسألك كذا وكذا، فقال: -ما عندنا اليوم شيء- قال: فتقول لك اكسني قميصك، قال: فخلع قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسرا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾.

تتحدث الآية الكريمة عن الأمر الرباني لرسوله الكريمﷺ أن يقيم الصَّلاة ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ﴾ من ميل الشَّمس عن كبد السَّماء إلى ظلمته.

من أقوال المفسرين

"يأمر تعالى نبيه محمدًاﷺ بإقامة الصَّلاة تامة، ظاهرًا وباطنًا، في أوقاتها. ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾- أي: ميلانها إلى الأفق الغربي بعد الزَّوال فيدخل

---

[٤٤٥]- السعدي، المرجع السابق، ص٦٦٥.

[٤٤٦]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٤١٤٠، ٨١٤.

في ذلك صلاة الظَّهر وصلاة العصر. ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾- أي: ظلمته، فدخل في ذلك صلاة المغرب وصلاة العشاء."[٤٤٧]

***قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٧].**

معاني الكلمات: "تَّزَاوَرُ: أصلها تتزاور: تميل وتنحني. كَهْفِهِمْ- الكَهْفِ: الغار الواسع، أو البيت المحفور في الجبل، والمراد الملجأ الذي اختفى فيه أصحاب الكهف."[٤٤٨]

تستهل الآية الكريمة لتعرض علينا هذا المشهد العجيب، ينقل بالكلمات هيئة الفتية في الكهف، والشَّمس تطلع على الكهف فتميل عنه كأنها متعمدة . ولفظ ﴿تَّزَاوَرُ﴾ أي تتزاور، تميل وتنحني، وتصور المشهد. والشَّمس تغرب فتجاوزهم إلى الشَّمال وهم في فجوة منه.

من أقوال المفسرين

"هذا دليل على أنَّ باب هذا الكهف من نحو الشَّمال؛ لأنَّه تعالى أخبر أنَّ الشَّمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ أي: يتقلص الفيء يمنة كما قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة: ﴿تَّزَاوَرُ﴾ أي: تميل؛ وذلك أنها كلما ارتفعت في الأفق تقلَّص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزَّوال في مثل ذلك المكان."[٤٤٩]

***قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف:٨٦].**

معاني الكلمات: "عَيْنٍ حَمِئَةٍ: خالطت الحمأة ماءها."[٤٥٠]

تستهل الآية الكريمة في جزئها هذا عن مغرب الشَّمس وهو المكان

---

[٤٤٧]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٤١.

[٤٤٨] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٣٥.

[٤٤٩]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١١٤٨.

[٤٥٠] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣١٩٠.

الذي يرى الرائي أنَّ الشَّمس تغرب عنده وراء الأفق. مع أنَّه يختلف بالنسبة للمواضع. فبعض المواضع يرى الرائي فيها أنَّ الشَّمس تغرب خلف جبل. وفي بعض المواضع يرى أنها تغرب في الماء كما في المحيطات الواسعة والبحار. وفي بعض المواضع يرى أنها تغرب في الرّمال كما في الصَّحراء المكشوفة. والظَّاهر من النص أن ذا القرنين غرب حتى وصل إلى نقطة على شاطيء المحيط الأطلسي - وكان يسمَّى بحر الظّلمات ويظن أنَّ اليابسة تنتهي عنده- فرأى الشَّمس تغرب فيه. ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: رأى الشَّمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه، وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه.[٤٥١]"

***قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف:٩٠].**

معاني الكلمات: "سِتْرًا: غطاء وكل ذي ستر فهو مستور."[٤٥٢]

تستهل الآية الكريمة لتحدثنا هن مطلع الشَّمس علها تطلع على أرض مكشوفة، ليس فيها مرتفعات ولا أشجار. فالشَّمس تطلع على القوم فيها حين تطلع بلا ساتر. وهذا الوصف ينطبق على الصَّحارى والسّهول الواسعة. فهو لا يحدد مكانا بعينه. وكل ما نرجّحه أنَّ هذا المكان كان في أقصى الشَّرق حيث يجد الرَّائي أنَّ الشَّمس تطلع على هذه الأرض المستوية المكشوفة، ومن الممكن أن تكون في شرق إفريقيا. وهناك احتمال أن يكون المقصود بقوله: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ احتمال أنهم قوم عراة الأجسام لم يجعل لهم سترا من الشَّمس.

من أقوال المفسرين

---

[٤٥١]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١١٨٦.

[٤٥٢] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٥٥.

"قوله: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾قال: لم يبنوا فيها بناء قط، ولم يبن عليهم فيها بناء قط، كانوا إذا طلعت الشَّمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشَّمس، أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل، جاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها: لا تطلعن عليكم الشَّمس وأنتم بها. قالوا: لا نبرح حتى تطلع الشَّمس، ما هذه العظام؟ قالوا: هذه جيف جيش طلعت عليهم الشَّمس هاهنا فماتوا. قال: فذهبوا هاربين في الأرض."[٤٥٣]

***قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان:٤٥].**

معاني الكلمات: "مَدَّ: بسط. سَاكِنًا: قارا ثابتا.[٤٥٤]

تستهل الآية الكريمة لتخبر عمَّا تلقيه الأجرام من الظّلمة الخفيفة حين تحجب أشعة الشَّمس في النهار. والجسم يتحرك مع حركة الأرض في مواجهة الشَّمس، فتتغير أوضاعه وامتداداته بحسب الشَّكل والصّغر والكبر؛ والشَّمس تدل عليه بضوئها وحرارتها، وتميز مساحته وامتداده وارتداده. ومتابعة خطوات الظّل في مده وانقباضه يشيع في النَّفس نداوة وراحة كما يثير فيها يقظه لطيفة، وهي تتتبَّع صنع الخالق القادر المقتدر، ومشهد الظّلال والشَّمس مائلة للمغيب، وفي لحظة واحدة ينظر الإنسان فلا يجدها. لقد اختفى قرص الشَّمس وتوارت معه الظّلال. ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ إنها يد القدرة القوية. التي يغفل البشر عن تتبع آثارها في الكون من حولهم وهي تعمل دائبة لا يدركها الكلال.

من أقوال المفسرين

"قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ ؟ قال ابن عباس، وابن عمر، وأبو العالية، وأبو مالك، ومسروق، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وإبراهيم

---

[٤٥٣] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١١٧٢.

[٤٥٤] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٣٦، ٥٨٠.

النخعي، والضحاك، والحسن البصري، وقتادة، والسدي، وغيرهم: هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشَّمس. ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ أي: دائما لا يزول.[٤٥٥]"

***قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠].**

معاني الكلمات: "تُدْرِكَ: تدخل في مداره بالخروج من مدارها. سَابِقُ: اسم فاعل: يراد به المتقدم على غيره. والجمع سابقون. وجمع المؤنث سابقات.[٤٥٦]"

تستهل الآية الكريمة بذكر واضح لأمر علمي وجوهري وهو وجود مدار لكل من الشَّمس والقمر وتشير إلى تنقل هذين الجرمين في الفضاء كل واحد بحركيته الخاصَّة، وهذا هو مدار الشَّمس حول المجرة ومدار القمر حول الأرض، وبينهما التَّلازم أو الاقتران بين لفظتي الشَّمس والقمر في القرآن الكريم ولهما مدلول فيزيائي فلكي، كما دخلت كلمة الشَّمس في ٣٣ نصّا قرآنيا، ودخل القمر في ٢٧ نصّا قرآنيا، وجاء التَّلازم بينهما في ١٩ موضعا.

من أقوال المفسرين

"قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ كذلك يستنبط من الآية الشَّريفة أن كلا من الشَّمس والقمر لا يجتمعان معا بحال، لأنَّ كلا منهما يجري في مداره الذي يوازي مدار الآخر، ولا يمكن بل يستحيل تماما أن يلتقي كلاهما."[٤٥٧]

***قال تعالى: ﴿..وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق:٣٩].**

---

[٤٥٥]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٣٥٩.

[٤٥٦]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٤٠١، ٥٥٢.

[٤٥٧]- السيد الجميلي، المرجع السابق، ص٢٢.

خطاب إلى الرسول الكريم بأن يسبّح بحمده ويثني عليه قبل طلوع الشَّمس في هدأة الصّبح وهو يتنفَّس ويتفتَّح بالحياة؛ وقبل غروبها. وفي هدأة الغروب والشَّمس تودع، والكون يغمض أجفانه.

من أقوال المفسرين

"﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يعني: صلاة الفجر، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ يعني: صلاة العصر."[٤٥٨]

***قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام :٩٦].**

معاني الكلمات: "سَكَنًا: موضعا تطمئن إليه النّفوس. حُسْبَانًا: وسيلة للحساب أو معرفة الزَّمن."[٤٥٩]

سبحانه وتعالى الذي جعل الليل للسّكون، وجعل الشَّمس والقمر محسوبة حركاتهما مقدرة دوراتهما.

تستهل الآية الكريمة لتبين للإنسان أنَّ الليل موضعا للرَّاحة والاطمئنان، وأنَّ الشَّمس والقمر للحساب ومعرفة الزَّمن.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ أي: يجريان بحساب مقنن مقدر، لا يتغير ولا يضطرب، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصَّيف والشّتاء، فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا."[٤٦٠]

***قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣].**

معاني الكلمات: "دَائِبَيْنِ: مستمرين في حركتهما لا يفتران إلى آخر الدّنيا."[٤٦١]

---

[٤٥٨]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٧٦٠.

[٤٥٩]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٨٠، ٢٨٧.

[٤٦٠]- ابن كثير، المرجع السابق، ص ٧٠٦.

[٤٦١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٩١.

ومن المعروف أنَّ ابتعاد الأجرام السَّماوية على مسافات عظيمة يشكل أساس توازنها طبقا لقوانين الجاذبية والحركة الدَّورانية التي تخضع الأجرام لحسابات دقيقة كما تشير هذه الآيات الثَّلاث. فهناك وجود انتظام في حركة الأجرام السَّماوية كما عبر عنه القرآن الكريم في الآية الثالثة بقول –دائب-

من أقوال المفسرين

"﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ أي: يسيران لا يقران ليلا ولا نهارا.[٤٦٢]"

***قال تعالى: ﴿..قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ..﴾ [من الآية ٢٠٨:البقرة].**

معاني الكلمات: "بُهِتَ: دُهِش مأخوذا بالحجة."[٤٦٣]

ومن ثم كان هذا التَّحدي الذي يخاطب الفطرة كما يتحدَّث بلسان الواقع الذي لا يقبل الجدل وهنا التَّحدي قائم، والأمر ظاهر، ولا سبيل إلى سوء الفهم، أو التَّعنت وكان التَّسليم أولى والإيمان أجدر. ولكن الكبر عن الرجوع إلى الحق يمسك بالذي كفر، فيبهت ويبلس ويتحير. ولا يهديه الله إلى الحق لأنَّه لم يتلمس الهداية، ولم يرغب في الحق، فكانت الحجة دامغة والهروب من الواقع أصبح مستحيلا. ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أي تحير ودهش وانقطعت حجته.

فإن قيل: كيف بهت وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم فيقول له: سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب قيل: إنَّما لم يقله لأنَّه خاف أن لو سأل ذلك دعا إبراهيم ربه فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه والصَّحيح أنَّ الله

---

[٤٦٢]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٣٦.

[٤٦٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٦٨.

صرفه عن تلك المعارضة إظهارا للحجَّة عليه أو معجزة لإبراهيم عليه السلام." [٤٦٤]

✓ **القمر:**

بحسب ما توصَّل إليه علماء الفلك بعد أبحاث دقيقة، "أنَّ مدة تكوين القمر في الأرض إلى أن انفصل منها، قد استغرقت نحو خمسمائة عام." [٤٦٥] وهذه الكتلة المنفصلة عن الأرض مكوناتها هي: مواد (جرانيتية) وجزء ضئيل من (بزلتية.) وكان يدور في فلك قريب منها، بسرعة أقل من سرعة دوران الأرض حول نفسها. وأقرب حركة منا هي حركة (القمر.[٤٦٦])

***قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام:٧٧].**

معاني الكلمات: "بَازِغًا: مبتدئا في الطلوع." [٤٦٧]

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ نظرة الأَنبياء تختلف عن الانسان العادي، لأَن النبي يبحث دوما عن حقيقة الخالق، إبراهيم الخلل لما راى القمر طالعًا قال لقومه لتوجيه الانظار: هذا ربي، فلما غاب، قال: لئن لم يوفقني ربي إلى الصواب في توحيده، لأكونن من القوم الضالين.

من أقوال المفسرين

---

[٤٦٤] - البغوي، المرجع السابق، ص٢٤٠.

[٤٦٥] - حنفي احمد، المرجع السابق، ص١٠٣.

[٤٦٦] - ثبت بالنص القاطع أنَّ الله تعالى جعل الكواكب زينة للسَّماء، وجعلها في السَّماء الدنيا ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ فإنَّه لا يستبعد أن يصل الناس إلى القمر، لأنَّه دون السَّماء الأولى، كما وصلت إليه المركبة الفضائية في زماننا وكما أثبت العلم الحديث إمكان ذلك، فليس ثمة محظور ديني على غزو الكواكب والفضاء، وأمَّا الوصول إلى السَّماء واختراقها فذلك أمر مستحيل ودونه خرط القتاد لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾. (انظر تهميش كتاب صفوة التَّفاسير، محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٤٥٣.)

[٤٦٧] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٣١.

"﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾- أي: طالعا، رأى زيادته على نور الكواكب ومخالفته لها ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ تنزلا."[٤٦٨]

***قال تعالى: ﴿..وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦].**

معاني الكلمات: ."حُسْبَانًا: بحساب وإحصاء مقدر معلوم."[٤٦٩]

قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ أي يجريان بحساب مقنن مقدر معلوم لايتغير ولايضطرب، بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف الأزمنة والأوقات.

من أقوال المفسرين

"﴿الشَّمس وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ بهما تعرف الأزمنة والأوقات، فتنضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى من الأوقات التي لولا وجود الشَّمس والقمر، وتناوبهما واختلافهما- لما عرف ذلك عامة الناس، واشتركوا في علمه، بل كان لا يعرفه إلاَّ أفراد من الناس، بعد الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضَّرورية ما يفوت."[٤٧٠]

***قال تعالى: ﴿.. وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ.﴾ [الأعراف :٥٤].**

معاني الكلمات: "مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ: أي الجميع تحت قهره ومشيئته وتسخيره."[٤٧١]

الشَّمس والقمر النجوم في السَّماء مذللات لكم بأمر الله لمعرفة الأوقات، ونضج الثَّمار والزروع، والاهتداء بها في الظلمات. إن في ذلك التَّسخير لَدلائلَ واضحةً لقوم سيعقلون عن الله حججه وبراهينه.

---

[٤٦٨]- السعدي، المرجع السابق، ص٢٩٢.

[٤٦٩]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص ٢٨٧.

[٤٧٠]- السعدي، المرجع السابق، ص٢٩٦.

[٤٧١]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٤٥١.

من أقوال المفسرين

"﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾- أي: بتسخيره وتدبيره، الدال على ما له من أوصاف الكمال، فخلْقُها وعظَمُها دالٌّ على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضَّرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنَّه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له."[٤٧٢]

***قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا..﴾ [يونس:٥].**

معاني الكلمات: "وَقَدَّرَهُ: جعل سيره في منازل."[٤٧٣]

بين سبحانه وتعالى خلق السَّماء والأرض وخلق الكون كله وسخَّره للإنسان وجاء لنا بنعم من آياته التي خلقها لنا، والتي جعلها الله سبحانه وتعالى سبباً لقوام الحياة، فقال سبحانه ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً﴾ فالشَّمس لها ضياء والقمر له ﴿نُوراً﴾. لأنَّ مصادر الضَّوء تنقسم عادة إلى نوعين مصادر مباشرة: كالشَّمس، والنجوم، والمصباح، والشَّمعة، وغيرها. وهي: أنهما يعتبران مصدرًا مباشرًا للضَّوء؛ ولذلك شبَّه الخالق الشَّمس بالمصباح الوهَّاج، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾. ومصادر غير مباشرة: كالقمر، والكوكب. وهي الأجسام التي تستمد نورها من مصدر آخر، مثل الشَّمس، ثم تعكسه علينا. أما القمر فلا يشترك معهما في هذه الصّفة، فالقمر مصدر غير مباشر للضوء، فهو يعكس ضوء الشَّمس إلينا، فنراه، ونرى أشعته التي سمَّاها العليم الحكيم: نورًا. لأنَّ النور هو ضوء ليس فيه حرارة، والحرارة لا تنشأ إلاَّ حين يكون الضَّوء ذاتيّاً من المضيء إذن: القمر مضيء بغيره والفرق بين الضّياء والنّور يتمثَّل في أنَّ الضّياء تصحبه الحرارة والدّفء، والنّور إنارة حليمة، ولذلك يسمَّى نور القمر النور الحليم فلا تحتاج إلى الظل لتستظل من حرارته،

---

[٤٧٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٣٢٨.

[٤٧٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٨٢.

لكن الشَّمس تحتاج إلى مظلة لتقيك حرارتها.فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً﴾.

من أقوال المفسرين

"ولما كان نور الشَّمس أشد وأتم، وأكمل في الانتفاع من نور القمر، عبَّر عن الشَّمس بالسّراج لأنَّه يضيء نفسه، وعبَّر عن القمر بالنّور لأنَّه يستمد نوره من غيره."[٤٧٤]

"﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لمصالح العباد ومصالح مواشيهم وثمارهم."[٤٧٥]

***قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣].**

معاني الكلمات: "فَلَكٍ: مدار الأجرام السَّماوية."[٤٧٦]

﴿وَهُوَ﴾ سبحانه علاَّم الغيوب وخالق الليل والنهار والشَّمس والقمر، خلق الليل؛ ليسكن الناس فيه، والنهار؛ ليطلبوا فيه المعايش، وخلق الشَّمس آية للنهار، والقمر آية للَّيل، ولكل منهما مدار يجري فيه وَيَسْبَح لا يحيد عنه. ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.أي: يدورون. قال ابن عباس : يدورون كما يدور المغزل في الفلكة. وكذا قال مجاهد: فلا يدور المغزل إلا بالفلكة، ولا الفلكة إلا بالمغزل، كذلك النجوم والشمس والقمر، لا يدورون إلا به، ولا يدور إلا بهن."[٤٧٧]

"﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. أي كل من الشَّمس والقمر والنجوم

---

[٤٧٤]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٤٥٣.

[٤٧٥]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٧٦.

[٤٧٦]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٦٥.

[٤٧٧]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٣٥.

والكواكب والليل والنهار يجرون ويسيرون بسرعة كالسَّابح في الماء."[٤٧٨]

***قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:١٨].**

معاني الكلمات: "يُهِنِ: يُذِل."[٤٧٩]

خطاب للنبي الكرمﷺ ألم تعلم أن الله سبحانه علاَّم الغيوب وخالق الكون يسجد له الكلّ خاضعًا منقادًا مَن في السَّموات والملائكة ومَن في الأرض من المخلوقات والشَّمس والقمر والنجوم والجبال والشَّجر والدَّواب؟ يسجد طاعة واختيارًا وكثير من الناس، وكثير حقَّ عليه العذاب، وأيُّ إنسان يهنه الله فليس له أحد يكرمه. إنَّ الله يفعل في خلقه ما يشاء وَفْقَ حكمته.

من أقوال المفسرين

"﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ أي: من الملائكة في أقطار السماوات، والحيوانات في جميع الجهات، من الإنس والجن والدَّواب والطير."[٤٨٠]

***قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩].**

خلق سبحانه وتعالى القمر وجعله آية في خلقه، فكل ليلة من بداية شهره، يبدأ هلالا ضئيلا حتى يكمل قمرًا مستديرًا، ثم يرجع ضئيلا مثل عِذْق النخلة المتقوس في الرقة والانحناء والصفرة؛ لقدمه ويُبْسه.

من أقوال المفسرين

"قال: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ أي: جعلناه يسير سيرا آخر يستدل به

---

[٤٧٨]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٢٦١.

[٤٧٩]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١١٥٤.

[٤٨٠]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٦٥.

على مضي الشهور، كما أن الشَّمس يعرف بها الليل والنهار."[٤٨١]

"﴿حَتَّى﴾ يصغر جدا، فيعود ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾- أي: عرجون النخلة، الذي من قدمه نش وصغر حجمه وانحنى، ثم بعد ذلك، ما زال يزيد شيئا فشيئا، حتى يتم [نوره] ويتسق ضياؤه."[٤٨٢]

***قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر:٥].**

معاني الكلمات: "لِأَجَلٍ مُسَمًّى: وقت محدد."[٤٨٣]

تستهل الآية الكريمة بخلق السَّماوات والأرض وقدرة الخالق المقتدر وتبين الدَّلالة التي لا تحتمل التَّأويل، أنَّ كل الأجرام السَّماوية تتحرك في أفلاكها حركة ذاتية مقدَّرة، فكل جرم له فلكه الخاص يدور حوله في سرعة محدَّدة وفي فترة مقدَّرة، فهو له بمثابة طريق محدد المسار معد مسبقا بتقديره سبحانه القادر المقتدر. إلى أن يأذن الله على نهايته. ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾- أي: بالحكمة والمصلحة، وليأمر العباد وينهاهم، ويثيبهم ويعاقبهم." (١)

"﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ أي: سخَّرهما يجريان متعاقبين لا يقران، كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا."[٤٨٤] ﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وهو انقضاء هذه الدَّار وخرابها، فيخرب اللّه آلاتها وشمسها وقمرها، وينشئ الخلق نشأة جديدة ليستقروا في دار القرار." (٢) [٤٨٥]

---

[٤٨١]- ابن كثير، المرجع السابق، ، ص١٥٦٩.

[٤٨٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٨١٧.

[٤٨٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٤.

[٤٨٤]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٦١٥.

[٤٨٥]- السعدي، المرجع السابق (١) و(٢)، ص٨٤٥.

***قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ...﴾ [فصلت :٣٧].**

الآية (٣٧) من سورة فصلت، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٥٤) آية بعد البسملة، ويدور محورها حول القرآن الكريم، والذي أنزله سبحانه وتعالى هدى وشفاء للمؤمنين، رغم صدود الأعداء.

وتحدثت السورة على أن القرآن الكرم هو تنزيل من الله، وأنَّه كتاب فصلت آياته، وأنزل بلسان عربي مبين للعالمين بشيرا ونذيرا، وتنذر الصورة المشركين بعقاب مثل ما عوقب أسلافهم، وتتوعَّد المؤمن بجزائه.

وتستهل الآية الكريمة عن التَّبادل المنتظم بين الليل المظلم والنهار المنير على نصفي الأرض، وهذا التَّبادل المتقن من الضَّروريات لتسير الحياة على الأرض، وبهذا التَّبادل يتم التَّحكم في توزيع الطَّاقة الشَّمسية، وبالتَّالي التَّحكم في درجات الحرارة والرّطوبة، زيادة عن تقسيم فترة للعمل والحركة وفترة للسّكون. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا١٠-١١]. وقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام٩٦].

من أقوال المفسرين

"﴿وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ والنَّهارُ والشَّمْسُ والْقَمَرُ﴾ أي: أنَّه خلق الليل بظلامه، والنهار بضيائه، وهما متعاقبان لا يقران."[٤٨٦]

"﴿مِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته، وسعة سلطانه، ورحمته بعباده، وأنَّه الله وحده لا شريك له."[٤٨٧]

***قال تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن:٥].**

"﴿بِحُسْبَانٍ﴾ قال مجاهد: كحسبان الرحى. وقال غيره: بحساب ومنازل

---

[٤٨٦]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٦٥٩.

[٤٨٧]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٧٨.

يعدوانها. حسبان: جماعة الحساب."[٤٨٨]

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب."[٤٨٩]

***قال تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر:٣٢].**

الآية (٣٢) من سورة المدثر، هي سورة مكية، وعدد آياتها (٥٦) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة المزمل. المدثر هو لابس الدّثار، وأصلها المتدثّر بمعنى المتغطّي، جاءت تسميتها- المدثر- إشارة إلى الحادثة التي جاء فيها جبريل إلى النبي محمد وهو على جبل حراء.

أما أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ عن جابر قال: حدثنا رسول اللهﷺ فقال: «جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستنبطت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحدا، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء- يعني جبريل عليه السلام- فقلت: دثروني دثروني»، فصبو علي تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.

"وأقرب حركة منا هي حركة القمر التي تبعد عنا ٢٤٠٠٠٠ ميلا، وهو يدور حول الارض، ويكمل دورته في مدة تسعة وعشرين يوما ونصف يوم."[٤٩٠]

***قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ [الإنشقاق:١٨].**

معاني الكلمات: اتَّسَقَ: اجتمع نوره وتمَّ وكمل.

الآية (١٨) من سورة الانشقاق، هي سورة مكية، وعدد آياتها (٢٥) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة الانفطار.

---

[٤٨٨]- صحيح البخاري، المرجع السابق، ص٧٩١.

[٤٨٩]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٧٩٥.

[٤٩٠]- وحيد الدين خان، المرجع السابق، ص٥٨.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي اجتمع واستوى وتم نوره.

من أقوال المفسرين

"قوله ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ قال ابن عباس إذا اجتمع واستوى."[٤٩١]

٤-٢ المبحث الثَّاني: اللَّيْل وَالنَّهَار

تدور الأرض حول نفسها وتكمل دورتها خلال ٢٤ ساعة، وبسبب هذا الدَّوران يتكون الليل والنهار لأنَّ الجهة المقابلة للشَّمس يكون فيها نهار، وأما الجهة التي بعكس الشَّمس يكون فيها ليل لأنَّها لم تصب بأشعة الشَّمس.

جاء ذكر الليل في القرآن الكريم اثنتين وتسعين مرة، منها ثلاثة وسبعون بلفظ (الليل)، ومرة واحدة بلفظ (ليل)،وثماني مرَّات بلفظ (ليلة)، وخمس مرات بلفظ (ليلا)، وثلاث مرات بلفظ (ليال)، ومرَّة بكل من (ليلها و (ليالي).

أما النهار جاء ذكره في القرآن الكريم سبعة وخمسين مرَّة منها أربع وخمسون بلفظ (النهار)، وثلاث مرات بلفظ (نهارا).

***قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير :١٧-١٨].**

معاني الكلمات: "عَسۡعَسَ: أقبل بظلامه. ٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ: ظهر. "[٤٩٢]

الآيتان الكريمتان (١٧و١٨) من سورة التكوير. (سبق التعريف بالسورة).

(عَسۡعَسَ) بمعنى أظلم، وكأن وصف الليل بهذه الكلمة يوحي بحياة في هذا الليل، وكأنه يعس ف الظلام، وهذا الإيحاء عجيب واختبار لتغيير رائع، وقال: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ فهو بهذا أظهر حيوية وأشد إيحاء، أنفاسه نور وحياة وحركة التي تدب في كل حي.

من أقوال المفسرين

---

[٤٩١]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٧٦.

[٤٩٢]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٦٥، ١١١٤.

"﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾- هو ثروة شعورية وتعبيرية بديعة تضاف إلى رصيد البشرية من المشاعر الآخذة بالألباب وهي تستقبل هذه الظَّواهر الكونية بالحس الشَّاعر.[٤٩٣]"

"﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أي: أدبر وقيل: أقبل، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: بانت علائم الصّبح، وانشقَّ النّور شيئا فشيئا حتى يستكمل وتطلع الشَّمس، وهذه آيات عظام، أقسم الله بها على علو سند القرآن وجلالته." [٤٩٤]

"﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾ إذا أدبر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾ أي إذا ذهب فتولى."[٤٩٥]

***قال تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ [يس:٣٧].**

معاني الكلمات: "نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ: نزعه ونفصله."[٤٩٦]

تستهل الآية الكريمة في عرض آية من آيات الله في خلقه وهي: سلخ الليل من النهار، والسَّلخ لغة هو نزع جلد الحيوان عن لحمه، وأمَّا الليل والنهار فكان المقصود مكان كل منهما على الأرض، والذي تبادل فيه النّور والظَّلام، والله تعالى يبدل النّور بالظَّلام نتيجة لدوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشَّمس، ويبقى هذا النّور الذي استبدل بالظَّلام هو أصلا مكتسب من الشَّمس وليس ذاتيا وكذلك الظَّلام.

من أقوال المفسرين

"أي: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ﴾ على نفوذ مشيئة اللّه، وكمال قدرته، وإحيائه الموتى

---

[٤٩٣]- شبر الفقيه، المرجع السابق، ص١٥٣.

[٤٩٤] -السعدي، المرجع السابق، ١٠٧٦.

[٤٩٥]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٦٦.

[٤٩٦] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٨٢.

بعد موتهم. ﴿اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾- أي: نزيل الضياء العظيم الذي طبق الأرض، فنبدله بالظّلمة، ونحلها محله."[٤٩٧]

"﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾أي: نصرمه منه فيذهب، فيقبل الليل؛ ولهذا قال: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ كما جاء في الحديث: "إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم ".هذا هو الظاهر من الآية. "[٤٩٨]

***قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].**

تستهل الآية بذكر اسم العلي القدير (هو)، خلق و(الخلق) أصله التَّقدير ويستخدم في إبداع الشَّيء من غير أصل ولا احتذاء، أمَّا الفلك فهو مجرى أجرام السَّماء في المدار الذي يجري فيه كل جرم، والسَّبح هو الممر السَّريع في الماء آو في الهواء. ويبقى الليل والنهار فهما ظرفا زمان، والزَّمان من غر مكان لا يساوي شيء، إذا لا بد من وجود مكان لليل والنهار، ومكانهما الأرض، فكيف يظهر الليل بظلمه والنهار بضيائه لولا دوران الأرض حول محورها أمام الشَّمس؟ والآيات القرآنية كلها عندما تذكر السَّبح تذكره بصيغة الجمع ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، ولوا كان القصد الشَّمس والقمر فقط لقال يسبحان، فالكل يسبح في ملكوته سبحانه وتعالى.

من أقوال المفسرين

"قال منبها على بعض آياته: ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: هذا في ظلامه وسكونه، وهذا بضيائه وأنسه."[٤٩٩]"

***قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِى الأَبْصَارِ﴾**

---

[٤٩٧]- السعدي، المرجع السابق، ص٨١٧.

[٤٩٨]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٥٦٩.

[٤٩٩]- المرجع نفسه، ص١٣٤٠.

[النور: ٤٤].

معاني الكلمات: "يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ: يغير أحوالهما. عِبْرَةً: عظة."[٥٠٠]

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يتصرف فيهما، فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا ثم يأخذ من هذا في هذا، فيطول الذي كان قصيرا، ويقصر الذي كان طويلا."[٥٠١]

***قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل:٨٦].**

الليل والنهار آيتان كونيتان عظيمتان تشهدان على دقَّة بناء الخالق المقتدر. كقوله تعالى: ﴿هُوَ الّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسكُنُوا فِيْهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآياتٍ لِّقَومٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧].

وتستهل الآية الكريمة بالتَّأكيد على أنَّ الليل جُعل للرَّاحة والسَّكن، وكما أكَّدت عدة دراسات علمية أنَّ أصح نوم الإنسان هو في السَّاعات الأولى من الليل، وكما أنَّ الإنسان يحتاج إلى السَّكينة والاسترخاء، وكما ثبت علميا أنَّ نوم الليل يجدّد النَّشاط ويقوي الذَّاكرة، ويريح أغلب أجهزة الجسم، وأنَّ النَّوم في النهار وفي غير ساعات القيلولة يؤثر على الدورة الدَّموية في جسم الإنسان.

أمَّا النهار جعله سبحانه وتعالى للعمل والكد لكسب الرزق والعيش، فالنهار عبارة عن طبقة رقيقة من الغلاف الغازي المحيط بنصف الأرض المقابل للشَّمس، ولا يتعدى سمك طبقة نور النهار ٢٠٠ كلم على مستوى سطح البحر.

إذا فإنَّ التَّبادل المنظم بين الظَّلام والنّور على نصف الكرة الأرضية هو من ضروريات استقامة الحياة على الأرض، وبهذا التَّبادل يتم التَّحكم

---

[٥٠٠] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٩٠٩، ٧٤٠.

[٥٠١]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٣٤٠.

في درجات الحرارة والرّطوبة وكميات الضَّوء اللاَّزمة في الأرض. وصدق العلي القدير والقائل: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

من أقوال المفسرين

"أخبر أنه الذي جعل لعباده الليل ليسكنوا فيه، أي: يستريحون فيه من نصبهم وكلائهم وحركاتهم."[٥٠٢]

"أي: ألم يشاهدوا هذه الآية العظيمة والنّعمة الجسيمة وهو تسخير الله لهم الليل والنهار، هذا بظلمته ليسكنوا فيه ويستريحوا من التَّعب ويستعدوا للعمل، وهذا بضيائه لينتشروا فيه في معاشهم وتصرفاتهم. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ على كمال وحدانية الله وسبوغ نعمته."[٥٠٣]

***قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِيْنَ والْحِسابَ﴾ [الإسراء: ١٢].**

معاني الكلمات: "مَحَوْنَا: أزلنا وأبطلنا."[٥٠٤]

﴿ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِيْنَ والْحِسابَ﴾ فمن المعروف أنَّ السَّنة إمَّا أن تكون شمسية أو قمرية. ولو كان القمر مستمرًّا في الإضاءة الذَّاتية لما أمكن للإنسان حساب السّنين. ذلك للالتباس بين ضوئه وضوء الشَّمس، فكأنما سيكون هناك شمسان.

من أقوال المفسرين

"يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار، ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصّناعات والأعمال

---

[٥٠٢]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٩٣٨.

[٥٠٣]- السعدي، المرجع السابق، ص٧١٥.

[٥٠٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٣٦.

والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشّهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للدّيون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك."[٥٠٥]

***قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ [النبأ: ١٠ - ١١].**

معاني الكلمات: "اللَّيلَ لِبَاساً: أطلق اللّباس على الليل على سبيل التَّشبيه، لأن الظَّلام يحيط بالإنسان كما يحيط الثَّوب بلابسه.[٥٠٦]

من أقوال المفسرين

***قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّر أَو أَرَادَ شُكُوراً﴾ [الفرقان: ٦٢].**

معاني الكلمات: "خِلْفَةً: جعل الليل والنهار خِلفة: يخلف أحدهما الآخر. شُكُوراً: مصدر شكره: ذكر نعمته وأثنى عليه بها."[٥٠٧]

من أقوال المفسرين

"قال: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل واحد منهما الآخر، يتعاقبان لا يفتران. إذا ذهب هذا جاء هذا، وإذا جاء هذا ذهب ذاك."[٥٠٨]

***قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [النحل: ١٢].**

تشير الاية الكريمة عن دوران الارض حول محورها وحول الشمس، وتكوير النهار على الليل، وتكور اللل على النهار، ضياء ونورا للمهتدين.

من أقوال المفسرين

"ينبه تعالى عباده على آياته العظام، ومننه الجسام، في تسخيره الليل والنهار يتعاقبان، والشَّمس والقمر يدوران، والنجوم الثَّوابت والسيارات،

---

[٥٠٥]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١١٠٦.

[٥٠٦]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٠٤.

[٥٠٧]- المرجع نفسه، ص٣٧٠، ٦٣٨.

[٥٠٨]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٣٦٣.

في أرجاء السَّموات نورا وضياء لمهتدين بها في الظلمات، وكل منها يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه، يسير بحركة مقدرة، لا يزيد عليها ولا ينقص منها، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسييره."[٥٠٩]

***قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَواتِ وَالأَرضِ لَآيَاتٍ لِّقَومٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦].**

معاني الكلمات: "اخْتِلَافِ: اختلاف الليل والنهار: في الطّول والقصر والنّور والظّلمة."[٥١٠]

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب هذا، وإذا ذهب هذا جاء هذا، لا يتأخر عنه شيئا."[٥١١]

***قال تعالى: ﴿قُلْ ارَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَومِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيْكُمْ بِضِياءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ* قُلْ ارأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلى يَومِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأتِيْكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيْهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ* وَمِنْ رَّحمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ والنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٣].**

معاني الكلمات: "سَرْمَداً: زمنا دائما طويلا."[٥١٢]

تستهل الآية الكريمة بخطاب إلى الرسول الكريم قل -أيها الرسول: الى الناس أخبروني -أيها الناس- إن جعل الله عليكم الليل دائمًا إلى يوم القيامة، مَن إله غير الله يأتيكم بضياء تستضيئون به؟ أفلا تسمعون سماع فهم

---

[٥٠٩]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٥٨.

[٥١٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٦٩.

[٥١١]- ابن كثير، المرجع السابق، ص٩٢٤.

[٥١٢]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٧٠.

وقَبول؟ وكذا النهار؟ فقد جعلهما سبحانه يتعاقبان جعل الليل والنهار لتسكنوا فيه و﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

من أقوال المفسرين

"يقول الإمام الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: نبه الله تعالى بهذه الآية على أنَّ الليل والنهار نعمتان يتعاقبان على الزَّمان، لأن المرء في الدنيا مضطر إلى أن يتعب لتحصيل ما يحتاج إليه، ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولولا الرَّاحة والسّكون بالليل، فلا بد منهما في الدّنيا، وأما في الجنة فلا نصب ولا تعب فلا حاجة بهم الى الليل، فلذلك يدوم لهم الضّياء واللذَّات."[٥١٣]

***قال تعالى: ﴿وَاللَّيلِ إذا يَغْشَى* وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ١-٢].**

معاني الكلمات: " يَغْشَى: يغطي ويحتوي. تَجَلَّى: ظهر."[٥١٤]

الآيتان (١و٢) من سورة الليل، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٢١) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة الأعلى.

وأما أسباب النزول: قيل: عندما اشترى أبا بكر بلال من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق من ذهب وأعتقه، انزل الله تعالى قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ سعي آبا بكر وأمية بن خلف.

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ عن علي قال: قال رسول اللهﷺ: -ما منكم من أحد إلا كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار- قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ قال: -اعملوا فكل ميسر لما خلق له- ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾.

تتحدث عن مشاهد الكون وطبيعة الإنسان تقرر السورة حقيقة العمل والجزاء. وتتحدث عن مصير كل فريق . وتكشف عن نهاية المطاف

---

[٥١٣]- السيد الجميلي، المرجع السابق، ص٤٧.

[٥١٤] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨١٤، ٢٣٧.

لمن يسره لليسرى، ومن يسره للعسرى.

وتختم بالرّضى الذي ينسكب في قلب الأتقى. والرّضى يغمر روحة. إنَّه الرّضى يقيض على جوارحه. إنه الرّضى يشيع في كيانه. إنَّه الرّضى يندي حياته. إنها مفأجأة في موضعها هذا.

"الليل يغشي النهار من جميع الجهات وطبقة النهار طبقة رقيقة جدا مقارنة بقطر الأرض، هذه الطَّبقة من النهار تبدو قشرة رقيقة تنسلخ من الظَّلام الذي يغلفها من كل جانب."[٥١٥] وغشاء الليل والنهار لبعضهما كناية ضمنية عن دوران الأرض حول محورها أمام الشَّمس، ولو لم يكن هذا الدَّوران ما كان لا ليل ولا نهار.

من أقوال المفسرين

"هذا قسم من الله بالزمان الذي تقع فيه أفعال العباد على تفاوت أحوالهم، فقال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [أي: يعم] الخلق بظلامه، فيسكن كل إلى مأواه ومسكنه، ويستريح العباد من الكد والتعب."[٥١٦]

"﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ أي واقسم بالنهار إذا تجلى وانكشف."[٥١٧]"

***قال تعالى: ﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوْلِجُ اللَّيلَ فِى النَّهَارِ وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١].**

"﴿يُوْلِجُ﴾يكور. وليجة: كل شيء أدخلته في شيء."[٥١٨]

من أقوال المفسرين

"ومعنى إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل: إدخاله من هذا في هذا، ومن هذا في هذا، فتارة يطول الليل ويقصر النهار، كما في الشّتاء، وتارة يطول النهار ويقصر الليل، كما في الصَّيف."[٥١٩]

---

[٥١٥]- حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص١١٨.

[٥١٦] - السعدي، المرجع السابق، ص١٠٩٣.

[٥١٧] - محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٥٦٩.

[٥١٨] - صحيح البخاري، المرجع السابق، ص٧٩١.

"﴿يُوْلِجُ اللَّيلَ فِي النَّهَارِ وَيُوْلِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾،أو بسبب: أنَّه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف."[٥٢٠]

٣-٤ المبحث الثالث: الكُسُوف و الخُسُوف

من المعروف عند علماء الفلك أن الأجرام السَّماوية ليست متساوية الإبعاد عن الأرض، ويصادف في حالات أن يمر جرم أمام جرم آخر فينتج عن ذَلك حجب الجرم الأول مثل الأرض فينتج –**الكُسُوف**- كمرور القمر بين الأرض والشَّمس، وعلما بأنَّ القمر أقرب إلى الأرض من الشَّمس فيظهر عن هذَا التَّساوي بينهما.

أما –**الخُسُوف**- فمن المعلوم أنَّ للأرض ظلا يمتد وراءها إلى مسافة ٩٠٠ ألف ميل، فإذا وقع القمر في هذا الظل أثناء سيره حول الأرض يقع خسوف كلي وإن وقع جزء منه وقع خسوف جزئي.

***قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة:٧-٨-٩].**

معاني الكلمات: "بَرِقَ ٱلْبَصَرُ: فزع ودهش ولم يبصر. خَسَفَ ٱلْقَمَرُ: ذهب ضوءه. "[٥٢١]

من أقوال المفسرين

"ويحدث من وقت إلى آخر ما يعرف -بكسوف- الشَّمس فيقع القمر أمام الشَّمس بالضَّبط وعندئذ نراه يكاد يغطيها تماما."[٥٢٢]

"إذا كانت القيامة برقت الأبصار من الهول العظيم، وشخصت فلا تطرف كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ

---

[٥١٩]- ابن كثير المرجع، السابق، ص١٢٨٥.

[٥٢٠]- الكشاف، المرجع السابق، ص٢٠٨.

[٥٢١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٢٩، ٣٥٣.

[٥٢٢]- سير جيمس جينز، المرجع السابق، ص٨.

مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُم هَوَاءٌ﴾ الآية.[٥٢٣]"

٤-٤ المبحث الرابع: الشُّهب والنَّيازك

إنَّ الكلام المثير والجذاب عن الشُّهب والنَّيازك يطرأ السامع للتمعن فيه، وخاصة عندما يسمع بأنَّ الشُّهب والنَّيازك ضيوف الأرض من السَّماء، ويتعجب الإنسان من تلك الأجسام النَّارية العجيبة، رغم أنَّ الإنسان ينتابه الخوف من الظَّاهرة، فهي تخترق الجو بسرعة هائلة والتي يمكث بريقها ثوان أو جزءا من الثانية والذي يعرف بالشّهب، وقد أكد العلماء بأن الشُّهب والنَّيازك أصلها كويكبات صغيرة هاربة أو المذنبات والسدم المجرية. وهي في الأصل مذنبات تتعرض أثناء دورانه في أفلاكها لجذب الشَّمس أو جذب سيار كالمشتري فتنفصل وتسقط منها أجزاء أو تنشق إلى جزأين أو أكثر. وهذه الأجزاء تعرف بلمتيورات ونسميها (نيازك) تهوي هذه الأجزاء نحو سطح الأرض وهي تخترق طبقات الهواء وتسقط غبارا والكبيرة منها تضيء من شدة السخونة وتسمى (الشُّهب). وأصل الشُّهب هي جسيمات تتحول في الفضاء وتأتي إلى الأرض كل يوم بالملايين، وهي خليط من الصَّخر والنيكل وهي صغيرة الحجم ولكن بعضها كبير يصل إلى ٦٠ طنا.

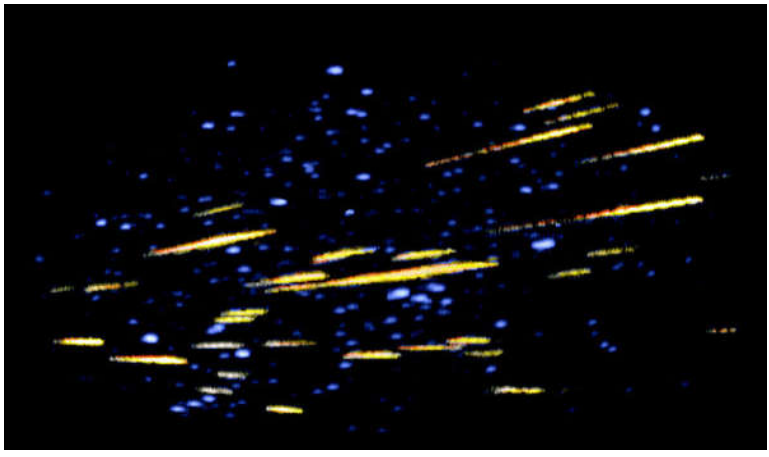

[٥٢٣] - السعدي، المرجع السابق، ص١٠٦٠.

نيزك ويلاميت وجد في ولاية أوريغون بالولايات المتحدة.
موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة

ويقول "السير جينز": "إن مذنب (بيلا) ظهر منشقا إلى جزأين سنة١٨٤٦م، ثم ظهرا الجزءان سنة١٨٥٢م على صورة مذنبين منفصلين، ثم اختفيا وظهرت بدلا منهما جموع حاشدة من متيورات صغيرة مضيئة في جو الأرض وهي (الشّهب.) "[٥٢٤]

وذكرت أيضا مجلة العلم والحياة العدد ١٢، السَّنة الثالثة، آذار سنة ١٩٧١ ما يلي: في أيلول ١٩٦٩م سقط نيزك في استراليا عند مدينة مركسن، وقام فريق من العلماء بدراسة شظايا هذا النيزك، وتم العثور على ١٦ حامضا امينيا، وهي المكونات الأساسية لبروتينات الحياة. ووجدوا كذلك مواد عضوية (هايدرو كاربونية) من النَّوع الموجود على سطح الأرض.

***قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبا: ٢].**

معاني الكلمات: "يَلِجُ: يدخل. يَعْرُجُ: يصعد."[٥٢٥]

الآية (٢) من سورة سبأ، وهي سورة مكية، إلا آية واحدة اختلف فيها، وهي الآية (٦)، قيل: هي مكية، وقيل: هي مدنية، وعدد آياتها (٥٤) آية بعد

---

[٥٢٤] - حنفي احمد، المرجع السابق، ص١٠١.

[٥٢٥] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٢٠٠، ٧٥٥.

البسملة.

موضوع السورة يدور حول قصَّة سبأ.

حفظ سبحانه وتعالى أن بقع ما في السَّماء علينا، وكما أنَّ الغلاف الجوي للأرض يحرق جميع الشّهب ومعظم النَّيازك قبل أن تقع على الأرض ويمتص أيضا الجسيمات الضَّارة كالأشعة الكونية والإشعاعات القاتلة كالأشعَّة فوق البنفسجية وغيرها والقادمة من الفضاء، وسبحانه وتعالى يعلم ما في السَّماء والأرض، وهو الرَّحيم الغفور. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٣٢].

من أقوال المفسرين

"﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾- أي: من مطر، وبذر، وحيوان ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من أنواع النَّباتات، وأصناف الحيوانات ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأملاك والأرزاق والأقدار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة والأرواح وغير ذلك."[٥٢٦]

"﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾- أي: يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض ، والحب المبذور والكامن فيها ، ويعلم ما يخرج من ذلك: عدده وكيفيته وصفاته، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من قطر ورزق، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: من الأعمال."[٥٢٧]

***قال تعالى: ﴿..أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ..﴾ [سبا:٩].**

معاني الكلمات: "كِسَفًا: قطعة."[٥٢٨]

تتحدث الآية الكريمة في جزئها هذا: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ أي إن نشأ نسقط عليهم نيازك من الفضاء وهي على شكل قطع، كما في قول

---

[٥٢٦] - السعدي، المرجع السابق، ص٧٩١.

[٥٢٧] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٥٣١.

[٥٢٨] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٩٦٦.

تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور:٤٤].

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: لو شئنا لفعلنا بهم ذلك لظلمهم وقدرتنا عليهم، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا."[٥٢٩]

"قال اللّه: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾- أي: من العذاب، لأنَّ الأرض والسَّماء تحت تدبيرنا، فإن

أمرناهما لم يستعصيا، فاحذروا إصراركم على تكذيبكم، فنعاقبكم أشد العقوبة."[٥٣٠]

***قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن:٨].**

معاني الكلمات: "لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ: وصلنا إليها. حَرَسًا: حراسا وحفاظا. " [٥٣١]

الآية (٨) من سورة الجن، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٢٨) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة الأعراف.

سميت بهذا الاسم لأنَّه ذُكر فيها أوصاف الجن وأحوالهم وطوائفهم.

وقد تكفَّلت هذه السورة بتصحيح ما كان مشركو العرب وغيرهم يظنونه عن قدرة الجن ودورهم في هذا الكون. أما الذين ينكرون وجود هذا الخلق إطلاقاً فلا ندري علام يبنون هذا الإنكار، وتسميته خرافة.

إثر الدّراسة التي توصل إليها العلماء بأنَّ طول ذيول الشّهب المضيئة ومعدل إبطائها عند اختراقها للسَّماء هي نوعان، أحدهما ذو كثافة الكويكبات ويحوي شظايا كويرات كبيرة وشديدة اللَّمعان، والأخرى ذات

---

[٥٢٩] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٥٣٢.

[٥٣٠] - السعدي، المرجع السابق، ص٧٩٢.

[٥٣١] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٢٠، ٢٧٨.

شهب هشة كثافتها منخفضة وتتكون من مادة رغوية من أصل مذنبي، وهو نوع خافت.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن:٨].

إن في خلق الله آية كما تبينه الآية الكريمة للسَّماء حراس أشدَّاء كالأشعة الكونية وفوق البنفسجية وجاما واكس وكذلك جسيمات المادة المضادَّة التي تقضي على كل ما يعترضها من أشياء يعلمها سبحانه علاَّم الغيوب.

من أقوال المفسرين

"﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾- أي: أتيناها واختبرناها، ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ عن الوصول إلى أرجائها [والدنو منها]، ﴿وَشُهُبًا﴾ يرمى بها من استرق السَّمع، وهذا بخلاف عادتنا الأولى، فإنَّا كنا نتمكن من الوصول إلى خبر السَّماء. "[٥٣٢]

"يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أنَّ السَّماء ملئت حرسا شديد وحفظت من سائر أرجائها."[٥٣٣]

***قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨].**

معاني الكلمات: "اسْتَرَقَ السَّمْعَ: استمع إلى المتكلم في خُفية." [٥٣٤]

أي إلا من اختلس السمع مِن كلام أهل الملأ الأعلى في بعض الأوقات، فأدركه ولحقه شهاب. وقد يُلْقي الشيطان إلى وليه بعض ما استرقَه قبل أن يحرقه الشهاب.

من أقوال المفسرين

---

[٥٣٢] - السعدي، المرجع السابق، ص١٠٥١.

[٥٣٣] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٢٥.

[٥٣٤] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٧٠.

"وجعل الشّهب حرسا لها من مردة الشَّياطين، لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى، فمن تمرد منهم [وتقدم] لاستراق السَّمع، جاءه ﴿شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ فأتلفه." [٥٣٥]

"﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ - أي: في بعض الأوقات قد يسترق بعض الشَّياطين السَّمع بخفية واختلاس، ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾- أي: بين منير يقتله أو يخبله." [٥٣٦]

***قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات:١٠].**

معاني الكلمات: "خَطِفَ الْخَطْفَةَ: أخذها في سرعة، وذلك مجاز عما يتسمعه الشَّيطان من خبر السَّماء." [٥٣٧]

إلا مَنِ اختطف الكلمة التي يسمعها من السماء بسرعة، فيلقيها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب المضيء قبل أن يلقيها، وربما ألقاها بقَدَر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب، فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكهنة، ويستغلها الكاهن .

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ تارة يدركه قبل أن يوصلها إلى أوليائه، فينقطع خبر السَّماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشّهاب، فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السَّماء." [٥٣٨]

"وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة ، وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلى الذي تحته ، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشّهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها

---

[٥٣٥] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٤٤.

[٥٣٦] - السعدي، المرجع السابق، ص٤٩٨.

[٥٣٧] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٦٠.

[٥٣٨] - السعدي، المرجع السابق، ص٨٢٣.

بقدر الله قبل أن يأتيه الشّهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن." [٥٣٩]

***قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل:٧].**

معاني الكلمات: "آنَسْتُ نَارًا: أبصرت نارا . قَبَس: نار أو شعلة منها. [٥٤٠]

تستهل الآية الكريمة بسرد قصة موسى عليه السلام حين قال لأهله في مسيره من (مدين) إلى (مصر): إني أبصَرْتُ نارًا سآتيكم منها بخبر يدلنا على الطريق، أو آتيكم بشعلة نار؛ كي تستدفئوا بها من البرد.

من أقوال المفسرين

"الشّهاب: الشّعلة. والقبس: النَّار المقبوسة، وأضاف الشّهاب إلى القبس لأنَّه يكون قبساً وغير قبس. ومن قرأ بالتَّنوين: جعل القبس بدلاً، أو صفة لما فيه من معنى القبس."[٥٤١]

"فقال: ﴿لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أي: عن الطَّريق، ﴿أو آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ أي: تتدفئون به." [٥٤٢]

***قال تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩].**

تستهل الآية الكريمة بسرد وقائع عن الجن من قولهم، توحي بأنهم قبل رسالة سيدنا محمدﷺ ولربما في الفترة بينها وبين الرسالة التي قبلها وهي رسالة عيسى عليه السلام- كان يحاول الإتصال بالملأ الأعلى، واستراق السمع ليعرف ما يدور فيه، بين الملائكة، عن شؤون الخلائق في الأرض، مما يكلفون قضاءه تنفيذا لمشيئة الله وقدره . وبعد ذلك يوحون بما سمعوه والتقطوه لأوليائهم من الكهان والعرافين، ليقوم هؤلاء بفتنة الناس وفق خطة إبليس!

---

[٥٣٩] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٥٨٠.

[٥٤٠] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٩٤، ٨٧١.

[٥٤١] - الكشاف، المرجع السابق، ص٤٣١.

[٥٤٢] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٣٩٠.

على أيدي هؤلاء الكهان والعرافين الذين يستغلون القليل من الحق فيمزجونه بالكثير من الباطل، ويروجونه بين جماهير الناس في الفترة بين الرسالتين.

من أقوال المفسرين

"﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ فنتلقف من أخبار السماء ما شاء الله. ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾- أي: مرصدا له، معدا لإتلافه وإحراقه،- أي: وهذا له شأن عظيم، ونبأ جسيم."[٥٤٣]

٤-٥ المبحث الخامس: الزَّمان والمكان في القرآن الكريم

"الزمن شيء ليس له معنى إلا في وجود أحداث تميزه، تماما كالألوان التي لا نحس بها إلا في وجود العيون المبصرة."[٥٤٤]

***قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩].**

معاني الكلمات: "ٱلْأَهِلَّةِ: جمع هلال، وهو القمر إلى سبع ليال في أول الشَّهر القمري، وقبل نهايته بمثلها. مَوَٰقِيتُ: جمع ميقات، وهو الوقت."[٥٤٥]

إنَّ اليوم الأرضي هو الفترة التي تكمل فها الأرض دورة كاملة حول نفسها، بينما الشَّهر العربي هو الفترة التي يتم فيها القمر دورة كاملة حول الأرض، بنما السَّنة الأرضية هي أنَّ الأرض تكمل دورة كاملة حول الشَّمس، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ إشارة واضحة لاعتبار أهلة القمر واختلاف صورها هي نتيجة دوران القمر حول الأرض على مدار الشَّهر العربي. ﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ في العبادة والأمور الدنيوية.

"ويمكن فيما يلي تلخيص الملامح الرئيسية للكون في تتابع زمني تقريبي للحوادث الكونية طبقا لتصورات العلم الحديث باستخدام السَّنة

---

[٥٤٣]- السعدي، المرجع السابق، ص ١٠٥١.

[٥٤٤]- منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٨٩.

[٥٤٥]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١١٥٢، ١١٩٢.

الأرضية كوحدة لقياس الزَّمن."[٥٤٦]

الحادثة الكونية وتاريخ حدوثها

- انفجار كرة الكون الأولية –البيضة الكونية- منذ١٣ بليون سنة
- تكون أقدم النجوم في مجرتنا - ١٠ بليون سنة.
- تكون نجم الشَّمس- ٥ بليون سنة.
- تكون الأرض بكتلتها الحالية- ٤.٥بليون سنة.
- تكون أقدم الصّخور المعروفة على الأرض-٣.٥بليون سنة.
- تكون الغلاف الهوائي الكامل للأرض- ٣.٥بليون سنة.
- استقرار الغلاف الجوي على ما هو عليه الآن-١بليون سنة.
- تكون أقدم الحفريات- البكتريا والطَّحالب الخضراء المزرقة- ٣.٤بليون سنة.
- تكون المحيطات بنفس حجمها الحالي تقريبا-٣بليون سنة.
- بدء إنتاج الأكسجين من النَّبات- ٢بليون سنة.
- إنتاج معظم سجل الحفريات- ٦٠٠مليون سنة.
- ظهور الأسماك-٥٠٠ مليون سنة.
- ظهور البرمائيات مثل الضَّفادع- ٣٥٠مليون سنة.
- ظهور الزواحف والنباتات الأرضية والغابات- ٣٠٠مليون سنة
- ظهور الديناصورات- ٢٠٠مليون سنة
- ظهور الطّيور والثَّدييات- ١٥٠مليون سنة
- تكون الجبال الصَّخرية- ٨٠مليون سنة
- آخر عصر جليدي- ٣مليون سنة
- ظهور الإنسان- منذ فترة تتراوح من١١ إلى ٣٥ الف سنة.

من أقوال المفسرين

[٥٤٦]- منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٩١.

"يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ جمع (هلال) ما فائدتها وحكمتها؟ أو عن ذاتها."[٥٤٧]

"قوله: ﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ جمع ميقات أي فعلنا ذلك ليعلم الناس أوقات الحج والعمرة والصَّوم، والإفطار وآجال الديون وعدد النساء، وغيرها فلذلك خالف بينه وبين الشَّمس التي هي دائمة على حالة واحدة." [٥٤٨]

***قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧].**

تستهل الآية الكريمة باليوم الذي في ملكه سبحانه علاَّم الغيوب مثل ألف سنة مما نعد نحن البشر على الأرض، وهذه الآية إشارة للسّرعة الكونية العظمى وهي سرعة الضَّوء. صحيح أن اليوم عند الله يمثل مرحلة زمنية لا يستطيع البشر تصورها فلا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى. ففي ديسمبر ١٩٨٩م عقدت ندوة تحضيرية عقدتها هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمقر رابطة العالم الإسلامي واتَّفق على تفسير قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]. كما يلي"المسافة القصوى التي يقطعها الأمر الكوني في يوم أرضي تساوي تماما المسافة التي يقطعها القمر في مداره حول الأرض في ألف سنة قمرية."[٥٤٩] وإشارته إلى خلق الكون في ستة أيام لا تتعارض مع العلم الحديث، ما دام اليوم عنده أطول قد يمتد إلى آلاف أو ملايين السنين، قوله: ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾- كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]. وكُتب في التَّوراة: "وكملت السَّماء والأرض وجميع زينتها،

---

[٥٤٧]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٦.

[٥٤٨] - البغوي، المرجع السابق، ص٢١١.

[٥٤٩]- منصور محمد حسب النبي، المرجع السابق، ص٩٩.

وكمل الله في اليوم السَّادس جميع أعماله، واستراح في اليوم السَّابع من جميع أعماله."[٥٥٠]

فقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ردا على هذا: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ أي: لا تعب ولا إرهاق.

والحمد لله على نعمته فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: - ٩].

من أقوال المفسرين

"وقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي: هو تعالى لا يعجل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلى حكمه، لعلمه بأنَّه على الانتقام قادر، وأنه لا يفوته شيء."[٥٥١]

"أنّ يوماً واحداً عنده كألف سنة عندكم. قيل: معناه كيف يستعجلون بعذاب من يومٌ واحد من أيام عذابه في طول أَلف سنة من سنيكم؛ لأنَّ أيام الشَّدائد مستطالة. أو كأن ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سني العذاب. وقيل: ولن يخلف الله وعده في النظرة والإمهال. وقرىء: «تعدون» بالتاء والياء، ثم قال: وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع إليّ وإلى حكمي."[٥٥٢]

***قال تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ [الكهف:٢٥-٢٦].**

معاني الكلمات: "لَبِثُواْ- لبث: أقام."[٥٥٣]

تستهل الآية بسرد المدة الزَّمنية تقدر ب ٣٠٠ سنة شمسية وهي

---

[٥٥٠]- انظر كتاب التوراة، (سفر الخليقة والتكوين)، المرجع السابق، ص١٠٦.

[٥٥١]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٨١.

[٥٥٢]- الكشاف، المرجع السابق، ص٢٠٢.

[٥٥٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٠٢.

تعادل ٣٠٩ سنة قمرية بالنسبة لسكان الأرض ولهذا سبقت علوم الفلك والحسابات الفلكية. ومن المعلوم أنَّ الزمن نسبي فإنَّ الآية الكريمة تستطرد في إعجاز علمي بالغ بقوله تعالى قل يا محمدﷺ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾. والله اعلم.

من أقوال المفسرين

"هذا خبر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم، منذ أرقدهم الله إلى أن بعثهم وأعثر عليهم أهل ذلك الزَّمان، وأنَّه كان مقداره ثلاثمائة [سنة] وتسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة سنة بالشَّمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة
[سنة] بالقمرية إلى الشَّمسية ثلاث سنين؛ فلهذا قال بعد الثَّلاثمائة: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾."[٥٥٤]

***قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة:٣٦].**

معاني الكلمات: "عِدَّةَ الشُّهُورِ: عددها. "[٥٥٥]

تستهل الآية الكريمة بورود معيار الزمن ، وتحديد دورانه إلى طبيعة هذا الكون العجيب وإلى فطرته التي فطرها اللّه عليها. وإلى أصل الخلقة. خلقة السَّماوات والأرض. وهنا إشارة جازمة إلى أنَّ هناك دورة زمنية ثابتة، مقسَّمة إلى اثني عشر شهراً. يستدل على ثباتها بثبات عدة الأشهر؛ فلا تزيد في دورة وتنقص في دورة. وأنَّ ذلك في كتاب اللّه- أي في ناموسه الذي أقام عليه نظام هذا الكون. فهي ثابتة على نظامها، لا تتخلف ولا تتعرض للنقص والزيادة. فهي وفق ما أراد الخالق والمعروفة في﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ بمعنى في حكمه القدري.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ وهي هذه الشّهور المعروفة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾

---

[٥٥٤]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١١٥٢.

[٥٥٥]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٤٦.

أي في حكمه القدري، ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّموات وَالْأَرْضَ﴾ وأجرى ليلها ونهارها، وقدر أوقاتها فقسَّمها على هذه الشُّهور الاثني عشر [شهرًا].﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وهي: رجب الفرد، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم."[٥٥٦]

"وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة: ثلاثة سرد. وواحد فرد لأجل أداء مناسك الحج والعمرة فحرم قبل الحج شهرا وهو ذو القعدة يقعدون فيه عن القتال وحرم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج، ويشتغلون بأداء المناسك، وحرم بعده شهرا آخر هو المحرم، ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين، وحرم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثم يعود إلى وطنه آمنا."[٥٥٧]

✓ **الانكماش الزَّمني**

***قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]. وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥].**

معاني الكلمات: "ٱلرُّوحُ: جبريل عليه السلام." [٥٥٨]

الآية (٤) من سورة المعارج وهي سورة مكية،آياتها (٤٤) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة الحاقة.

أما أسباب النزول: قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ نزلت في النضر بن الحارث حين قال: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الانفال٣٢].

وقوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّآ﴾ نزلت في المشركين الذين يجتمعون حول رسول اللهﷺ ولا ينتفعون بكلامه، بل يكذبون ويستهزءون.

---

[٥٥٦]- السعدي، المرجع السابق، ص٣٨٣.

[٥٥٧] - ابن كثر، المرجع السابق، ص٨٧٨.

[٥٥٨]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥١٨.

سميت بهذا الاسم لأنها تَضَمُّن على وصف حالة الملائكة في عروجها إلى السماء، فسُميت بهذا الاسم.

الآية (٥) من سورة السجدة سورة مكية، ماعدا الآيات (١٦: ٢٠) فمدنية، من المثاني، آياتها (٣٠) آية، نزلت بعد سورة المؤمنون.

سُميت سورة السجدة لما ذكر تعالى فيها من أوصاف المؤمنين الذين إذا سمعوا آيات القرآن العظيم ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة:١٥]. وقال البقاعي: واسمها السجدة منطبق على ذلك بما دعت إليه آيتها من الإخبات وترك الاستكبار.

تستهل الآية الأولى بعروج الملائكة والروح وهو جبرائيل والثانية بعروج الأمر الكوني، لو نقارن بين الآيتين الأولى والثانية هنا الانكماش الزَّمني والذي يعطي دلالة واضحة على أنَّ سرعة العروج كبيرة في كلتا الحالتين وتقترب جدا من سرعة الضَّوء، وهذا إعجاز علمي، فطبقا للنَّظرية النّسبية فإنَّ الانكماش الزَّمني يزداد كلما ازدادت السّرعة، ولهذا فإنَّ عروج الملائكة والرّوح سيتم في يوم كان مقداره على الأرض خمسين ألف سنة، مما يعطي انكماشا زمنيا أكبر، أما عروج الأمر الكوني ألف سنة، هنا سرعة عروج الملائكة والروح أكبر من سرعة الأمور الكونية، لأنَّ الملائكة والرّوح مخلوقات نورانية يعرجون فيما وراء الطَّبيعة قد تسير بسرعة الضَّوء أو أعلى وهي أسرع من المخلوقات الأخرى في الطَّبيعة التي تجري بين السَّماء والأرض.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم :١٧].- إنَّ المادة قد تتحوَّل إلى طاقة في عملية تسمَّى التَّموجِ، وتتحوَّل الطَّاقة إلى مادة في عملية تسمَّى التَّجسيد، وبهذا فإن تجسد الملائكة على شكل بشر كما تبينه هذه الآية في تجسد جبريل للعذراء مريم عليها السلام وتجسده لسيدنا محمد على هيئة رجل اسمه دحية الكلبي أمر مقبول علميا طبقا للنَّظرية النسبية.

من أقوال المفسرين

"وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ قال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿تَعْرُجُ﴾ تصعد. وأما الرّوح، فقال أبو صالح: هم خلق من خلق الله. يشبهون الناس، وليسوا أناسا.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد به جبريل، ويكون من باب عطف الخاص على العام."[٥٥٩]

"ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة من طوله وشدته، لكن الله تعالى يخففه على المؤمن."[٥٦٠]

"وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي: يتنزل أمره من أعلى السَّماوات إلى أقصى تخوم الأرض السَّابعة يدبّر الأمر من السَّماء إلى الأرض ثم يعرج إليه أي: يتنزل أمره من أعلى السَّماوات إلى أقصى تخوم الأرض السَّابعة."[٥٦١]

"﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ وهو يعرج إليه، ويصله في لحظة."[٥٦٢]

"وثبت أيضا بالدَّليل العلمي أنَّ اليوم على سطح القمر يساوي تسعة وعشرين يوما من أيام الأرض، وعلى ذلك فإنَّ الأيام تختلف من كوكب إلى كوكب."[٥٦٣]

***

[٥٥٩]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩١٧.

[٥٦٠]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٤٤.

[٥٦١]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٤٧٢.

[٥٦٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٧٦٧.

[٥٦٣]- السيد الجميلي، المرجع السابق، ص٥٥.

٥- الفصل الخامس: الظَّوَاهر الجوية في القرآن الكَريم
٥-١ المبحث الأول: الرياح
٥-٢ المبحث الثاني: السحاب والمطر والبرق والرعد.
٥-٣ المبحث الثالث: الحر والبرد
٥-٤ المبحث الرابع: نِهَايَة البدَايَة (الانسحَاق الشَّديد)

٥-الفصل الخامس: الظَّوَاهر الجوية في القرآن الكَريم

إنَّ الظَّواهر الجوية كالرياح والسَّحاب والبرق والمطر أشار إليها القرآن الكريم كثيرا، رغم أنَّ الإشارة لهذه الظَّواهر مجملة ودون تفصيل، وترك المجال للعقل ولكن رغم التَّقدم العلمي ما يزال هذا العقل في حيرة في كثير من هذه الظَّواهر الجوية، رغم استعانة الإنسان بالأقمار الصّناعية والحسابات الالكترونية ليتوصل إلى الحقيقة، والقرآن الكريم استعمل كلمة إرسال وكلمة تصريف وكل كلمة لهامدلولها ومعناها.

٥-١ المبحث الأول: الرياح

✓ **أنواع الرّياح المذكورة في القرآن الكريم**

الرّياح جند من جنود الله، حيث اختلف العلماء في عددها وأسمائها فمنهم من قال وهذا أغلب ما قيل: الرّياح ثمان، أربع عذاب، وأربع رحمة، فأما الرَّحمة: فالنَّاشرات: والذَّاريات، والمرسلات، والمبشّرات، وأما العذاب: فالعاصف، والقاصف، وهما في البحر، والصَّرصر والعقيم وهما في البر.

وقيل: إذا جاءت الرّيح بنفس ضعيف وروح فهي النَّسيم، فإذا كانت شديدة فهي العاصف، فإذا حركت الأغصان تحريكا شديدا وقلعت الأشجار فهي الزَّعزعان والزَّعزع، فإذا جاءت بالحصباء فهي الحاصب، فإذا هبت من الأرض نحو السَّماء كالعمود فهي الإعصار، ويقال لها أيضا زوبعة، وإذا كانت باردة فهي الصَّرصر، فإذا كانت حارة فهي الحرور والسَّموم، فإذا لم تلقح فهي العقيم.

١- الحاصب

***قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا﴾ [الاسراء:٦٨].**

الرّياح ظاهرة جوية ترتبط بالتّفاعل بين الكتل الهوائية الخارجة من مراكز المرتفعات الجوية إلى المنخفضات، وهي حركة جزيئات الهواء والغازات المكونة للغلاف الجوي، والرّياح توصف ككمية موجهة لها سرعة واتجاه. فيوجهها سبحانه وتعالى كيف ما شاء مثل الذين كفروا بنعمة الله لما نجاهم من الهلاك والموت، حتى إذا وصلوا إلى البر كفروا به، وأشركوا في عبادته غيره أن يرسل عليهم ريحا عاصفا تهلكهم. ولن يجدوا لهم وكيلا.

من أقوال المفسرين

"﴿أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾- أي: فهو على كل شيء قدير إن شاء أنزل عليكم عذابا من أسفل منكم بالخسف أو من فوقكم بالحاصب وهو العذاب الذي يحصبهم فيصبحوا هالكين، فلا تظنوا أنَّ الهلاك لا يكون إلاَّ في البحر."[٥٦٤]

٢- القاصف

***قال تعالى: ﴿أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا﴾ [الإسراء:٦٩].**

معاني الكلمات: "فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ: شديدة الهبوب، كاسرة ما تمر به."[٥٦٥]

القاصف وهي الرّيح القوية التي تُقلّب أمواج البحر، وفي هذه الآية يخبر سبحانه وتعالى المؤمنين الذين كفروا به حين نجَّاهم من البحر أن

---

[٥٦٤] - السعدي، المرجع السابق، ص٥٣٨.

[٥٦٥] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٩٠١.

يعيدهم فيه جزَاء كفرهم، فرسل عليهم قاصفا من الرّيح، وهذا النَّوع من الرّياح يقصف ما مر به فتحطمه وتكسره.

من أقوال المفسرين

"وإن ظننتم ذلك فأنتم آمنون من ﴿أَنْ يُعِيدَكُمْ﴾ في البحر ﴿تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾- أي: ريحا شديدة جدا تقصف ما أتت عليه. ﴿فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾- أي: تبعة ومطالبة فإنَّ الله لم يظلمكم مثقال ذرة.[٥٦٦]"

٣- العاصف

***قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس:٢٢].**

معاني الكلمات: "وَجَرَيْنَ بِهِم: مرت الفلك بهم مسرعة. رِيحٌ عَاصِفٌ: شديدة الهبوب."[٥٦٧]

تستهل الآية الكريمة بأنَّه سبحانه وتعالى مسير الناس في البر على الظَّهر وفي البحر على السّفن، حتى جرت بهم بريح طيبة في البحر وفرحوا بها حدثت ريح شديدة فأغرقت السَّفينة ومن فيها.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بما يسر لكم من الأسباب المسيرة لكم فيها، وهداكم إليها.﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ أي: السّفن البحرية ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ موافقة لما يهوونه، من غير انزعاج ولا مشقة. ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾ واطمأنوا إليها، فبينما هم كذلك، إذ ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب.[٥٦٨]"

٤- العقيم

---

[٥٦٦]- السعدي، المرجع السابق، ص٥٣٨.

[٥٦٧]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٢٢، ٧٦٧.

[٥٦٨]- السعدي، المرجع السابق، ص٤١٤.

***قال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات :٤١].**

معاني الكلمات:"ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ: غير الممطرة، والمراد: أنها كانت مهلكة.[٥٦٩]"

ذكر سبحانه وتعالى إرسال الرّيح العقيم وهي التي لا تعقّم الأشجار ولا الأرض فهي ريح لا خير فيها ولا يرجى نفعها للإنسان ولا الحيوان والنَّبات والأشجار، سواء كانت باردة أو حارة، فهي في حد ذاتها عذاب تهلك الناس والأرض بغير نفع. قال تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢].

من أقوال المفسرين

"أي ﴿وفي عَادٍ﴾ القبيلة المعروفة آية عظيمة ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾- أي: التي لا خير فيها، حين كذبوا نبيهم هودا عليه السلام."[٥٧٠]

٥- الصرصر

***قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة:٦].**

معاني الكلمات: "ريح صَرْصَرٍ: برد وصوت. ريح عاتية: شديدة العصف."[٥٧١]

أما أسباب النزول- قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ قال رسول اللهﷺ لعلي: -إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وتعي وحق على الله أن تعي- فنزلت: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾

وهي لونٌ من ألوان العذاب التي أهلك الله تعالى فيها قوم.

من أقوال المفسرين

"﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾- أي: قوية شديدة الهبوب لها صوت أبلغ من صوت الرعد [القاصف] ﴿عَاتِيَةٍ﴾ [أي:] عتت على خزانها، على قول كثير من المفسرين، أو عتت على عاد وزادت على الحد كما هو

---

[٥٦٩]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٧٧.

[٥٧٠]- السعدي، المرجع السابق، ص٩٥٧.

[٥٧١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٦٦٩، ٧٤١.

الصَّحيح."[٥٧٢]

***قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران:١١٧].**

معاني الكلمات: "صِرٌّ: شدة البرد. رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ: شدة البرد." [٥٧٣]

الآية (١١٧) من سورة آل عمران، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها مائتان آية بعد البسملة.

سمّيت السورة بآل عمران لورود قصَّة آل عمران أي عائلة عمران وهو والد مريم أمّ عيسى، وقصَّة بولادة مريم العذراء وابنها عيسى ابن مريم. وقد سمَّاها النبي بذلك.

أما أسباب النزول ذكر لها ٤١ سببا.

تحدثت السورة بالتَّفصيل عن النفاق والمنافقين وموقفهم من تثبيط همم المؤمنين،

وختمت بالتَّفكر والتَّدبّر في ملكوت السَّماوات والأرض وما فيهما من إتقانٍ وإبداع، وعجائب وأسرار تدل على وجودِ الخالق الحكيم، وقد ختمت بذكر الجهاد والمجاهدين في تلك الوصية الفذّة الجامعة، التي بها يتحقق الخير، ويعظم النَّصر، ويتم الفلاح والنَّجاح.

وتستهل الآية الكريمة بضرب الامثال للناس مثل ما ينفق الذين كفروا في هذه الدنيا - ولو كان ينفق فيما ظاهره الخير والبر - ومثل ما بأيديهم من نعم الأولاد والأموال. كلها إلى هلاك وفناء. دون ما متاع حقيقي ودون ما جزاء ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾.

من أقوال المفسرين

"ثم ضرب مثلا لما ينفقه الكفار من أموالهم التي يصدون بها عن سبيل الله ويستعينون بها على إطفاء نور الله، بأنها تبطل وتضمحل، كمن

---

[٥٧٢] - السعدي، المرجع السابق، ص١٠٤٠.

[٥٧٣] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٦٦٩، ٣٣٩.

زرع زرعا يرجو نتيجته ويؤمل إدراك ريعه، فبينما هو كذلك إذ أصابته ريح فيها صر،- أي: برد شديد محرق، فأهلكت زرعه، ولم يحصل له إلا التَّعب والعناء وزيادة."[٥٧٤]

✓ **منافع الرياح**

١- تبشر بالمطر

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧] وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦].

معاني الكلمات: "بُشْرًا: جمع بشير. ويرسل الرّياح بشرا: حافلة بما يسر من السَّحاب الممطر. أَقَلَّتْ: حملت ورفعت. سَحَابًا ثِقَالًا: محملا بالامطار."[٥٧٥] ٢٠٤

فهي تبشّر بالمطر، وبصلاح الأرض وكل مخلوقاته. وهي تتكون من: المركبة الرَّأسية وهي المسؤولة عن إثارة السَّحاب وإظهاره حيث يبرد الهواء بالارتفاع وبذلك يتكثَّف بخار الماء غير المرئي النَّاتجة عن أشعة الشَّمس في البحار والمحيطات تصعد إلى الأعلى فتتكوَّن قطرات الماء فتظهر السَّحاب، أما المركبة الأفقية فهي المسؤولة عن بسط السَّحاب ونشره، والمركبة الرَّأسية للرّياح تنشأ عادة بسبب عدم الاستقرار في الكتل الهوائية أو ارتقاء الرّياح للجبال الحملية للرّياح متوازنة مع قوة وزن السَّحاب المتَّجهة إلى أسفل، قال: ﴿أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ والنَّتيجة هي أنَّ القوة الأفقية تصبح مؤثرة لتحريك السَّحاب جانبًا ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾. فيحيي به الأرض الميتة.

---

[٥٧٤] - السعدي، المرجع السابق، ص١٥٢.

[٥٧٥] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٣٥، ٩١٢، ٢٠٤.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾- أي: الرّياح المبشرات بالغيث، التي تثيره بإذن اللّه من الأرض، فيستبشر الخلق برحمة اللّه، وترتاح لها قلوبهم قبل نزوله."[٥٧٦]

قال أبو عبيدة: (لواقح) هي ملاقح مفردها ملقحة. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف٥٧]. يقول أبو حيان: ومعنى بين يدي رحمته، أي أمام نعمة وهو المطر الذي هو من اجل النّعم وأحسنها أثرا على الإنسان."[٥٧٧]

٢- لواقح

***قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر:٢٢].**

معاني الكلمات: "لَوَاقِحَ: ذوات لقاح: وهو ما يلقح به الشَّجر والنَّبات. بِخَازِنِينَ: بحافظين. "[٥٧٨]

أرسل سبحانه وتعالى الرَّياح لتلقيح الأشجار والنَّباتات..

من أقوال المفسرين

"أي: وسخَّرنا الرياح، رياح الرَّحمة تلقح السَّحاب، كما يلقح الذَّكر الأنثى، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله."[٥٧٩]

٣- تسيير السّفن

***قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ**

---

[٥٧٦] - السعدي، المرجع السابق، ص٣٢٩.

[٥٧٧] - السيد الجميلي، المرجع السابق، ص٤٦.

[٥٧٨] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠١٤، ٣٤٩.

[٥٧٩] - السعدي، المرجع السابق، ص٤٩٩.

بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٢-٣٤].

معاني الكلمات: "رَوَاكِدَ: جمع راكدة: هادئة ساكنة. يُوبِقْهُنَّ: يهلكهن. (باب الواو)- كَسَبُوا: كسبتم: جمعتم وحصَّلتم."[٥٨٠]

تستهل الآية الكريم بتقديم ايات الله كالسفن التي تجري في البحر كالجبال في شموخها وهي آية من آيات الله. آية حاضرة مشهودة يراها الرائي. فهي من صنع الله دون جدال. وهو الذي أنشأالبحر حتى يحمل السفن الضخام وهذه السفن من أنشأ مادتها وأودعها خصائصها فجعلها تطفو على وجه الماء ؟ وهذه الريح المسخرة التي تدفع ذلك النوع من السفن التي تتحرك في هذا الكون تحرك الجواري في البحر كالأعلام.

من أقوال المفسرين

"أي: ومن أدلة رحمته وعنايته بعباده ﴿الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ﴾ من السفن، والمراكب النارية والشراعية، التي من عظمها ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ وهي الجبال الكبار، التي سخَّر لها البحر العجاج، وحفظها من التطام الأمواج، وجعلها تحملكم وتحمل أمتعتكم الكثيرة إلى البلدان والأقطار البعيدة، وسخر لها من الأسباب ما كان معونة على ذلك."[٥٨١]

٢-٥ المبحث الثاني: السحاب والمطر والبرق والرعد.

عندما ترسل الشَّمس أشعتها إلى الأرض فتتبخر مياه البحار والأنهار، فيرتفع البخار في السَّماء وتتحوَّل الذَّرات البخارية إلى قطرات مائية بسبب برودة الجو، تنزل مطرا، أما إذا بقيت في الجو واستمر البرد عليها تتكون منها ذَرات ثلجية وتنزل بردا. شكل (كويرات ثلجية.).

***قال تعالى: ﴿...وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥].**

معاني الكلمات: "هَامِدَةً: ساكنة مجدبة. ٱهْتَزَّتْ: تحركت بالنبات. وَرَبَتْ-

---

[٥٨٠] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥١٢. باب الواو. ٩٦٦.

[٥٨١]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٩٤.

ربى الشيء يربو: زاد ونما."[٥٨٢]

وتستهل الآية الكريمة بكلمة (هَامِدَةً) أي خامدة أي لا نبات فيها، وكذلك كلمة (اهتزت) أي انتفضت وتحركت، (وربت) أي زاد حجمها فانتفخت وعلت.

قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ﴾ المقصود هنا تربة الأرض والتي تهتز وتربو بسقوط الماء عليها، وعلما بأنَّ تربة الأرض تتكوَّن بواسطة التَّحلل الكيميائي والحيوي لصخورها، ونتيجة تفكك الصّخور بواسطة عوامل التَّعرية، فتكون بذلك غطاء رقيق من تلك الصّخور للغلاف الأرضي تغطيه التربة، والمكونة أساسا من خليط الماء حوالي ٢٥% والهواء حوالي ٢٥% والمواد العضوية ٥% زيادة عن معادن الصَّلصال والرّمال وأكاسيد الحديد، وكربونات كل من الكالسيوم والمغنسيوم حوال ٤٥% ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾، لأَن جزيء الماء يتكون من اتحاد ذرة الأكسجين واحدة مع ذرتي إيدروجين برابطة قوية لا يسهل فكها، مع أنَّ ذرة الأوكسجين تحمل شحنة سالبة نسبية وذرة الإدروجين تحمل شحنة موجبة نسبية، مما يجعل جزيء الماء غير تام التَّعادل كهربائيا. فتصبح قدرة الماء فائقة على الاذابة، والماء في هيئة قطرات، إذا نزل على تربة الأرض أدَّى إلى إثارتها مما يجعلها تهتز وتربو. فسبحانه القائل: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾: تحرَّكت بالنَّبات وانفتحت، وقرئ:-ربأت، أي: ارتفعت، البهيج: الحسن السَّار للنَّاظر إليه."[٥٨٣]

***قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ... ﴾ [النور:٤٣].**

---

[٥٨٢]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١١٥٣، ١١٤٩، ٤٧٢.

[٥٨٣]- الكشاف، المرجع السابق، ص١٧٨.

معاني الكلمات: "يُزْجِي- يُزْجِيه: يدفعه ويسوقه برفق لينساق. يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ: يجمع بعضه على بعض. رُكَامًا: ملقى بعضه على بعض. ٱلْوَدْقَ: المطر." [٥٨٤]

تستهل الآية الكريمة بتكوين السّحب، ﴿يُزْجِي سَحَاباً﴾ يوجد في الهواء دقائق كهربائية تساعد على تكاثف بخار الماء الغازي على شكل دقائق مائية سحابية مكهربة في الطبقات العليا، فتكون سحاب ممطر وهذا السحاب نوعين: سحاب عادي مكون من دقائق مائية موجبة التَّكهرب وأخرى سالبة، أما النَّوع الثاني فهو سحاب رعدي ينشأ في الجو العاصف يتكون من دقائق موجبة، والآخر كتل مكونة من دقائق سالبة التَّكهرب ويقع بينهما تجاذب كهربائي بين نوعي الدَّقائق السَّحابية فتساعد على التَّقرب من بعضهما البعض، وتكون قطرات مائية كبيرة فتسقط بغزارة على شكل مطر وباتحاد شحنتا التَّكهرب بشدة فينتج البرق وهو شرار كهربائي عظيم الحرارة شديد الضَّوء سرعته كبيرة. يحدث بمرور شرار كهربائي في الهواء بين كتل السَّحاب الرعدي. فيسخن الهواء من مقاومته ويتمدد بسرعة، ولكنه يبرد ثم يرجع إلى حالته الأصلية فتتولد من تمدده وانكماشه موجات صوتية عظيمة تنتشر في الهواء بين السَّحاب والأرض، فينشأ صوت الرعد. صدق العلي القدير القائل: ﴿يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: يرسل المطر برِفْق بمشيئته علاَّم الغيوب.

من أقوال المفسرين

"أي: ألم تشاهد ببصرك، عظيم قدرة الله، وكيف ﴿يُزْجِي﴾- أي: يسوق ﴿سَحَابًا﴾ قطعا متفرقة ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ﴾ بين تلك القطع، فيجعله سحابا متراكما، مثل الجبال."[٥٨٥]

"﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ أي المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: من خلله. وكذا قرأها

---

[٥٨٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٥٢٥،٥٩، ٥١٤، ١١٧٠.

[٥٨٥] - السعدي، المرجع السابق، ص٦٦٧.

ابن عباس والضحاك ."[٥٨٦]

***قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق:١١].**

معاني الكلمات: "الرَّجْعِ: المطر."[٥٨٧]

هناك غلاف غازي محيط بالأرض جعل سبحانه وتعالى في هذا الغلاف عددا من نطق الحماية التي ترد عنها كل ضار وترد إليها كل مفيد، من مختلف صور المادة والطَّاقة.

من بين هذه النّطق النّطاق الأسفل ويسمَّى (نطاق المناخ). حيث يرجع البخار المتصاعد من الأرض إلى الأجزاء العلوية بعد أن يتكثَّف يعود إلى الأرض مطرا أو بردا أو ثلجا. ومن الغريب أنَّ هذا النّطاق يقوم بترجيع الصَّوت وهذا يسمَّى نطاق الرَّجع.

وهناك نطاق آخر يسمَّى النّطاق الخارجي من الغلاف الغازي للأرض. يرد هو أيضا عن الأرض ويلات الجسيمات الكونية. حيث تحترق فيه هذه الأجسام السَّماوية مثل النَّيازك ولا يبقى منها إلى الرَّماد أو حتى بعض الأجسام الصَّغيرة التي تصل إلى الأرض. قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾.

من أقوال المفسرين

"أقسم قسمًا ثانيًا على صحة القرآن، فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾- أي: ترجع السَّماء بالمطر كل عام."[٥٨٨]

"قال ابن عباس: الرَّجع: المطر. وعنه: هو السَّحاب فيه المطر."[٥٨٩]

٣-٥ المبحث الثالث: الحر والبرد

***قال تعالى: ﴿قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١].**

معاني الكلمات: "يَفْقَهُونَ: يفهمون."[٥٩٠]

---

[٥٨٦]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٣٤٠.

[٥٨٧]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٤٧٧.

[٥٨٨]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٨٥.

[٥٨٩]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٨٤.

قل يا محمد لهؤلاء إن كانوا يشفقون على أنفسهم من حرَّ الأرض، ويؤثرون الرَّاحة المسترخية في الظّلال. فكيف بهم في حرّ جهنم وهي أشد حراً، وأطول أمداً؟ وإنها لسخرية مريرة، ولكنها كذلك حقيقة. فإمَّا كفاح في سبيل اللّه فترة محدودة في حر الأرض، وإمَّا انطراح في جهنم لا يعلم مداه إلا اللّه.

من أقوال المفسرين

"قوله: ﴿قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ﴾ حذروا من الحر الذي يقي من الظلال، ويذهبه البكر والاصال، على الحر الشديد الذي لا يفارق قدره، وهو النار الحامية.[٥٩١]"

***قال تعالى: ﴿... وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النور:٤٣].**

معاني الكلمات: سَنَا بَرْقِهِ: وهو ضوء البرق يكاد شدّة ضوء برق هذا السَّحاب يذهب بأبصار من لاق بصره.

تستهل الآية الكريمة في جزئها الأخير، وبعد تصاعد البخار من الأنهار والمحيطات، نتيجة الحرارة المنبعثة من الشَّمس فتصعد على شكل ذرات، وتجد البرد الشَّديد، فإذا ثقُل خرج منه الماء، والوبل الهاطل، وهو في هيئة الجبال الضَّخمة الكثيفة، فيها قطع البرد الثَّلجية الصَّغيرة، ومشهد السُّحب كالجبال، فإذا المشهد مشهد الجبال حقا، بضخامتها، ومساقطها، وارتفاعاتها وانخفاضاتها. وإنَّه لتعبير مصور للحقيقة التي لم يرها الناس. يُصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء. ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

من أقوال المفسرين

---

[٥٩٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٦٢.

[٥٩١] - السعدي، المرجع السابق، ص٣٩٦.

"﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ بحسب ما اقتضاه حكمه القدري، وحكمته التي يُحمد عليها."[٥٩٢]

"﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾- أي: يقرب ضوء برق السحاب، ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾. أي يخطف ابصار الناظرين."[٥٩٣]

***قال تعالى: ﴿وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى والْبَصِيرُ ولَا الظُّلُماتُ ولَا النُّورُ ولَا الظِّلُّ ولَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر:٢١].**

تستهل الآية الكريمة بالمقارنة وعدم التَّساوي عند الله الإيمان والكفر، فالإيمان نور في القلب وفي الجوارح، ونور في الحواس. نور يكشف حقائق الأشياء والقيم والأحداث وما بينها من ارتباطات ونسب وأبعاد. فالمؤمن ينظر بهذا النور، نور الله، والكفر عمى. عمى في طبيعة القلب، وفي رؤية دلائل الحق. وعمى عن رؤية حقيقة الوجود، والقيم. ولا يستوي الخير والشَّر، والهدى والضَّلال؛ كما لا يستوي العمى والبصر، والظّلمة والنّور، والظّل والحرور، والحياة والموت.

من أقوال المفسرين

"يخبر تعالى أنَّه لا يتساوى الأضداد في حكمة اللّه، وفيما أودعه في فطر عباده. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ فاقد البصر ﴿وَالْبَصِيرُ﴾."[٥٩٤]

***قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل:٨١].**

وجعل سبحانه وتعالى للإنسان (سرابيل[٥٩٥]) التي تقي الحر من الأردية والأغطية راحة وفي السَّرابيل التي تقي البأس وهي من الدروع والألبسة. تقي الإنسان من البرد والحر.

---

[٥٩٢] - السعدي، المرجع السابق، ص٦٦٦.

[٥٩٣] - محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٣٤٣.

[٥٩٤] - السعدي، المرجع السابق، ص٨٠٨.

[٥٩٥] - سرابيل: السرابيل في اللغة العربية: القميص، وجمعه (سرابيل) وهي الثياب من القطن والصوف، أي تقي من البرد والحر معا. (انظر حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص١٤٧.)

من أقوال المفسرين

"﴿سَرابِيلَ تَقِيكُمُ﴾ كالدروع من الحديد المصفح والزرد وغير ذلك."[٥٩٦]

***قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وشَرابٌ﴾ [ص:٤٢].**

أسباب النزول ذُكر لها سبب واحد قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ عن ابن عباس قال: لما مرض أبو طالب جاءت قريش لعيادته وجاء الرسولﷺ فشكوه إلى أبي طالب فقال: يا بن أخي ما تريد من قومك؟ قال: «يا عم إنَّما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي لهم الجزية بها العجم»، قال: ما هي؟ قال: «لا اله إلا الله» فقالوا: اجعل الآلهة إلها واحدا؟ قال: فنزل فيهم القرآن: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ حتى ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾.

أمر منه سبحانه وتعالى أن يضرب الأرض بقدمه فتتفجر عين باردة يغتسل منها ويشرب فيشفى ويبرأ بإذنه تعالى.

من أقوال المفسرين

"قيل له: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾- أي: اضرب الأرض بها، لينبع لك منها عين تغتسل منها وتشرب، فيذهب عنك الضر والأذى، ففعل ذلك، فذهب عنه الضر، وشفاه اللّه تعالى."[٥٩٧]

***قال تعالى: ﴿قُلْنا يا نارُ كُوني بَرْداً وسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ﴾ [الأنبياء :٦٩].**

تستهل الآية الكريمة بكلمة قيلت فأبطلت كل قول، وأحبطت كل كيد. ذلك أنها الكلمة العليا التي لا ترد. إنها كلمة العزيز القهَّار. ﴿يا نارُ كُونِي بَرْداً وسَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ﴾. فكانت بردا وسلاما على إبراهيم.

من أقوال المفسرين

"﴿يا نارُ كُونِي بَرْداً وسَلاماً﴾، ويحكى: ما أحرقت منه إلا وثاقه، وقال له جبريل عليه السلام- حين رمى به: هل لك حاجة فقال: أما إليك فلا،

---

[٥٩٦]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٧١.

[٥٩٧]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٤٠.

قال: فسل ربك، قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، وعن ابن عباس- رضي الله عنه-: إنما نجا بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل."[٥٩٨]

"فانتصر الله لخليله لما ألقوه في النار وقال لها: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فكانت عليه بردا وسلاما، لم ينله فيها أذى، ولا أحس بمكروه."[٥٩٩]

٥-٤ المبحث الرابع: نِهَايَة البدَايَة (الانسحَاق الشَّديد)

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾- ومن هنا تكون نهاية البداية. وتُطوى صفحة الخلق الفاني، وتتوارى أشباح الخلائق، ويظهر بأنَّ كل شيء هالك إلاَّ وجهه، ويفنى كل حُكم وحُكم الحي القيوم باق، وهذه عملية (الانسحاق الشَّديد)، وهي تُقابل عملية الانفجار الأولى فهي عكس الانفجار الأول (الفتق) لأنَّ عكس الانفجار هو الجمع والضَّم واللَّم والتَّكدس، وهي (عملية الرَّتق أو الانسحاق الشَّديد). وكما أشار القرآن الكريم إلى أنَّ هناك تغييرات كونية تحدث عند انفطار الكون يوم القيامة وهو اليوم الذي لا يعلمه إلاَّ هو سبحانه علاَّم الغيوب، ومن هذه التَّغييرات: تكوَّر الشَّمس، انكدار النجوم، وتسجير البحار، نسف الجبال وزلزلة الأرض، انتثار الكواكب وانشقاق السَّماء، وهذه علامات ودلائل لبعث الخلائق لليوم المشهود. "أنَّ أبديَّة الكون والإنسان مستحيلة، وأيقنَّا، يقينا لا يتزعزع، بأنَّ الإنسان يموت، وأنَّ الكون سينتهي طبقا لقانون الطَّاقة المتاحة."[٦٠٠]

"أنَّ هذا الكون مسبوق بالعدم وسينتهي أمره في يوم موعود إلى نهاية محتومة تتفكَّك أجزاؤه المترابطة، وأنَّ المادة مخلوقة من العدم وتفنى

---

[٥٩٨] - الكشاف، المرجع السابق، ص١٥٤.

[٥٩٩]- السعدي، المرجع السابق، ص٦١٤.

[٦٠٠]- وحيد الدين خان، المرجع السابق، ص٩٦.

عندما تصطدم أجزاء المادة مع ضد المادة."[٦٠١] "والحديث عن وجود النّظام الشَّمسي يدور حول وقوع صدام كبير بين بعض الأجرام السَّماوية قديما، فإذا استطعنا أن نتصوَّر هذا التَّصادم على نطاق أوسع لا ستطعنا أن نفهم جيدا ذلك الأَمكان الذي نحن بصدده فهذا الواقع بعينه هو القيامة."[٦٠٢]

ومن علامات نهاية الكون كما أخبر رسول الله ﷺ: طلوع الشَّمس من مغربها، وخروج الدَّابة، وظهور الدجَّال.

وفي حديث الدَّجال الذي رواه النواس بن سمعان قال: ذكر رسول اللهﷺ الدجال.. قلنا يا رسول الله: وما لبثه في الأرض؟ قالﷺ: «أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم.» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال ﷺ: «لا اقدروا له قدره..»...

***قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ [الانفطار: ١الى٤].**

معاني الكلمات: "آنفَطَرَتْ: انشقت. آنتَثَرَتْ: تفرقت. فُجِّرَتْ: شقَّت جوانبها. بُعْثِرَتْ- بُعْثِرَ: أُثير واستُخرج. "[٦٠٣]

تستهل الآية الكريمة بذكر انفطار السَّماء. ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ أي انشقاقها. وقد ذكر سبحانه وتعالى انشقاق السَّماء في مواضع أخرى: قال: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]. وقال: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]. فانشقاق السَّماء كما هو مذكور في بعض المعاجم يعني: (آنفَطَرَتْ) وهي حقيقة من حقائق ذلك اليوم العصيب. أمَّا المقصود بانشقاق السَّماء على وجه التَّحديد فيصعب

---

[٦٠١]- شبر الفقيه، المرجع السابق، ص٢٥٣.

[٦٠٢]- وحيد الدين خان، المرجع السابق، ص١٠١.

[٦٠٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٥٩،١٠٧٧،٨٤١، ١٤٤.

القول به، كما يصعب القول عن هيئة (الانشقاق[٦٠٤]) التي تكون. وكل ما يستقر في الحس هو مشهد من مشاهد التَّغير العنيف في هيئة الكون المنظور، وانتهاء نظامه هذا المعهود، وانفراط عقده، الذي يمسك به في هذا النّظام الدَّقيق. ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾. وهذا هو اليوم العصيب تتفرَّق فيه الكواكب. وتتشقَّق جوانب البحار. وتتبعثر القبور ويُستخرج ما فيها.

من أقوال المفسرين

"﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ أي: إذا انشقَّت السَّماء وانفطرت."[٦٠٥]

"﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ أي تساقطت. ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: فجر الله بعضهم في بعض. وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها وقال الكلبي: مُلئت. ."[٦٠٦]

***قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ١إلى٦].**

معاني الكلمات: "كُوِّرَتْ: لُفَّت في استدارة."[٦٠٧] ٱنكَدَرَتْ: تناثرت. ٱلْعِشَارُ: جمع عشراء وهي الناقة التي مر على حملها عشرة أشهر. حُشِرَتْ: جمعت أو أهلكت."[٦٠٨]

الآيات من (١ إلى ٦) من سورة التَّكوير، وهي مكية، وعدد آياتها (٢٩)

---

[٦٠٤]- الانشقاق: هي هزات جيولوجية عنيفة تتشقَّق الأرض فيها وتحدث تدميرات وانهيارات كبيرة وتؤدي بحياة الكثير من الناس. (انظر حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص١٦٨.)

[٦٠٥]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٧٨.

[٦٠٦]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٦٩.

[٦٠٧]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٩٨٧، ٢٩٥.

[٦٠٨]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٥٢٤.

آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة المسد.

أما أسباب النزول- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ لما أنزل الله ﴿مَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: ذلك إلينا إن شئنا استقمنا وإن لم نشأ لم نستقم فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

يدور محور السورة حول حقيقتين هامتين: (حقيقة القيامة)، وحقيقة (البعث) وكلاهما من لوازم الإيمان.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي: جمعت ولُفت، وجعلت مثل شكل الكرة، وهذا يكون يوم القيامة. ونظرا لما وصل إليه علماء الطَّبيعة وبعد أبحاث مطولة أنَّ الإيدروجين الموجود حاليا بباطن الشَّمس سيتحوَّل في ظرف خمسة بلايين سنة إلى هيليوم، وقد ينتقل هذا الاندماج النَّووي بعيدا عن المركز ليجد رصيدا ضخما من الإيدروجين يكفي لفترة تقدر ب مائة بليون سنة، ويزداد في هذه الفترة معدل إنتاج الطَّاقة، وتُبين الدراسات أنَّ الإشعاع الشَّمسي أخذ في الازدياد ببطء وسيزيد ألف مرة عندما تشيخ الشَّمس وتتحوَّل إلى عملاق أحمر ينتفخ سطحها ويبتلع الكواكب- عطارد- الزهرة- والقمر ويصل إلى سماء الغلاف الجوي للأرض وتبلغ درجة حرارتها ٣٠٠ درجة مئوية وتقضي على كل مظاهر الحياة على الأرض.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ وهذه الآيات بيان لأهوال يوم القيامة وما فيها من الشدائد، وما يعتره الكون من مظاهر التغيير. من تناثر النجوم واهلاك الوحوش والتهاب البحار.

من أقوال المفسرين

"قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إنَّما معناه جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فمري بها وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها."[٦٠٩]

[٦٠٩]- هند شلبي، المرجع السابق، ص٨٦.

"عن ابن عباس ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ يعني أظلمت وقال العوفي: عنه ذهبت. وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت وكذا قال الضحاك قال قتادة: ذهب ضوءها."[٦١٠]

"أي: إذا حصلت هذه الأمور الهائلة، تميز الخلق، وعلم كل أحد ما قدمه لآخرته، وما أحضره فيها من خير وشر، وذلك إذا كان يوم القيامة تُكوَّر الشَّمس- أي: تُجمع وتُلف."[٦١١]

"﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي تساقطت من مواضعها وتناثرت ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ حركت من أماكنها وصارت كالهباء. ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ وإذَا النوق الحوامل تركت بلا راع. وجمعت الوحوش من أوكارها. وإذَا البحار تأججت وصارت نارا."[٦١٢]

***قال تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة:٩].**

الآية (٩) من سورة القيامة، هي سورة مكية، وعدد آياتها (٤٠) آية بعد البسملة، نزلت بعد سورة القارعة.

سميت بسورة القيامة؛ لأنَّها افتُتحت بالقسم بيوم القيامة.

ومن موضوعات السورة ذكر بعض أهوال يوم القيامة، وحرص النبيﷺ على تلقي الوحي بشكل متقن دون أي خلل، وأنواع الوجوه يوم القيامة: وجوه ناضرة، ووجوه باسرة.

أما أسباب النزول ذُكر سبب واحد قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ قيل: أنَّها "نزلت في عدي بن ربيعة،"[٦١٣] قال لرسول اللهﷺ: حدثني عن يوم القيامة متى يكون أمرها وحالها.

ومن مقاصد السورة: إثبات القيامة وبيان تأثيرها على العالم بتمامه،

---

[٦١٠]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٦٣.

[٦١١]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٧٥.

[٦١٢]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص٥٢٤.

[٦١٣]- الواحدي النيسابوري، المرجع السابق، ص٤٤٨.

وإنذار من كفر بها، وإظهار قدرة الله تعالى على بعث الخلق وجمعهم يوم القيامة.

يأتي العلم التَّجريبي ليؤكد هذا حيث أنَّ القمر يتباعد عنا بمعدل ثلاثة سنتيمترات في السَّنة، ويقترب من نطاق جاذبية الشَّمس، وفي لحظة من اللَّحظات تبتلعه، وهذه بداية لتدمير نظام الكون الذي نحيا فيه، وهو كلام الخالق علاَّم الغيوب، قال: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾.

من أقوال المفسرين

"﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾. وهما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالى، فيجمع الله بينهما يوم القيامة، ويخسف القمر، وتُكوَّر الشَّمس، ثم يُقذفان في النار، ليرى العباد أنهما عبدان مسخران، وليرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين."[٦١٤]

"﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾. قال مجاهد: كورا. وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾. [التكوير: ١، ٢] وروي عن ابن مسعود أنه قرأ: " وجُمع بين الشَّمس والقمر. "[٦١٥].

***قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [ابراهيم:٤٨].**

معاني الكلمات: "تُبَدَّلُ: تُغير. وَبَرَزُواْ: خرجوا."[٦١٦]

تستهل الآية الكريمة لتخبرنا عن يوم القيامة ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾، ذلك لأنَّه سبحانه علاَّم الغيوب خلق السَّماوات والأرض لأجل غير معلوم بدَّلهما بعد أجل بغيرهما، وزوال السَّماوات والأرض وإعادة تشكيلهما حدث اعترف به العلم الحديث بناء على

---

[٦١٤]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٧٥.

[٦١٥]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٦٤.

[٦١٦]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٢٢، ١٢٨.

اكتشاف المادة والمادة المضادة وتحول المادة إلى طاقة وكذا تحوّل الطَّاقة إلى مادة طبقا للقانون الذي وضعه انشتين. والله تعالى يقول: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الاحقاف:٣]. والأجل المسمَّى هو اليوم الذي يأذن فيه الله، أن يجعل الأرض في قبضته والسَّموات مطويات بيمينه. قال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]. ستكون الأرض والسَّماء رهن قبضته، أي رهن أمره وطوع قدرته، قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [العنكبوت:١٩-٢٠].

في سنة ١٩٥٥ اكتشف العلماء وجود كهارب من جنس (البروتون) في فضاء هذا الكون الضَّخم العجيب، وهي في حالة سالبة، تكون حول الكرة الأرضية طبقة أو بالأحرى حزام خلال طبقات الجو العليا، وحين يتسنَّى لها الاتحاد سيحدث التَّغيير. أمَّا الأمر الثاني أنَّ انطلاق كميات من الإيدروجين في هذا الفضاء الواسع، وحتى إذا ما انضمَّت ذرتان من الإيدروجين مع بعضها ينتج عن هذا الانضمام الهيليوم الذي سيحوّل الكون بأسره أتونا ملتهبا رهيبا. ﴿تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾. والمعنى أنَّ الأرض تُبدَّل بأرض أخرى وكذلك باقي السَّيَّارات، وتُبدَّل الطَّبقات الغازيه بطبقات غيرها. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٧] أي ينشئ مجموعة شمسية أخرى.

من أقوال المفسرين

"في المشهد الأرضي آنذاك كل شيء في تغيير وتبديل ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، ونحن لا ندري كيف سيتم هذا ولا طبيعة الأرض الجديدة، ولكن القرآن يلقي الظّلال الوارف

على المشهد، أرض بلا جبال ولا وديان، ولكنها مبسطة.[٦١٧]"

"﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ تُبدَّل غير السَّماوات، وهذا التَّبديل تبديل صفات، لا تبديل ذات، فإنَّ الأرض يوم القيامة تسوَّى وتمد كمد الأديم ويلقى ما على ظهرها من جبل ومَعْلم، فتصير قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وتكون السَّماء كالمهل، من شدة أهوال ذلك اليوم ثم يطويها الله -تعالى- بيمينه."[٦١٨]

"قال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ أي: وعده هذا حاصل يوم تبدَّل الأرض غير الأرض، وهي هذه على غير الصفة المألوفة المعروفة، كما جاء في الصَّحيحين من حديث أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول اللهﷺ-: "«يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي، ليس فيها معلم لأحد»"."[٦١٩]

***قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].**

معاني الكلمات: "نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ: نضم بعضها على بعض. ٱلسِّجِلِّ: ما يكتب فيه من ورق ونحوه، وطي ٱلسِّجِلِّ: أي كما يُطوى." [٦٢٠]

تستهل الآية الكريمة بذكر (يوم)، وهذا اليوم يعتبر من المجالات الغيبية التي لا نستطيع أن نصل فيها إلى تصور صحيح، وهذه المجالات لا يمكن للعلوم التَّجريبية أن تتجاوزها، ولا يمكن التَّنظير فيها، ويبقى للمسلم في هذا المجال الإيمان بما هو منزَّل، ويؤمن أيضا بعملية الانفجار العظيم والذي له آثار ودلائل علمية، ويؤمن أيضا بالانسحاق العظيم والذي قال فيه العلي القدير: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ﴾، وكلتاهما تستند إلى حقائق. حيث اكتُشف في

---

[٦١٧]- شير الفقيه، المرجع السابق، ص١٠٩.

[٦١٨]- السعدي، المرجع السابق، ص٤٩٦.

[٦١٩]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٠٣٩.

[٦٢٠]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٢٠، ٥٥٨.

القرن العشرين من بعض العلماء بأنَّ المجرَّات تتباعد عنا وعن بعضها بسرعة تكاد تقترب من سرعة الضَّوء والتي تقدر ب٣٠٠٠٠٠ كلم /ثا، وإذا عدنا إلى الوراء وقمنا بدراسة زمنية لاتساع الكون، سنجد أنَّ كل ما في الكون من صور المادة والطَّاقة والزَّمان والمكان تلتقي في جرم واحد ويتلاشى كل من المكان والزَّمان وتتوقف قوانين الفيزياء، ويرجع الكون كما بدا سبحانه وتعالى في خلقه. أي إلى (مرحلة الرَّتق)، وهكذا يُطوى الكتاب الذي فُتح منذ الأزل. ويبقى اليوم من الغيبيات لا يعلمه إلا الله. قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾؟. ولوا تأمَّلنا الصَياغة المصدرية باسم الفاعل ﴿لَمُوسِعُونَ﴾، والتي تشير هنا إلى اتَساع الكون منذ بداية النَّشأ إلى هذا الوقت وهذا بإذنه تعالى. يعني أنَّ بعد هذا الاتَساع تلتقي مادة الكون في جرم واحد وهو الجرم الابتدائي قبل الانفجار العظيم. وهي مرحلة (الرَّتق) وبعد الانفجار العظيم يتحول إلى غلالة من الدخان وهي عملية (الفتق). حيث عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾. وهكذا تكون العملية عكسية قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، وقال: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾. يعني كائن لا محالة. وهنا عملية (الانسحاق الشَّديد).

والقرآن الكريم يقرَر ذلك بقول الحق سبحانه علاَّم الغيوب: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٨]. فإذا كبرت كثافة الكون وزادت لتكون أكبر من الكثافة الحرجة فإن الكون يصل إلى أقصى حجم له. "والكثافة الحرجة هي الكثافة التي يتوقف عندها تمدد الكون."[٦٢١]

"هذا هو التَّصور الذي وصل إليه علماء الكون في أواخر القرن العشرين، والذي نرتقي به إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارات تدعمه

---

[٦٢١] - حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص١٣.

في كتاب الله."[٦٢٢]

من أقوال المفسرين

"مراحل الرَّتق، والفتق، والدخان، والاتيان بالسَّموات والأرض، وتوسع السَّماء ثم طيها تعطينا كليات مراحل الخلق والافناء والبعث دون الدخول في التَّفاصيل."[٦٢٣]

"يخبر تعالى أنَّه يوم القيامة يطوي السَّماوات- على عظمها واتساعها- كما يطوي الكاتب للسجل أي: الورقة المكتوب فيها، فتنثر نجومها، ويكور شمسها وقمرها، وتزول عن أماكنها."[٦٢٤]

"وقوله: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ﴾، قيل: المراد بالسجل [الكتاب. وقيل: المراد بالسجل] هاهنا: ملك من الملائكة. وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، يعني: هذا كائن لا محالة، يوم يعيد الله الخلائق خلقا جديدا، كما بدأهم هو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع، لأنَّه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل، وهو القادر على ذلك. ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾."[٦٢٥]

"قال السير جيمس: تؤمن العلوم الحديثة بأنَّ عملية-تغيير الحرارة- Entropy سوف تستمر حتى تنتهي طاقتها كلية، ولم تصل هذه العملية حتى الآن إلى آخر درجاتها، لأنه لو حدث شيء مثل هذا لما كنا الآن موجودين على ظهر الأرض."[٦٢٦]

"ويعتقد البعض الآخر من علماء الفيزياء الفلكية حاليا بأنَّ الكون ربما يكون من النَّوع المفتوح الذي لا حدود له فلهذا تفسَّر عملية التَّمدد هذه بأنَّها تستمر إلى أن يصل الكون إلى المراحل النّهائية التي هي مرحلة

---

[٦٢٢]- زغلول النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن، المرجع السابق، ص٤٥.

[٦٢٣] - المرجع نفسه، ص٨٢.

[٦٢٤] - السعدي، المرجع السابق، ص٦٢٠

[٦٢٥] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٥٥.

[٦٢٦]- وحيد الدين خان، المرجع السابق، ص٥٣.

موت الكون إن كان التَّعبير صحيحا، أي أنَّ الإشعاعات تستمر في فقدان الطَّاقة خلال عمليات الزَّحزحة نحو الأحمر وجميع المادة الكونية ستتمركز داخل النجوم القديمة نجوم المراحل الأخيرة من التَّطور مثل النجوم الميتة الثّقوب السَّوداء وعندئذ يصل الكون إلى مرحلة عدم انتقال الحرارة وفيها سيبقى الكون المتَّزن ساكنا إلى الأبد (والله اعلم)."[٦٢٧]

***قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠].**

معاني الكلمات: "فَارْتَقِبْ: انتظر. بِدُخَانٍ مُّبِينٍ: فُسِّر بالدخان المعروف ويكون ذلك قُبيل يوم القيامة أو فيه، أو هو أثر من آثار الجدب ويُبس الأرض فيثور غُبارها، وقالوا إنَّ ذلك وقع حين أصاب قريشا قحطا شديد."[٦٢٨]

وهذا إنذار من رب العالمين حيث قال: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الصافات:١٩-٢٠]. وقال: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]. وإذا بالنّهاية تأتي بغتة فقال: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء:٤٠].

"قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال ستًّا: طلوعَ الشَّمس من مغربها، أو الدُّخانَ، أو الدجَّالَ، أو الدابَّة، أو خاصَّة أحدكم أو أمر العامَّة»."[٦٢٩]

من أقوال المفسرين

"﴿فَارْتَقِبْ﴾- أي: انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب وآن أوانه، ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾."[٦٣٠]

***قال تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١١].**

---

[٦٢٧]- حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص٤٢.

[٦٢٨]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢١٠، ٤٠٠.

[٦٢٩]- صحيح مسلم، المرجع السابق، ص: ٢٩٤٧ ،خلاصة حكم المحدث.

[٦٣٠]- السعدي، المرجع السابق، ص٩٠٩.

معاني الكلمات: "يَغْشَى: يغطى ويحتوي. أَلِيمٌ: شديد الإيلام."[٦٣١]

تستهل الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾. أي يتغشاهم ويعمهم. وهو أمر عام لقوله: ﴿النَّاسَ﴾. ومن ثم وصف لنوع العذاب: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. . أي يقال لهم ذلك، تقريعاً وتوبيخاً. كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾. [الطور : ١٣ ، ١٤]

من أقوال المفسرين

"﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾."[٦٣٢]

"قوله: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.أي : يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا ، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الطور : ١٣ - ١٤]."[٦٣٣]

***قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل:١٤].**

معاني الكلمات: "تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ: تضطرب اضطرابا شديدا. كَثِيبًا: رملا متراكما."[٦٣٤]

الآية (١٤) من سورة المزمل، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٢٠) آية بعد البسملة.

والمزمل هو المُغطّى بثيابه كالمدثر، جاءت تسميتها –المزمل- إشارة إلى ما حدث بعيد نزول الوحي على النبي محمدﷺ وهو على جبل حراء فرجع

---

[٦٣١]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨١٤، ٦١.

[٦٣٢]- السعدي، المرجع السابق، ص٩٠٩.

[٦٣٣]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٦٨٩.

[٦٣٤]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٤٧٧ ، ٩٥٤.

إلى السيدة خديجة بنت خويلد ترجف بوادره فقال: -زملوني، زملوني- فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع.

ونظرا لشدَّة الحرارة على سطح الأرض يوم القيامة فإنَّ الجبال ستنفجر تلقائيا ويتم نسفها قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا﴾ [طه:١٠٥إلى١٠٧].

من أقوال المفسرين

"وذلك ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ من الهول العظيم، ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ﴾ الرَّاسيات الصم الصلاب ﴿كَثِيبًا مَهِيلًا﴾- أي: بمنزلة الرمل المنهال المنتثر، ثم إنها تبس بعد ذلك، فتكون كالهباء المنثور."[٦٣٥]

"﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ أي: تزلزل، ﴿وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ أي: تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، حتى تصير الأرض قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا، أي: واديا، ولا أمتا، أي: رابية، ومعناه: لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع."[٦٣٦]

***قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ [يونس:٢٤].**

معاني الكلمات: "أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا: جمعت كمال حسنها وبهجتها. حَصِيدًا: بمعنى القطع والاستئصال."[٦٣٧]

تستهل الآية الكريمة للحديث عن زخرفة الأرض وزينتها، وفي الوقت نفسه إشارة إلى ما سيحدث بعد، لأنَّ مع مرور الوقت وبعد مدة لا يعلمها

---

[٦٣٥] - السعدي، المرجع السابق، ص١٠٥٤.

[٦٣٦] - ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩٣٢.

[٦٣٧] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٢٢٦، ٢٩٦.

إلا الله، سيكون الليل والنهار سرمديين لا يتعاقبان، فتزداد الحرارة في جهة النهار، وتحترق الأشجار وتهلك الحيوانات ويموت الناس من شدة الحر وتزداد البرودة في جهة الليل، فيموت كل شيء. كما قال تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾.

من أقوال المفسرين

"أما الأرض فهي تدور حول نفسها بسبب الحرارة التي في جوفها فيتكون من دورتها الليل والنهار، وسوف تنتهي تلك الحرارة بسبب انفجار البراكين وخروج النار والغازات منها إلى الخارج، وستقف عن دورتها المحورية بعد مر السّنين والدّهور."[٦٣٨]

"قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ أي: تزخرفت في منظرها، واكتست في زينتها، فصارت بهجة للنَّاظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبصرين، فصرت ترى لها منظرًا عجيبًا ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض وغيره. ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: حصل معهم طمع، بأن ذلك سيستمر ويدوم، لوقوف إرادتهم عنده، وانتهاء مطالبهم فيه.فبينما هم في تلك الحالة ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ أي: كأنها ما كانت فهذه حالة الدنيا، سواء بسواء." [٦٣٩]

***قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٦].**

معاني الكلمات: "يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفًا- نُسِفت: اقتُلعت من أصولها وذُريت في الفضاء. قَاعًا صَفۡصَفًا- الصَّفصف: الأرض الملساء المستوية لا نبات فيها."[٦٤٠]

---

[٦٣٨] - محمد علي حسن الحلي، المرجع السابق، ص٧٩.

[٦٣٩] - السعدي، المرجع السابق، ص٤١٥.

[٦٤٠] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١٠٩٣، ٦٩٤.

تستهل الآية الكريمة بخطاب إلى الرسول الكريم ﷺ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ ومن هنا يتجلَّى المشهد الرَّهيب ﴿فَقُلْ﴾ فإنَّ الجبال الرَّاسية الرَّاسخة قد نسفت نسفا. وصارت ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾.

من أقوال المفسرين

"قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾- أي: ماذا يصنع بها يوم القيامة، وهل تبقى بحالها أم لا؟ ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾- أي: يزيلها ويقلعها من أماكنها فتكون كالعهن وكالرَّمل، ثم يدكها فيجعلها هباء منبثا، فتضمحل وتتلاشى، ويسويها بالأرض، ويجعل الأرض قاعا صفصفا، مستويا لا يرى فيه أيها الناظر عِوَجًا، هذا من تمام استوائها."[٦٤١]

"﴿فيذرها﴾ أي: الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ أي: بساطا واحدا .والقاع: هو المستوي من الأرض. والصفصف تأكيد لمعنى ذلك، وقيل: الذي لا نبات فيه. والأول أولى، وإن كان الآخر مرادا أيضا باللازم."[٦٤٢]"

***قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة:١٣-١٤-١٥].**

معاني الكلمات: "نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ: بُعث فيه الروح بقوة. وَحُمِّلَتِ: أُقلَّت ورُفعت. فَدُكَّتَا- دكت: فتتت وذَريت حتى صارت هباء. وَقَعَتِ: نزلت وتحقَّقت. ٱلْوَاقِعَةُ: النَّازلة لا محالة في أسماء يوم القيامة. "[٦٤٣]

الآيات (١٣-١٤و١٥) من سورة الحاقة، وهي سورة مكية، وعدد آياتها (٥٢) آية، نزلت بعد سورة الملك، وهي تتحدث عن القيامة وأهوالها، والسَّاعة وشدائدها.

محورالسورة يدور حول الدين والعقيدة.

وختمت السورة بتمجيد القرآن وبيان أنَّه رحمة للمؤمنن وحسرة على

---

[٦٤١] - السعدي، المرجع السابق، ص٥٩٧.

[٦٤٢]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٢٢٦.

[٦٤٣]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص١١١٣،٣٢٢،٤١٤، ١١٩٤.

الكافرين.

تستهل الآية الكريمة للحديث عن النَّفخ في الصُّور نفخة واحدة ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر٦٨]. ويقول: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ويرجع عند بعض المفسرين أن المقصود من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ...﴾، هو انقطاع وتوقف تدبير الخلق العاقل لشؤون الخلائق في الفترة بين النفختين حيث يكونون أمواتا، هي الفترة المقدرة بألف سنة من حساب الدُّنيا وهي مقدار الزمن بين النفختين. وهي (قضية ظنية).

ولنتمعن في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾- يتحدث القرآن الكريم على نهاية الجبال الرَّواسي، قال تعالى:﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٧]. وقال:﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات:١٠]. وقال: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة١٤]. وقال: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:٥]. وقال:﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ الواقعة﴾ [الواقعة:٥-٦]. وقال:﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبا:٢٠]. وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٦].

وتسير الجبال العظيمة إلى زوال لا شك في ذلك ولا ريب، وأنَّ فنائها لا بد منه، ويبقى النَّسف المفاجئ حادث سريع لا يعلمه إلاَّ الله سبحانه وتعالى، والآيات المذكورة أشارت إشارة واضحة لا لبس فيها ولا غموض إلى النَّسف والدَّك، وإذا نسفت الجبال بقي وجه الأرض مستويا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف:٤٧]. وستسير الجبال إلى نهايتها الحتمية بإذنه سبحانه وتعالى، ومن هنا نفهم أنَّ التسيير للجبال هو

تهيؤها إلى النهاية الحتمية، وتدك دكا بإذنه تعالى. كما أكَّد البحث العلمي الدَّقيق وأثبت بصورة غير مباشرة من القرآن الكريم تكوير الشَّمس وانكدار النجوم واندثار الكواكب وهذا تغيير كبير. قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير:١-٢]. وتنتهي مرحلة الشَّمس العملاقة، وتقف تفاعلاتها النَّووية فتسيطر الجاذبية على جميع أجزائها وتتكور ويصغر حجمها آلاف المرَّات ويطلق عليها (القزم الأبيض) وبهذا يحدث الانكماش لجميع النجوم وتتحوَّل كلها إلى أقزام، وتهوي منكمشة على نفسها وينحسر ضوئها. "تؤمن العلوم الحديثة بأنَّ -عملية تغير الحرارة- سوف تستمر حتى تنتهي طاقاتها كلية.[٦٤٤]" "النّجوم الصَّغيرة مثل الشَّمس تتحوَّل وتموت كأقزام بيضاء أمَّا الكبيرة فتتحوَّل وتموت كنجوم نيوترونية سوداء.[٦٤٥]"

من أقوال المفسرين

"فبعد نفخ اسرافيل في الصور، وصيحة عالية بحيث تفوق تحمل الأحياء والجمادات فتتلاشى جميع ذرات الهواء وتتساقط الأحياء على الأرض، ويزيد من القوة ما تحمل الأرض فتدك بضرب بعضها ببعض ضربة واحدة حتى اندكت وتقطعت أوصالها وصارت الجبال كثيبا مهيلا." (١)

"وتبدأ النجوم بإطلاق صرخات الموت وهي تذوب في حساء كوني مؤلف من إشعاعات والكترونات ونوى الذرات، وفي ظرف أيام يتحوَّ الكون كله إلى حساء كوني يغلي غليانا هائلا ويستمر حجمه بالنقصان حتى يصل حجمه إلى الصفر ثم يختفي." [٦٤٦] (٢)

"فذكر الأمور الهائلة التي تقع أمام القيامة وأنَّ أول ذلك أنَّه ينفخ

---

[٦٤٤]- وحيد الدين خان، المرجع السابق، ص٥٥.

[٦٤٥]- حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص١٢.

[٦٤٦]- (١) (و٢) شبر الفقيه، المرجع السابق، ص١٠٩، ١١٠.

إسرافيل ﴿فِي الصُّورِ﴾ إذا تكاملت الأجساد نابتة. ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فتخرج الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فإذا الناس قيام لرب العالمين."[٦٤٧]

"﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: فمدَّت مدَّ الأديم العكاظي، وتبدَّلت الأرض غير الأرض. ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة."[٦٤٨]

"علما أنَّ كثافة الكون حاليا= ٣٠% تقريبا من كثافة الكون الحرجة (والكثافة الحرجة هي الكثافة التي يتوقَّف عندها تمدد الكون)، فإذا كبرت كثافة الكون وزادت لتكون أكبر من الكثافة الحرجة فإنَّ الكون يصل إلى أقصى حجم له، ويتوقَّف عن التَّسارع والتَّمدد ثم يعود إلى الانكماش والتقلص وحينئذ يتحول إلى الانسحاق والتَّكدس."[٦٤٩]

قال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وهو قرن عظيم، لا يعلم عظمته إلا خالقه، ومن أطلعه اللّه على علمه من خلقه، فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، أحد الملائكة المقربين، وأحد حملة عرش الرحمن. ﴿فَصَعِقَ﴾- أي: غشي أو مات، على اختلاف القولين: ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾- أي: كلهم، لما سمعوا نفخة الصُّور أزعجتهم من شدتها وعظمها، وما يعلمون أنها مقدمة له. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ممن ثبته اللّه عند النَّفخة، فلم يصعق، كالشُّهداء أو بعضهم، وغيرهم."[٦٥٠]

"يقول تعالى مخبرا عن هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزَّلازل الهائلة، فقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، هذه النَّفخة هي الثانية، وهي نفخة الصَّعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السَّماوات والأرض، إلا من شاء الله كما هو مصرح به مفسرا في حديث الصُّور المشهور. ثم يقبض

---

[٦٤٧]- السعدي، المرجع السابق، ص١٠٤١.

[٦٤٨]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٩١٣.

[٦٤٩]- حميد مجول النعيمي، المرجع السابق، ص١٩.

[٦٥٠]- السعدي، المرجع السابق، ص٨٥٨.

أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت."[٦٥١]

***قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].**

معاني الكلمات: "دَٰخِرِينَ- داخرون: منقادون طائعون أذلاَّء."[٦٥٢]

تستهل الآية الكريمة بنفخ إسرافيل في الصُّور وتسمَّى (نفخة الفزع) فلا يبقى بعد هذه النَّفخة أحد من أهل السَّماوات والأرض إلاَّ خاف وفزع إلاَّ من شاء الله من الملائكة والأنبياء والشُّهداء. كقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. ثم نفخة الصَّعق (الموت) وبعدها نفخة (النُّشور) وهي القيام من القبور. ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ أي وكل الأموات أتوا إلى ربهم صاغرين مطيعين.

من أقوال المفسرين

"ومن صفة إسرافيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش، وهو الذي ينفخ في الصُّور بأمر ربه نفخات ثلاثة: أولا نفخة الفزع، والثانية نفخة الصَّعق، والثالثة نفخة البعث." (١)

"يخوف تعالى عباده ما أمامهم من يوم القيامة وما فيه من المحن والكروب، ومزعجات القلوب فقال: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ﴾ بسبب النفخ فيه ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾- أي: انزعجوا وارتاعوا وماج بعضهم ببعض خوفا مما هو مقدمة له. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ممن أكرمه الله وثبته وحفظه من الفزع."[٦٥٣]

"فهذه نفخة الفزع. ثم بعد ذلك نفخة الصعق، وهو الموت. ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين، وهو النشور من القبور لجميع الخلائق؛

---

[٦٥١]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٦٢٧.

[٦٥٢]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٩٥.

[٦٥٣]- السعدي، المرجع السابق، ص٧١٥.

ولهذا قال: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾- قرئ بالمد، وبغيره على الفعل، وكل بمعنى واحد- و ﴿دَٰخِرِينَ﴾ أي: صاغرين مطيعين، لا يتخلف أحد عن أمره."[٦٥٤] (٢)

***قال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس:٢٩].**

معاني الكلمات: "خَٰمِدُونَ: ميتون."[٦٥٥]

فما كانت ﴿إِلاَّ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ أخمدت الأنفاس. فكان المصرع سريع جدا، ويسدل الستار على مشهدهم البائس المهين الذَّليل.

من أقوال المفسرين

"فهذه الصَّيحة تصعق كل حي، وتنتهي بها الحياة والأحياء، فتأخذهم بغتة وهم في جدالهم وخصامهم في معترك الحياة لا يتوقَّعونها ولا يحسبون لها حساب."[٦٥٦]

"﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ أي ما كانت عقوبتهم إِلَّا صيحة واحدة صاح بهم جبريل، فإذا هم ميتون."[٦٥٧]

***قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].**

معاني الكلمات: "عَبَثًا: لعبا وعملا لا فائدة فيه."[٦٥٨]

تستهل الآية الكريمة بحكمة البعث من حكمة الخلق. ولا شك أنَّ المؤمن يحسب حسابها، وعلى دراية تامة بوقوعها، ودبر غايتها. وأنَّه على علم ما البعث إلاَّ حلقة في سلسلة النَّشأة، تبلغ بها كمالها، ويتم فيها تمامها، ولا يغفل عن ذلك إلاَّ المحجوبون المطموسون الغافلون، الذين لا

---

[٦٥٤]- ابن كثير، المرجع السابق (١)، (٢)، ص١٣٠، ١٤٠٧.

[٦٥٥]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٣٧٩.

[٦٥٦]- شبر الفقيه، المرجع السابق، ص١١٠.

[٦٥٧]- محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص١١.

[٦٥٨]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٧٣٥.

يتدبَّرون حكمة الله الكبرى؛ وهي متجلية في صفحات الكون، مبثوثة في أطواء الوجود .

من أقوال المفسرين

"أي: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أيها الخلق ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾- أي: سُدى وباطلا، تأكلون وتشربون وتمرحون، وتتمتعون بلذات الدنيا، ونترككم لا نأمركم، و[لا] ننهاكم ولا نثيبكم، ولا نعاقبكم؟ ولهذا قال: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ لا يخطر هذا ببالكم."[٦٥٩]

"قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنٰكُمْ عَبَثًا﴾ أي: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: لا تعودون في الدَّار الآخرة."[٦٦٠]

"من أهم الحقائق التي يدعونا الدّين إلى الإيمان بها: فكرة الآخرة. والمراد بها: أنَّ هناك عالما آخر غير عالمنا الحاضر، وسوف نعيش في ذلك العالم خالدين، وأنَّ عالمنا هذا هو مكان للاختبار والابتلاء، وجد فيه الإنسان لأجل معلوم، وأنَّ الله سوف ينهي هذا العالم حين يحين أجله، لبناء العالم الآخر، على طراز جديد، وأنَّ الناس سوف يُبعثون مرة أخرى، وسوف تعرض أعمالهم- خيرا أو شرًا- على محكمة الله، الذي يجزي كل إنسان بما عمل في الحياة الدنيا."[٦٦١]

قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

معاني الكلمات: "فَانٍ: هالك. ذُو ٱلْجَلَٰلِ- الجلال: العظمة، من جلَّ الشيء: عظم ذو الجلال: وصف لله تعالى."[٦٦٢]

---

[٦٥٩]- السعدي، المرجع السابق، ص٦٥٥.

[٦٦٠]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٣٠٨.

[٦٦١]- وحيد الدين خان، المرجع السابق، ص٩٢.

[٦٦٢]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، المرجع السابق، ص٨٦٥، ٢٣٧.

تخفق الأنفاس، وتسكن الجوارح، وتبلغ الأصوات الحناجر ويعم الفناء، ويشمل كل حي، ويطوي كل حركة، ولا يملك العقل البشري أن يصور الموقف، ولا يملك أن يزيد شيئا على النَّص القرآني، الذي يسكب في الجوانح السُّكون الخاشع، والجلال الغامر، والصَّمت الرَّهيب، والذي يرسم مشهد الفناء الخاوي، وسكون الموت المخيم بلا حركة، ولا نأمة في هذا الكون الذي كان حافلا بالحركة والحياة. ويرسم في الوقت ذاته حقيقة البقاء الدَّائم، ويطبعها في الحس البشري الذي لا يعرف في تجاربه صورة للبقاء الدَّائم، ولكنه يدركها بعمق في ذلك النَّص القرآني العجيب! الأرض وكل ما في الأرض هو فان ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الجبال تدك والأشجار والأحجار تذهب، والجن والإنس يموتون والحيوانات تموت ما يبقى شيء إلا وجهه- ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ سبحانه علاَّم الغيوب. هو الواجب الوجود بذاته، والدَّائم الوجود، هو الأول بلا بداية، وهو الآخر بلا نهاية، هو الأول والآخر والظَّاهر والباطن، هو الموجود أزلاً.

من أقوال المفسرين

"ويبقى الحي الذي لا يموت ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾- أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، والداعي لأن يكرم أولياءه وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، [ويعظمونه] ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه.[٦٦٣]

"يخبر تعالى أنَّ جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السَّماوات إلاَّ من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبدا."[٦٦٤]

---

[٦٦٣]- السعدي، المرجع السابق، ص٩٧٨.

[٦٦٤]- ابن كثير، المرجع السابق، ص١٧٩٧.

خاتمة

خلال هذه الجولة الرَّائعة في كون الله وملكوته، تبين أنَّه ما تألق في السَّاحة الفكرية الإسلامية مذهب أو نظرية إلا وجد أثر ذلك في التَّفسير فكأنما التَّفسير مرآة تنعكس عليها الحضارة الإسلامية في جميع مظاهرها وما ذلك إلاَّ للمكانة السَّامية التي يحتلها القرآن في نفوس المؤمنين به.

لقد اهتم الباحثون في هذا التيار العلمي الحديث بالقرآن، وحاولوا استنباط قواعد ونظريات منه، وتوصَّل الكثير منهم إلى نتائج مذهلة والحمد لله.

وفي هذا الكتاب فقد تناولنا عدد من الآيات القرآنية التي تشير إلى السَّماء وبعض الظواهر المرتبطة بها لتنوع ما فيها من حقائق كونية وبهدف إظهار ما في هذه الآيات الكريمة من سبق علمي أنزله الكريم الغفار من قبل أربعة عشر قرنا، مثل قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ..﴾ [الأنبياء:٣٠]، وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٨]، وقوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ..﴾، [فصلت:٩الى١٢]. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود:٧]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء:١٦].

إلى آخر الآيات الدَّالة على خلق السَّماء، وحقيقة أنَّ السَّماوات والأرض كانتا رتقا ففتقهما العلي القدير بقدرته، ومنها الآيات القرآنية التي تدل على أنَّ السَّماء بناء محكم وليست فراغا، وأنَّها سبع سماوات. وسبع أراضين، وأنَّ خلقهما قد تم في ست مراحل متمايزة، وأنَّ الكون دائم

الاتساع إلى أن يشاء الله، وأن خلقهما ليس عبثا ولا لهوا، وجعل تعاقب الليل والنهار نتيجته الظلمة والنور، وقبل خلق السَّماوات والأرض كان عرشه سبحانه على الماء مما يدل على أنَّ وجود العرش والماء قبل خلق السَّماوات والأرض ومن فيهن، وأشار سبحانه وتعالى إلى مسائلة الكافرين الذين يقرون- حين يُسألون- أنَّ الله هو خالق السَّماوات والأرض.

أمَّا الأرض فقد ورد ذكرها في ٤٦١ موضعا منها الأرض ككل ومنها اليابسة، وتطرقنا إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...﴾ [الطلاق:١٢]، شبَّه سبحانه وتعالى الأرض بالسَّماوات السَّبع في العدد وبعض الصّفات، ثم تحدث القرآن الكريم عن استخلاف آدم في الأرض لعمارتها وإصلاح ما فيها، وتطرقنا إلى الأرض المفطورة لقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:١]. ثم الأرض ذات الصَّدع لقوله: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق:١٢]. أمَّا مدَّ الأرض وإنقاصها من أطرافها فقد أشار القرآن الكريم لهذا: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ [الحجر:١٩]، وقال: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ [الرعد :٤١]. وفي القديم كان الإنسان يعتمد فقط عن الحواس ولهذا لم يكن سهلا التَّوصل إلى كروية الأرض، فأشار القرآن الكريم في عدة آيات إلى كرويتها ودورانها قال: ﴿..وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠]، وهذا توجيه للإنسان للتأمل في خلق الخالق. وقوله: ﴿..يٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [من الآية ٣٨:الزخرف]، وهو ما أشار إليه بعض العلماء: وهو أمر لا يمكن تفسيره إلاَّ أن يكون مغرب الشَّمس هو في نفس الوقت مشرقا لها على مكان آخر وهو أمر لا يكون إلاَّ على أرض كروية تدور. وقوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥]، وقال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [الحديد: ٦]. أمَّا دحو الأرض فقد ذُكر في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠ -٣١]. أما خسف الأرض فقد تطرقنا

إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود:٨٢].

أما الجبال فقد تطرقنا إلى أنواعها وإلى الجبال المذكورة في القرآن الكريم مثل: جبل الطور، الجودي، الصفا والمروة، جبل عرفة، وجبال الأحقاف. وللجبال ألوان مختلفة.

أما الأودية والأنهار فلها نصيب وافر تحدثنا عنها وذكرنا الأودية المذكورة في القرآن الكريم مثل: واد غير ذِي زرع، الواد المقدس (طوى)، واد النمل.

أما الأنهار والبحار ذكرناها وتطرقنا إلى ما ذُكر في القرآن الكريم.

أما الكَواكب، والنجوم، والشَّمس، والقمَر، اللَّيل والنَّهار، الكسوف والخسوف، الشّهب والنَّيَازك، الزَّمان والمكان. فقد كان لهذه العناوين ما يقال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، وقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [التكوير:١٥-١٦]. أما النجوم فقد أُقسم سبحانه وتعالى بمواقعها فقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٦]. وذكرها بالثَّواقب فقال: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطَّارق:٣]. وذكر فوائد النجوم فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٩٧]. والشَّمس هي مصدر لجميع أنواع الطَّاقة في الأرض، ولولا هذا المسخَّر العجيب من عند رب العالمين الذي سخَّره لحياة النَّباتات، أو الحيوان، أو الإنسان، فقال: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشَّمس:١]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبا:١٣]. أما القمر بحسب ما فسَّره بعض العلماء أنَّ مدَّة تكوين القمر في الأرض إلى أن انفصل منها، قد استغرقت نحو خمسمائة عام، وسخَّرهما سبحانه وتعالى. فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا..﴾ [يونس:٥].

أمَّا الليل والنهار فهما نتيجة دوران الأرض حول محورها وحول الشَّمس وهنا التأكيد أن طبقة النهار المحيطة بنصف الكرة الأرضية المواجه للشَّمس وإذا جنَّ ليل الأرض التقت ظلمته بظلمة السَّماء فلا تُرى الشَّمس. فقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ [يس:٣٧]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِيْنَ والْحِسابَ﴾ [الإسراء: ١٢].

أمَّا الكُسُوف و الخُسُوف، فالكُسُوف: هو مرور القمر بين الأرض والشَّمس، أما الخُسُوف: فهو وقوع القمر في ظل الأرض أثناء سيره حولها يقع خسوف كلي وإن وقع جزء منه وقع خسوف جزئي. أما الشُّهب والنَّيازك، أصلها كويكبات صغيرة هاربة قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢]، وقال: ﴿..أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ..﴾ [سبأ:٩].

وتطرقت الآيات القرآنية إلى الزَّمان والمكان، فقال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة:١٨٩] ، وقال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧] ، وقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرً﴾ [التوبة:٣٦].

وتطرقنا أيضا إلى الظَّوَاهر الجوية في القرآن الكَريم منها الرياح، السَّحاب، والمطر ،والبرق، والرَّعد، الحر، والبرد.

أما الظَّواهر الجوية كالرياح، والسَّحاب، والبرق، والمطر، أشار إليها القرآن الكريم كثيرا، تحدث عن الرياح وأنواعها منها الحاصب فقال: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلٗا﴾ [الإسراء:٦٨]، وتحدث عن الريح القاصف فقال: ﴿فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ [الإسراء:٦٩]، وقال: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس:٢٢]، وتطرق القرآن الكريم إلى الريح العقيم فقال: ﴿أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ [الذاريات :٤١]، وقال

في الريح الصرصر: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة:٦]، وقال: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَ﴾ [آل عمران:١١٧]. وللرياح فوائد منها تبشر بالمطر، و التلقيح، وتسيير السفن.

أمَّا السَّحاب، والمطر، والبرق، والرَّعد. قال تعالى: ﴿...وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ...﴾ [النور:٤٣]. أمَّا عن الحر والبرد فقال: ﴿قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١]، وقال: ﴿..وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور:٤٣].

أمَّا المبحث الأخير نِهَايَة البدَايَة (الانسحَاق الشَّديد) واقصد بنهاية البداية كقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾- ومن هنا تكون نهاية البداية (الانسحَاق الشَّديد). قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ١الى٤]، وقال: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، وقال: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة:٩]، وقال: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [ابراهيم:٤٨]، وقال: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]. إلى آخر الآيات الدَّالة على نهاية الكون.

أمَّا خلق الإنسان فليس عبثا وأنَّه لا محالة يرجع إلى خالقه قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

وهكذا تكون نهاية كل شيء ويفنى كل شيء وتتوارى أشباح الخلائق،

ويظهر بأنَّ كل شيء هالك إلاَّ وجهه، والله سبحانه هو الواجب الوجود بذاته، والدَّائم الوجود، هو الأول بلا بداية، وهو الآخر بلا نهاية، هو الأول والآخر والظَّاهر والباطن، هو الموجود أزلاً، وهذه بداية النهاية، وبعدها يكون كل شيء في علم علاَّم الغيوب.

قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

انتهى بتاريخ ٠١ ربيع الأول ١٤٤٦ الموافق ٠١ سبتمبر ٢٠٢٤م

عمارة عبدالمالك

مصادر ومراجع

*** - مصادر**

- المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم.

*** - مراجع**

المعاجم

١- ابن منظور: لسان العرب ط١(ط ج)، دار المعارف كورنيش النيل القاهرة.

٢- محمد بن محمد بن عبدالرزاق المرتضى الزبيدي: (تاج العروس من جواهر القاموس)، طبعة الكويت.

٣- معجم ألفاظ القرآن الكريم (ج١)، من الهمزة إلى الضاد (١٤٠٩-١٩٨٨م)، مجمع اللغة العربية- الإدارة العامة للجامعات وإحياء التراث، جمهورية مصر العربية.

أسباب النزول

٤- أبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨):أسباب النزول، تخريج وتدقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان، ط٢، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) دار الاصلاح، الدمام، المملكة العربية السعودية.

الصحيحين

٥- أبو الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري: (٢٠٦-٢٦١هـ)، صحيح مسلم (ج١)، دار إحياء الكتب العربية، (ودار الكتب العلمية)، بيروت لبنان، ط١، (١٤١٢- ١٩٩١م)، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، (٦٢-١٠١٣).

٦- أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري: (١٩٤-٢٥٦)، صحيح البخاري، ط ج، دار ابن كثير دمشق بيروت، ط١(١٤٢٣-٢٠٠٢م.)

التفاسير:

٧- أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي: (٧٠١-٧٧٤)، تفسير القرآن العظيم (ط ج)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان (ط١ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م)

٨- أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير: بداية خلق الكون- تحقيق عادل أبو المعاطي، اهداءات ١٩٩٨، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٩- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: (٢٢٤-٣١٠هـ)، تفسير الطبري، ج١، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١٠-أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي: (ت٥١٦هـ)، تفسير البغوي (معالم التنزيل مج١)، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، طبع ١٤٠٩هـ .

١١-جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: (٤٦٧- ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٢و ج٤، مكتبة العبيكات، الرياض، ط١ (١٤١٨-١٩٩٨م)

١٢- عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي: (٧٨٦-٨٧٥) - تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج١، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان- ط١(١٤١٨-١٩٩٧).

١٣-عبدالرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار السلام للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. (ط٢-١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).

١٤- محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الإيجي الشيرازي الشافعي: (توفي٩٠٥)، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١(١٤٢٤-٢٠٠٤.)

١٥- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، مج١، دار القرآن الكريم- بيروت، ط٤- ١٤٠٢هـ -١٩٨١م.

التفاسير العلمية:

١٦- حميد مجول النعيمي: بدائع الكون في القرآن الكريم، الناشر المنتدى الإسلامي بالشارقة، ط أولى: ١٤٤٣هـ-٢٠٢١م .

١٧- حنفي احمد: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، دار المعارف، مصر.

١٨- زغلول راغب محمد النجار: المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١٠(٥٠٠٨م- ١٤٢٩هـ)

١٩- زغلول راغب محمد النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، تقديم احمد فراح، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١٣(١٤٢٩-٢٠٠٨).

٢٠- زغلول راغب محمد النجار: من آيات الاعجاز العلمي، السماء، في القرآن الكريم، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط٤ (١٤٢٨-٢٠٠٧).

٢١-زغلول راغب محمد النجار: تفسير الآيات الكونية في القرآن، مكنبة الشروق الدولية، ج٢، ط١، (١٤٢٨-٢٠٠٧.

٢٢-السيد الجميلي: الإعجاز الطبي في القرآن، دار ومكتبة الهلال، بيروت- ١٩٩٠م.

٢٣- السيد الجميلي: الإعجاز العلمي في القرآن، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دار الوسام للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط٢(١٩٩٢.)

٢٤- شبر الفقيه: نهاية الكون في الفكر القرآني الفلسفي، رؤية ابستيمولوجية- معرفية، مقارنة في نشأة الكون ونهايته، دار البحار بيروت.

٢٥- عبدالله بن عبدالعزيز المصلح: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منهج التدريس الجامعي، رابطة العالم الاسلامي، الهيئة العالمية للاعجاز العلمي في القران والسنة، ط٢،(١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م).

٢٦- عبدالله فؤاد، ما يفوق الأذهان، الانفجار العظيم.

٢٧-عز الدين قداري الإدريسي: عالم فلك- عجائب وغرائب علم الفلك والكون.

٢٨- محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الأفاق العربية، ط١، (٢٠٠٢م-١٤٢٣).

٢٩- محمد علي حسن الحلي: الكون والقرآن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٣٠- منصور محمد حسب النبي: الكون والإعجاز العلمي للقرآن، ط٣، (١٩٩١م)، دار الفكر العربي ش جواد حسني القاهرة.

٣١-هند شلبي: التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبق، المساهم، تونس،(١٤٠٦-١٩٨٥.)

٣٢- وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، مكتبة الرسالة.

كتب أجنبية:

٣٣- سير جيمس جينز: النجوم في مسالكها، ترجمة عبدالسلام الكرداني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٣٣.

أطروحة علمية:

٣٤- أبو إسحاق احمد بن إسحاق الثعلبي: ت٤٢٧، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة والدراسات الإسلامية، إعداد الطالب (صلاح بن سالم بن سعيد باعثمان)، ج٢،(١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.

فهرست

العنوان	الصفحة
مقدمة	٠٥
الفصل الأول: الأرض والسَّماوات في القرآن الكريم	١٤
المبحث الأول: خَلْق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض	١٤
المبحث الثاني: الأَرض	٦٢
المبحث الثالث: الأَرض المَفطورَة	٨٤
المبحث الرابع: مَدّ الأَرض	٨٨
المبحث الخامس: إنقَاص الأَرض من أطرَافهَا	٨٩
المبحث السادس: كرَوية الأَرض ودوَرانها	٩٢
المبحث السابع: دحو الأَرض	١٠٣
المبحث الثامن: خسف الأرض	١٠٥
الفصل الثاني: الجبَال في القرآن الكَريم	١٠٩
المبحث الأول: أنواع الجبال	١١١
المبحث الثاني: الجبَال روَاسى وأوتَادَا	١١٢
المبحث الثالث: الجبَال المَذكورَة في القرآن	١١٩
المبحث الرابع: ألوَان الجبَال	١٣٠
المبحث الخامس: الجبَال تَخر هدّا	١٣١
المبحث السادس: اتخَاذ الجبَال مكَانا للسَّكَن	١٣٢
الفصل الثالث: الأَودية والأَنهَار والبحَار في القرآن الكَريم	١٤١
المبحث الأول: الأَودية في القرآن الكَريم	١٤٢
المبحث الثاني: الأَنهار والبحَار	١٤٦
الفصل الرابع: الظَّوَاهر الفَلَكية في القرآن الكَريم	١٦٦
المبحث الأول: الكَواكب والنجوم والشَّمس والقمَر	١٦٦
المبحث الثاني: اللَّيل والنَّهَار	٢٠٣
المبحث الثالث: الكسوف والخسوف	٢١٢
المبحث الرابع: الشّهب والنَّيَازك	٢١٣

المبحث الخامس الزَّمان والمكان في القرآن الكريم	٢٢٠
الفصل الخامس: الظَّوَاهر الجوية في القرآن الكَريم	٢٢٨
المبحث الأول: الرياح	٢٢٨
المبحث الثاني: السحاب والمطر والبرق والرعد.	٢٣٥
المبحث الثالث: الحر والبرد	٢٣٨
المبحث الرابع: نهاية البداية (الانسحاق الشديد)	٢٤٢
خاتمة	٢٦٤
مصادر ومراجع	٢٧٠
فهرست	٢٧٤